

بورخيس

كائنات الخرافة



تأليف : بياتريث سارلو
ترجمة : خليل كلفت

المشروع القومي للترجمة

بورخيس كاتب على الحافة

تأليف : بياتريث سارلو

ترجمة : خليل كلفت



٢٠٠٤

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٦٤٨

- بورخيس كاتب على الحافة

- بياتريث سارلو

- خليل كلفت

- الطبعة الأولى ٢٠٠٤م

هذه ترجمة كتاب :

**JORGE LUIS BORGES:
A WRITER ON THE EDGE,
BY BEATRIZ SARLO,**

First published by Verso, in association
with the Centre of Latin American Studies
of the University of Cambridge, 1993
Verso 1993

حقوق الترجمة والنشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E.Mail: asfour@onebox.com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

7 مقدمة المحرر
25 مدخل
33 شكر وتقدير

القسم الأول : الكتابة على الحافة

37 الفصل الأول : صورة عامة لبورخيس
51 الفصل الثاني : بورخيس والأدب الأرجنتيني
71 الفصل الثالث : التراث وصراعات التجديد
91 الفصل الرابع : مجازات الأدب الفانتازي
107 الفصل الخامس : أبنية خيالية
131 الفصل السادس : مسألة النظام

القسم الثاني : الطبيعة وبوينوس آيرس والحدائق

151 الفصل السابع : مغامرة مارتن فييرو : الطبيعة والكريولية
175 الفصل الثامن : اليوتوبيا والطبيعة
205 بيليوغرافيا :

مقدمة المحرر

(١)

فى سبتمبر ١٩٧٣، التقيتُ ببورخيس، فى شقته، فى وسط مدينة بوينوس آيرس. وكنت قد سافرت إلى الأرجنتين لإجراء مقابلة مع صديقه الحميم الكاتب أدولفو بيوى كاساريس Adolfo Bioy Casares، الذى كنت قد التقيت به لأول مرة فى قصة لبورخيس: "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس" Tlön, Oqbar, Orbis Tertius . غير أن بيوى كان يقضى شهرين فى فرنسا، ولهذا مضيتُ أبحث عن مجموعة من أصدقائه.

أخذنى الطريق إلى منزل بورخيس عبر مدينة تفص بالأعلام والحشود الجماهيرية والفرق الموسيقية. وكان [خوان دومينجو] بيرون [Juan Domingo] Perón قد عاد مؤخرًا، بعد ثمانية عشر عاما فى المنفى، وكان كل شخص يدعى، فيما بدا لي، أنه يخصه. واستغرق عبوري شارع كورينتيس وقتًا، لأن مظاهرة ضخمة للشباب البيرونى كانت تندفع عبر ذلك الشارع العام الرئيسى على قرع مئات الطبول. كانت الجدران مغطاة بالشعارات والملصقات. وكانت صورة إيبيتا (إيفيتا) [Perón] Ivetta فى كل مكان، مع أنها كانت قد توفيت قبل ذلك بعشرين عاما، وكان بيرون عائداً بزوجة أصغر كثيراً هى إيسابيليتا [إيسابيل بيرون] [Isabel Perón] Isabelita. وسألنى الطلاب فى الجامعة عن سبب رغبتى فى الالتقاء ببورخيس: ما صلة فانتازياته النخبوية الهروبية بهذا العالم من التعبئة السياسية؟ وبعد هذا بعقد من الزمان، علقت عالمة الاجتماع الأرجنتينية سيليبيا سيجال Silvia Sigal على رد الفعل إزاء بورخيس فى هذه الأعوام. فقد قال لها كاتب هو خورخي فيئيئيمان Jorge Feinman : "فى بداية السبعينيات، أحببتُ بورخيس، لكننى كنت أقول هذا همسا". كما أن ديبيد (ديفيد) بينياس David Viñas الناقد والكاتب، أجاب على سؤال سيجال بشأن من هو أهم

مبدع أو مثقف في الأرجنتين في العشرين سنة الأخيرة، بشيء من السخرية
boutade : "بورخيس، وأسفاه *hélas*" . (١)

كان بورخيس واحدا من قلة لم تخرج إلى الشارع. فقد نظر إلى عودة بيرون على أنها انفجار دائري آخر لذلك الجنون الشعبوي الذي وصم المجتمع الأرجنتيني بصورة دورية. وسوف يكتب بعد ذلك بعام أو نحو هذا، في مقدمة كتاب الرمل *El libro de arena* (١٩٧٥):

أنا لا أكتب لقلة مختارة، فهي لا تعنى شيئا بالنسبة لى، ولا لذلك الكيان الأفلاطوني الذي يجرى تملقه والمعروف باسم "الجماهير". فأننا لا أومن بكلا هذين التجريدين العزيزين جدا على قلب الديماغوجي (الغوغائي). إننى أكتب لنفسى ولأصدقائى، وأكتب لتسهيل مرور الوقت. (٢)

وفى شقته الإسبرطية إلى حد ما، قادنى بورخيس إلى رف الكتب الذى توجد عليه الأعمال - الإنجليزية - المفضلة. وفيما كان يبحث عن الكتاب الذى كان ينبغى أن أقرأه له - ولم يقل إلا قليلون من الناطقين بالإنجليزية من شقة بورخيس دون أن يقرأوا له - رغم أنه كان يتولى الإلقاء عادة، مستشهدا بقصائد أو قطع نثرية كاملة من الذاكرة - حكى لى تجربة مرّ بها مؤخرا. ولم تكن هناك طريقة لمعرفة ما إذا كانت حقيقية أم محرفة - وكان بورخيس قد اعتاد تلفيق قصص يرويها للزائرين الأجانب أو الصحافة المحلية منذ أن صار، فى أوائل الستينيات، مركز الاهتمام المتواصل لوسائل الإعلام. وكان قد سأل، فيما روى، صحفى محلى عن رأيه فى بيرون فأجاب بالسؤال عن كيف ظل بيرون على قيد الحياة طوال أعوام كثيرة إلى هذا الحد فى المنفى فى إسبانيا: ربما كان يعطى دروسا فى الإسبانية. (وهذه تنويع من نكتة قديمة تشرحها سارلو Sarlo فى الفصل السابع: كان بورخيس لاذعا فى نقد ادعاء الإسبان للنقاء اللغوى بقدر ما كان لاذعا فى نقد التحريف أو التشويه البيرونى الديماغوجى لإسبانية نهر پلاتى Plate الأصلية). ولم يفهم الصحفى النكتة وقدم عنه تقريرا بلهجة مثيرة - بورخيس يتكلم بصراحة ضد بيرون وبعد هذا بأسبوع، سافر بورخيس إلى لاپلاتا La Plata لإلقاء محاضرة، غير أنها أُلغيت، لأن شخصا ما وضع قنبلة تحت المنصة.

وعندما تذكر بورخيس، أو اخترع، حادثة القنبلة، ارتعش صوته غضبا. "أى جبناء كانوا، ليحاولوا قتلى بتلك الطريقة، قتلى أنا الذى لست سوى رجل عجوز أعمى! لماذا لم يهاجمونى ببندقية، أو - ويظل هذا أفضل - بسكين؟" وهنا فى، مكتبته، محميا بصورة مبهمّة من الضوضاء بالخارج، حلم بورخيس بملاقاة قدره الأمريكى - مثل كثيرين جدا من شخصياته - فى مبارزة كريولية، بطعنة سكين. وهنا فإن هذا المرشد الروحى guru لنقاد الأدب الأوروبيين والأمريكيين الشماليين، المحتفى به كواحد من الكتاب العظام للقرن العشرين، كان لبعض الوقت محاصرا ومهجورا فى المدينة التى أحبها - حيث كان يتجاهله، أو بالفاظه، يهدده مواطنوه - يتخيل قدرا بطوليا ربطه بأسلافه العسكريين فى القرن التاسع عشر أو بالعنف الجوهري للجاوتشو gaucho. وكان لقاء مربكا: كيف يقرأ المرء بورخيس، وما هو مكانه ككاتب، وكمثقف، فى كل من الأرجنتين وأوروبا - اللتين ادعى الانتماء إلى تراثيهما؟

وبعد هذا بسبعة أعوام، فى ١٩٨٠، بدا أن الديستوبيا dystopia التى استدعاها بورخيس عند عودة بيرون قد صارت واقعا، وإن لم يكن هذا بالطريقة التى تصورها بورخيس. وكان بيرون قد عاد، وحكم لعدة أشهر، ثم مات، وكانت زوجته إيسابيل، التى أحاط بها فريق متنافر من المستشارين، قد تولت الحكم، وتساعد العنف والفوضى بصورة خرجت تقريبا عن السيطرة. وبالفعل فإن القتال الضارى كان قد أزهى أرواحا كثيرة ودفع بالآلاف إلى المنفى قبل أن يستولى الجيش على السلطة فى مارس ١٩٧٦. والواقع أن أولئك الذين اعتقدوا، مثل بورخيس، أن الجيش سوف يضع حدا للفوضى السياسية ثم يعود إلى ثكناته، سرعان ما تحرروا من الأوهام بصورة وحشية. فالجيش كانت لديه الأجندة الخاصة به: أن يستأصل "سرطان" عدم الاستقرار السياسى والتعبئة الاجتماعية عن طريق إلغاء السياسة وشن هجوم عنيف ضد أعدائه الفعلين أو المتخيلين. ومات آلاف عديدة من الناس كما فرّ مئات الآلاف إلى المنفى فى هذه الحملة التى حطمت المجتمع والمجال الثقافى.

وكنّت قد أتيت إلى بوينوس آيرس، فى وقت بدأ الجيش يفقد فيه سلطته المطلقة، لى أقوم بدراسة مركز للفنون، مركز دى تيللا Di Tella، الذى كان يمثل بؤرة نشاط "بوينوس آيرس المترنحة" فى الستينيات. وكانت لا تزال تبدو لحظة غير ملائمة بصورة

خاصة للقيام بتفحص فترة من الاضطراب الثقافي والسياسي حيث إن هذا الاضطراب كان قد جرى قمعه بوحشية، غير أنني وجدت عددا من الفنانين والمثقفين الذين كانوا يمثلون الشخصيات الرئيسية للسستينيات، يفكرون في نفس الأسئلة، كجزء مما سوف تسميه سارلو في وقت لاحق "سيرة ذاتية جماعية".^(٢) وقد التقيت ببياتريث سارلو بصحبة أصدقائها وزملائها، الفنان خوان پابلورينثي Juan Pablo Renzi، والناقدين ماريا تيريسا [تيريزا] جراموجليو Maria Teresa Gramuglio، وكارلوس ألتاميرانوس Carlos Altamiranos. وكان هؤلاء الأشخاص قد نظموا، جنبا إلى جنب مع عدد من النقاد والفنانين الآخرين، مجموعات قراءة في منازلهم كجزء من ثقافة "السرداب" catacomb، وهي محاولة لإبقاء النقاش الفكري حيا في وقت كانت فيه الجامعات وكل أشكال انتشار الثقافة تحت الرقابة العسكرية الصارمة، التي حكمت على جيل من الشبان بأن يكبر في سياق خواء فكري، وكانوا قد بدأوا في نشر مجلة ثقافية، هي وجهة نظر Punta de Vista، لاستكشاف حدود ما كان يمكن نقاشه بصراحة أو بصورة غير مباشرة في تلك الفترة. (ومما له دلالة أن المقالات المبكرة قدمت إعادة نظر للتاريخ الأدبي الأرجنتيني وإعادة تقييم لكتاب مثل بورخيس). وفي نقاش على عشاء مشهود بدأ بهدوء غير أنه ظل محتدما طوال الليل، انطلقوا من موضوع البحث الذي كنت أقوم به ثم بدأوا يستقصون معنى السستينيات وأوائل السبعينيات في الأرجنتين، ذلك السعى المراوغ إلى تحقيق الالتقاء بين الطليعتين السياسية والثقافية. واستكشفوا حدود القومية الشعبوية والنماذج النظرية، من تشي [إرنستو تشي جيغارا] Ernesto Ché [Ernesto Ché Guevara] إلى ماو [تسي تونج] Mao [Zedong]، ومن [لويس] ألتوسير [Louis] Althusser إلى [جاك] لاكان [Jacques] Lacan. وناقشوا آمال وأمانى جيل كانت فيما بدا قد انهارت في منتصف السبعينيات، وتأملوا في طريق السير إلى الأمام، محاولة إعادة بناء مجال ثقافي مفتت، في كل من الوطن والمنفى. وكانت هذه مهام الثمانينيات، مع عودة الأرجنتين ببطء إلى الديمقراطية. ويأتي هذا الكتاب، بعد حوالي عشرة أعوام، ثمرة لمثل إعادة التفكير العميقة هذه في تراث وإعادة كتابته. ولأن بورخيس أهم كاتب في أرجنتين القرن العشرين، ولأنه كاتب يراوغ التصنيف المتناسق، فإن التصالح مع إنتاجه Oeuvre يمثل أحد أهم التحديات أمام الناقد الأرجنتيني.

إنه تحدُّ ردُّ عليه نقاد قليلون بطريقة مُرضية. والواقع أن قراءة للنقد الذي يتناول بورخيس تتيح لنا أن نرسم ببعض التدقيق خريطة للمجال الثقافي المتنامي في أرجنتين القرن العشرين.^(٤) وقد لعب بورخيس دورا بالغ النشاط في الحركات الطليعية في العشرينيات في الأرجنتين، كما يكشف الفصلان السابع والثامن من هذا الكتاب. وتمثلت مهمة هذه المجموعة في أن تنتزع لنفسها مكانا جديدا في معارضة لكل من شيوخ الثقافة الأرجنتينية العظام، كما يمثلهم ليوبولدو لوجونيس Leopoldo Lugones، وإنتاج المذهب الطبيعي naturalist والملتزم اجتماعيا لغيرهم من الكتاب الشبان. وقد زعموا أن دعم "الجديد" هو في حد ذاته نشاط ثوري. ولهذا فإنه ما كان لأي نقد لبورخيس أن يأتي إلا من أولئك الذين كانوا معارضين لتأكيد الذات لدى الطليعة الشبابية. وقد تبادلت مختلف المجموعات الشتائم وأكسبت تصريحات بورخيس اللاذعة التي كانت في الصميم هذه المجادلات حدا قاطعا مرهفا. وسوف يستمر الاعتراف بأن بورخيس كان في صدارة التجريب حتى الثلاثينيات إلى حد كبير. وقد علّق الكاتب الفرنسي بيير دريو لا روشيل Pierre Drieu la Rochelle بطريقة لا تُنسى في الثلاثينيات، خلال زيارة له إلى بوينوس آيرس، بقوله إن "بورخيس يستحق السفر" Borges vaut le voyage. ولم يحدث إلا في أواخر الثلاثينيات، عندما بدأ بورخيس يكتب القصص القصيرة التي سوف تجلب له الشهرة العالمية في وقت لاحق، أن بدأ المجال الثقافي يصطف في صفوف وفقا لمختلف الأيديولوجيات السياسية وأن شهدت المناقشات حول القومية الثقافية التي برزت، كما تشرح سارلو في الفصل السابع، طوال العقود الأولى من القرن العشرين، انعطافا جديدا.

ومع الثلاثينيات، بدأ النظام الليبرالي العريق الذي كان قد أشرف على التطور الاقتصادي الهائل للأرجنتين من ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين - وكان نظاما يمثل تراثا "عائليا" لبورخيس - يدخل في أزمة. ويبطء بدأ يظهر نقد للقيم الأوروبية الليبرالية النخبوية؛ وصعدت إلى المشهد تجمعات سياسية أكثر شعبية وذات طابع قومي ضيق، وفي عهد بيرون - خلال انتخابات ١٩٤٦ -

اكتسبت قوة. وفي هذه الكتابات الجديدة، كان يمكن تصوير الكتاب الذين مثل بورخيس بصورة فظة على أنهم أذئاب نظام كان قد سمح لنخبة من ملاك الأرض ومجموعات مصالح أجنبية بتشويه تطور الأرجنتين. غير أن مثل هذه الأفكار ظلت لفترة لا تلقى صدى أو تلقى صدى ضئيلاً في المجتمع الأوسع. وقد تعززت القصص القصيرة الثورية التي كتبها بورخيس في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات - فترته الأكثر إنتاجية منذ منتصف العشرينيات - بمجموعة قوية التأثير من الكتاب والنقاد. ومن الجلى أن شعبيته لم تكن بالغة الاتساع لأنه، كما أوضحت سارلو، اقترح قطيعة جذرية مع التقاليد السائدة للواقعية السيكولوجية psychological realism، والكوستومبرية (واقعية تصوير العادات والمناظر والأنماط المحلية والريفية) costum-brismo، والمذهب الطبيعي naturalism. وقد تطلب إنتاجه، كما أوضح صديقه بيوى كاساريس في مقال نقدي مبكر، قراءً جدداً كانوا تقريباً "متخصصين في الأدب". غير أن الكتاب والمثقفين، بصورة عامة، دعموا إنتاجه كما أنه سحر الكثيرين منهم، في الأرجنتين، ثم بالتدريج في كل مكان في أمريكا اللاتينية. وتأثر ببورخيس بعمق الروائيون والشعراء الذين برزوا في الستينيات: خوليو كورتاثر Julio Cortázar، وأكتاڤيو باث Octavio Paz، وجابرييل جارثيا ماركيث Gabriel García Márquez، وخوسيه دونوسو José Donoso، وكارلوس فوينتيس Carlos Fuentes، وماريو بارجاس يوسا Mario Vargas Llosa، بين آخرين.

وكان الكاتب البولندي فيتولد جومبروفيتش Witold Gombrowicz قد بقي في الأرجنتين طوال فترة الحرب العالمية الثانية. وقد روى أنه عندما غادر بوينوس آيرس إلى أوروبا أخيراً، صاح من فوق الباخرة قائلاً لأصدقائه على الرصيف: "أيها الشبان، اقتلوا بورخيس" Jóvenes, matad a Borges. لقد أدرك أن بورخيس كان قد صار القوة السائدة في النظام الأدبي وأنه سيكون على الأجيال الجديدة أن تتصالح مع، أو أن تكتب ضد، تأثيره. وربما كان عدد من النقاد قد أخذوا كلماته بمبالغة في معناها الحرفي. ففي وقت أخذ بورخيس يسحر فيه الكتاب الشبان في كل مكان في أمريكا اللاتينية، كما بدأ يُعرف بالتدريج في فرنسا (يرجع تاريخ الترجمات الأولى إلى الفرنسية إلى منتصف الأربعينيات)، وفيما بعد في العالم الناطق بالإنجليزية، بدأ النقاد الشبان ينهمكون في قتل الأب patricide الذي ألح إليه جومبروفيتش. وتباينت

الانتقادات بصورة بالغة التعقيد. وفي أكثر الحالات فظاظة، وقع ضحية لشعبوية معادية للإمبريالية، تزداد اشتعالا بالخطابية القومية الطنانة المتفشية التي تميز بها النظام البيروني الأول (١٩٤٦ - ١٩٥٥). وجرى النظر إلى قصصه على أنها مراوغات نخبوية من "الواقع الفعلي"، وجرى تفسير آرائه المارقة بشأن المؤثرات الأجنبية على أنها *extranjerizante* (حب الأجنبي، على حساب الأمة). وكان نقاد مثل أرتورو خاوريتشي Arturo Jauretche وخورخي أبيرلاردو راموس Jorge Aberlardo Ramos وخوان خوسيه إيرنانديث أريجى Juan José Herández Arregui طليعة الوحشية الجديدة.

وقد حاولت جماعة كونتورنو Contorno وهم نقاد شبان بجامعة بوينوس آيرس معروفون باسم مجلتهم كونتورنو، أن يتفادوا مثل هذه التجاوزات الشعبوية، إلا أنهم ظلوا يشعرون بأن بورخيس يمثل، بالنسبة لهم، نظاما وطبقة كان ينبغي أن تحملهما رياح الحداثة بعيدا. وهناك مفارقة تتمثل في واقع أنه في وقت بدأت فيه الأزمنة الحديثة *Les Temps Modernes* في نشر بورخيس، جرى توسيع نطاق انتشار [جان پول] سارتر [Jean Paul] Sartre في الأرجنتين لتعليم ضرورة الالتزام *commitment* ولأن بورخيس لم يكن ملتزما بصورة علنية فقد أحس بأشواك نقاد مثل أدولفو برييتو Adolfo Prieto، الذي ألف في ١٩٥٤ كتابا بعنوان بورخيس والجيل الجديد.^(٥) وهذا المقال ممتع فقط بقدر ما يكشف عن البقعة العمياء *blind spot* (*) التي أظهرها النقاد عند محاولتهم تناول بورخيس. وكان إنتاج مجلة كونتورنو بجانبه الأكبر فطنا ومعقدا في مراجعته للتقاليد الأدبية والسياسية وفي علاقة نصوصها الأدبية بسياقها. غير أن بورخيس لم يكن ليندرج في أي تصنيف سهل وكان يتم انتحال الأعذار له في سلسلة من الملاحظات المبتذلة إلى حد ما مثل "الفطنة والمعرفة الواسعة والأسلوب الممتاز لا تكفل الأدب العظيم"؛ وكانت مقالاته وشعره ونثره مجرد تسليات غير ملائمة للشبان الذين يواجهون المهام الجادة. وكانت مجموعة كونتورنو معلمى جيل بياتريث سارلو،

(*) المقصود هو الناحية التي يفتقر فيها بورخيس إلى الفهم أو الإنصاف. (المترجم)

وسوف تتناول إنتاج معاصري سارلو لى تستكشف هذه النقطة العمياء أو لى تصحح ما أسمته سارلو "الحول الأدبي" estrablismo literario عند كونتورنو.^(٦)

وبشر سقوط بيرون فى ١٩٥٥ بعقد أو أكثر من التحديث فى المجال الثقافى فى الأرجنتين، فبعد الاكتفاء الذاتى الثقافى لتلك الأعوام، صارت الأرجنتين من جديد منفتحة على "الجديد"، وكانت الستينيات فترة من الاضطراب السياسى والثقافى، وصار الطالب أو المثقف الشاب فى ذلك العقد - وهذا هو جيل بياتريث سارلو - منفتحا على كل المؤثرات، وكان عالم السياسة يغدو أكثر راديكالية بصورة متزايدة، وكان يتم النظر إلى بيرون والبيرونية، بشعوذة غريبة ولكن مفهومة، على أنها القيادة المحتملة لوعى اشتراكى قومى للعالم الثالث، والحقيقة أن الثورة الكوبية، ونفوذ ماو، وتأثير حرب فيتنام، وإضفاء الطابع الراديكالى على مايو ١٩٦٨، كانت لها جميعا أصداء فى الأرجنتين، وكان لهذه العملية ناصحوها الفكريون المحنكون: أولا سارتر - لكن بعد ذلك أيضا ألتوسير، و[ميشيل] فوكو [Michel] Foucault، ولاكان (ظهرت الترجمات الأولى لألتوسير فى غضون أشهر بعد ظهور الكتب فى فرنسا؛ كان الأرجنتينيون دائما قراء نهمين للنظرية)، كانت تلك فترة جرى فيها إنفاق مبالغ طائلة على الإعلان، وصارت فيها الزيارة للمحلل النفسى جزءاً لا يتجزأ من حياة الطبقة الوسطى فى بوينوس آيرس، وتدفق الناس على أفلام إنجمار بيرجمان Ingmar Bergman وساعدوا فى خلق "رواج" فى القصة الأمريكية اللاتينية عن طريق شراء الروايات بعشرات الآلاف من النسخ، أما بورخيس الذى كان يتندر دائما فى العشرينيات والثلاثينيات بأنه تخطى عن كتبه لأنه لا أحد اشتراها، فقد وجد الآن أن لديه جمهورا واسعا ومتزايدا دوما داخل الوطن، ونضجت المجالات الأسبوعية لتعكس وتوجه هذه الأنواق الجديدة وصارت الأزياء بكل مظاهرها بالغة الأهمية، وكان بورخيس فى صدارة اهتمام الصحفيين، واستجاب لهذه الشهرة الجديدة بارتياح ساخر، والحقيقة أنه صار بالنسبة لبعض القطاعات رمزا للستينيات، وعندما طبعت مجلة پريميرا پلانا Primera Plana خريطة لبوينوس آيرس "المترنحة" فى الستينيات، واضعة فيها كل البارات والمعارض ودور السينما والمطاعم الحديثة الطراز، كان منزل خورخى Jorgie علامة بارزة جنبا إلى جنب مع مراكز الفنون والمعارض.

وربما كان من المتوقع أن يعكس الاهتمام النقدي ببورخيس صدى وضعه الجديد كـ "نجم". وعلى كل حال فإن البنيويين الفرنسيين من أحدث طراز، من فوكو، إلى [ج.ج.] جينيت [G.] Genette، إلى [تزوڤيتان] تودوروف [Tzvetan] Todorov، كانوا جميعاً يقتبسون استشهادات منه وكانت له جاذبية جامعية في كل أنحاء الولايات المتحدة. وقدم له المخرجون السينمائيون كل التقدير والتبجيل، ودأبت مفارقاته الفلاسفة، وإلى حد ما تابع النقاد في الأرجنتين هذه الكتابات الحديثة لأنه بدا، كما توضح سارلو، أن كتابات بورخيس تعكس وتستبق الاهتمامات النقدية الراهنة المتعلقة بالتناص "Intertextuality"، أو وهم المرجعية، أو "موت المؤلف".

غير أنه ظل يمثل مشكلة لأولئك الذين أرادوا أن ينظروا إليه على أنه كاتب "أرجنتيني" يعلق، وإن بصورة غير مباشرة، على التراث الأرجنتيني والحياة الأرجنتينية. والواقع أن اليسار والقوميين والشعبيين (وتشمل هذه الاتجاهات مجموعة متنوعة بكاملها من الاهتمامات المتداخلة المتشابكة) ظلوا مرتابين إزاءه بعمق. والحقيقة أن بورخيس لم يكن يساعدهم إذ إنه احتضن سلسلة من القضايا السياسية غير الراقية بكل جلاء. فقد كره بيرون وعارض الثورة الكوبية، وتحدث بصراحة مؤيدا للغزو الفاشل لخليج الخنازير، وأيد الحزب الأرجنتيني المحافظ، وقبل وسام شرف من الديكتاتور التشيلي [أوجوستو أوجارتي] بينوتشيت [Augusto Ugarte] Blnochet أثناء أشهر الانقلاب الدموي في تشيلي. ولم يكن ليزكيه أي خيار من هذه الخيارات لدى جيل شاب يزداد راديكالية لم يكن بمستطاعه إلا أن يقرأ إنتاج بورخيس من خلال الخطابات المُقنعة عن الطبقة، والتبعية، والتخلف، والعالم - الثالثة (نظرية العالم الثالث) Third Worldism. وفي مثل هذا العالم من "الحقائق" التي يتم الالتزام بها، كان بورخيس في أفضل الأحوال يعيش في غير زمانه وكان في أسوأ الأحوال من الأذئاب الثقافية للقوى الإمبريالية الجديدة. وبهذا المعنى كانت الطليعة السياسية والطليعة الثقافية تندفعان متباعدتين جدا أو بالأحرى، كما تعبّر سارلو، "كان شباب الدارسين والمتقنين اليساريين من جيل النصف الأول من السبعينيات يفكر في إخضاع قوى (أقوى كثيرا مما تحمل لفظة الهيمنة hegemony) للثقافة إزاء السياسة، والتجربة إزاء النظرية، والعالم الشعبي إزاء الأحزاب السياسية المنظمة على طراز لينيني". (٧)

وكان التوسير قد دافع عن دور قيادى المثقفين فى النظرية الثورية، فى حين أن فوكو (الذى كان - فى مفارقة أخرى - قارئاً رفيع الثقافة لبورخيس فى الوقت نفسه، كما يشهد مدخل نظام الأشياء) وتحليله للمعرفة والسلطة، كان له تأثير قوى ومقنع على عقلية الشبان الذين لم يشعروا بأى ميل إلى النزعة الإصلاحية وأرادوا أن يخضعوا ممارساتهم للإقرار العام للسياسة^(٨). وكان فوكو بشأن السلطة مفهوماً، أما فوكو بشأن بورخيس فقد جرى تركه جانباً. وكان انتصار النضال هو الذى يمثل النقطة المهمة، مما قام بتوطيد يوتوبيا التغيير الاجتماعى. ورأى قليلون أن بورخيس كان قد حذر فى قصصه المكتوبة فى أوائل الأربعينيات، من النظم اليوتوبية التى انهارت واستحالت إلى ديستوبيا dystopia . كانت هذه حالة الأرجنتين فى السبعينيات، وكان من شأن الديكتاتورية العسكرية الوحشية لعام ١٩٧٦ أن يدفع المجال الثقافى الممزق إلى إعادة التفكير فى المقدمات الأساسية وإلى إعادة صياغة قوالب جديدة، وكانت بياتريث سارلو أساسية فى هذا المسار.

(٣)

ورغم أن بعض الأعمال المبكرة لسارلو ظهرت فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، فإن إنتاجها الأكثر أهمية يرجع إلى أواخر السبعينيات، ومنذ ١٩٧٨ أدارت سارلو المجلة الثقافية وجهة نظر، وهى اليوم أهم مجلة للنظرية الاشتراكية فى الأرجنتين. ومثل كل أفضل المجالات الصغيرة، تستمر مجلة وجهة نظر بدعم مشترك ومجموعة متماسكة من المساهمين: كارلوس ألتاميرانو، وماريا تيريسا جراموجليو، وخوان كارلوس پونتييرو Juan Carlos Pontiero، وسارلو نفسها، وإيلدا ساباتو Hilda Sabato، وأوجو بيثيتى Hugo Vezzetti، وأوسكار تيران Oscar Terán، ورافائيل فيليبيللى Rafael Felipe، وآخرون. وعلى صفحاتها نقرأ استجابة النقاد الاشتراكيين إزاء القضايا السياسية الراهنة: انهيار الديكتاتورية العسكرية، وعدم جدوى حرب فوكلاندز/ مالبيناس، والمصاعب التى واجهت النظام الديمقراطى الجديد للرئيس [راؤول] ألفونسين [Raúl] Alfonsín، وعار العفو الحكومى عن القادة العسكريين الذين

كانوا قد أشرفوا على حملات الاغتيالات، وفي الآونة الأخيرة رسمت المجلة صورة دقيقة لبهلوانيات وشقليات شعبية [كارلوس] منعم [Carlos] Menem المحافظة، وهو بيروني ثاتشري إذا استخدمنا تضاداً لفظياً oxymoron جديراً ببورخيس (رغم أن بورخيس لم يعيش طويلاً بما يكفي لأن يشهد هذه البيرونية ذات الطراز الجديد). كما رسمت مجلة وجهة نظر صورة دقيقة للتبدلات في النظرية الثقافية، من موت الماركسية البنيوية عبر المجادلات المعاصرة عن الحداثة modernity وما بعد الحداثة postmodernity. وظل تقديم مؤرخين ونقاد بريطانيين مثل پيرى أندرسون Perry Anderson، وإ. پ. تومپسون E. P. Thompson، ورايموند ويليامز Raymond Williams، إلى القراء الأرجنتينيين جنباً إلى جنب مع نقاد أوروبيين من القارة ومنظرين من أمريكا اللاتينية. وفي عدة مناسبات أشارت سارلو كما أشار آخرون إلى الفائدة الخاصة لإنتاج رايموند ويليامز كمنهج لإعادة تحديد مفاهيم المجال الثقافي. وفي حين نظرت البنيوية والبنيوية الماركسية إلى "التجربة" experience على أنها كلمة قذرة، وعلى أنها جزء من المادية المبتذلة أو التاريخوية بدا في هذا المناخ الجديد أن تحليلاً لـ "التجربة المعيشة" lived experience، أو "أبنية الشعور" structures of feeling، وهي أشكال الوعي العملي، يفتح الباب أمام إمكانيات جديدة. كما أثبت ويليامز أن تاريخ الكلمات يمكن أن يفتح الباب أمام مناطق جديدة للتحليل الدلالي semantic والتاريخي. وكما تعبر سارلو:

كانت لدينا كلماتنا الرئيسية لنستكشفها. وعلى سبيل المثال، كلمات جاوتشو gaucho، وجرينجو gringo، وكريولو criolo، والبربري، والمهاجر، التي شكلت سلسلة تتابعت عبر النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى العقود الأولى من القرن العشرين. وقدمت عملية إضفاء الدلالات الجديدة resemantization التي استكشفها ويليامز إطاراً جديداً يمكن أن نترجمه إلى أسئلتنا نحن عن التكوين الثقافي للأرجنتين.^(٩)

والحقيقة أن إعادة قراءة الثقافة الأرجنتينية من خلال ويليامز ومن خلال [أنطونيو] غرامشي [Antonio] Gramsci، بين آخرين، أتاحت للمجلة القيام بإعادة كتابة للتاريخ الأرجنتيني وينقد شامل لما أطلقوا عليه تسمية "الشروح التبسيطية للتاريخ"، وبصورة خاصة أرثوذكسيات النزعة القومية الشعبية ونظرية التبعية.

وتفتح مقالات سارلو الكثيرة في مجلة وجهة نظر ومجموعة كتبها إمكانيات جديدة للقراءات، أكثر مما تقدم المزيد من القوالب النظرية أو النماذج النقدية.^(١٠) وقد ألقى أول كتاب رئيسي لها في الثمانينيات، وهو مكتوب بالاشتراك مع كارلوس ألتميرانو، نظرة جديدة على التاريخ الثقافي الأرجنتيني، منذ منتصف القرن التاسع عشر. والفصل السابع من الكتاب الحالي مأخوذ من هذا العمل المبكر مقالات أرجنتينية من سارميينتو إلى الطليعة *Ensayos argentinos: de Sarmiento á la vanguardia* (*) و بالاشتراك مع ألتميرانو كتبت سارلو دليلا نقديا إلى النظرية الأدبية والثقافية الأدب / المجتمع *Literatura/Sociedad* (**) وهو مدخل شامل إلى الموضوع يجمع بين المنظرين الأوروبيين والأمريكيين ونقاد أمريكا اللاتينية الأكثر حدة، ويقدم قراءات لنصوص كأمثلة/ نماذج *exempla* لمجال إشكالي، وهما يؤكدان بصورة ضمنية أن النقاد الأرجنتينيين قاموا، بسرعة بالغة جدا وفي وقت مبكر جدا، بتشويش أيديولوجيات سياسية سيئة الإعداد وجعلوها تسقط في عالم النظرية الثقافية. ويتساءلان: ماذا نقرأ وكيف نقرأ؟

ومن هذه الزاوية، ركز بحث سارلو نفسها على تأثير الحداثة في الأرجنتين خاصة في العشرينيات. وبهذا الصدد، تناقش سارلو مكونا أساسيا من مكونات التاريخ الثقافي لأمريكا اللاتينية ينظر إلى ما هو "شعبي" *popular* على أنه يكمن في الثقافة الريفية أو المحلية. وهنا تتمثل الكلمة المفتاح التي تستخدمها سارلو - وهي كلمة أساسية بالنسبة لهذا الكتاب عن بورخيس - في الامتزاج *mixture* الثقافي، في دمج مختلف طبقات التجربة، الحضرية والريفية، الأمريكية اللاتينية والأوروبية، النخبوية والشعبية. ولن يكون هذا الامتزاج خليطا بسيطا - كما يمكن أن يدل تعبير مثل "بوتقة الانصهار" - بل سيكون بدلا من هذا مكانا للتوترات الإبداعية. وتعبّر سارلو عن هذه الآراء بطريقة حاسمة: "أرفض أن أفكر في الثقافة الأرجنتينية على أنها فعل لإضفاء التجانس يتم القيام به باسم الهوية القومية، أو الطبقة العاملة، أو الناس (أو أية

(*) *Argentine Essays: from Sarmiento to the Avant-Garde*, 1983.

(**) *Literature / Society*, 1983.

منظورات سياسية يتبناها اليسار في هذه الأمور). كما أنني لا أعتقد أنه يتفق مع الحقائق أن نفكر في تاريخ هذه الثقافة على أنه معركة بلا نهاية بين الكتائب القومية والكتائب المعادية للقومية. كما أنه ليس دقيقاً أن ننظر إلى هذه العملية على أنها اختيار قاطع الوضع بين القوى «التقدمية» والقوى «الرجعية». وأخيراً، يتمثل إغراء آخر ينتاب اليسار في النزعة الأبوية التبشيرية، التي تجعلهم يحاولون إنقاذ القطاعات الشعبية من أخطار الثقافة «الرفيعة» والكوزموبوليتانية كما أنها تجعلهم - باسم احترام واجب للثقافات الإقليمية أو الريفية أو الشعبية (الفولكلورية) - يحتفون بأسلوب بانجلوسى Panglossian (*) ، بشيء من المحتمل أن يكون نتيجة للامساواة والظلم والحرمان". (١١)

ويتفحص إنتاج سارلو نفسها التراكم المعقد لطبقات المستويات الثقافية المختلفة هذه: من الأدب إلى الفن وإلى الرواية المسلسلة roman feuilleton . وقد نشرت عن المجلات النسائية والأدب المسلسل serial literature كتاب إمبراطورية العواطف *El imperio de los sentimientos* (**) وعن الحداثة وبوينوس آيرس كتاب حداثة طرّفية: *Buenos Aires 1920 - 1930 y Una modernidad periférica* (***) والفصلان الأول والثامن من الكتاب الحالي مستمدان جزئياً من هذا العمل الجديد الأملى المتعدد الأوجه، الذي يستكشف تأثير الحداثة على المدينة ومتلقيها وكتابها. وتتخلل الفكرة الرئيسية المتمثلة في "الحداثة في الأطراف" modernity on the margins كلا المجلدين المذكورين أعلاه، وفي وقت أحدث جداً تدرس سارلو، في كتاب

(*) بانجلوسى Panglossian : نسبة إلى الدكتور بانجلوس Pangloss معلم كانديد لفولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) في حكايته الفلسفية كانديد Candide (١٧٥٩) حيث يدعو بانجلوس المناصر لفلسفة لايبنتس Leibniz (١٦٤٦ - ١٧١٦) إلى نظرية مؤداها أن كل شيء هو الأفضل في هذا العالم الأفضل من العوالم الممكنة وهي النظرة التي تسخر منها رواية أو حكاية فولتير . (المترجم)

(**) *The Empire of Sentiment*, 1985.

(***) *A Peripheral Modernity: Buenos Aires 1920 and 1930*, 1988.

الخيال التقني *La imaginación técnica* (*) الطرق التي أثرت بها الأحلام الحديثة للتكنولوجيا (الاختراعات، والإذاعة، ووسائل الاتصال الجماهيرية) في مختلف مظاهر الثقافة الأرجنتينية خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. ويقوم إنتاجها على أساس من البحث الوثيق البالغ التدقيق الذي يشتبك باستمرار مع - لكنه يحتفظ أيضا بمسافة واضحة من - الأفكار السائدة والقراءات المعيارية/ المكرسة canonical . وبهذه الطريقة تزيح سارلو الأرثوذكسيات السائدة، بنيوية كانت أو شعبية أو مابعد - حداثة postmodernist، وتستكشف فضاء وحرية الأطراف margins. ونتيجة لهذا فإن سارلو قارئ جيدة بصورة خاصة لبورخيس.

(٤)

ويجمع الكتاب الذي بين يديك مختلف هذه الاهتمامات. وهو ثمرة سلسلة من المحاضرات التي ألقى بجامعة كامبردج في ١٩٩٢ وركزت على قراءة حميمة لبعض قصائد بورخيس وقصصه القصيرة. ويتمثل إطاره (في الفصول الأول والسابع والثامن) في أبحاثها حول المجال الثقافي الأرجنتيني في عشرينيات القرن العشرين التي تقدم، حسب تعبيرها، صورة عامة لبورخيس، سياقاً تتم فيه قراءة إنتاجه. وهي تضع في المدخل خطة لتطور مناقشتها، غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن هدف سارلو مزدوج على الأقل، فهي تعطي القراء الأمريكيين الشماليين والأوروبيين معنى لبورخيس باعتباره يكتب داخل وضد تراث أرجنتيني هو في حد ذاته تراث "كوزموپوليتاني" (يجمع بين ثقافات شعوب شتى). كما أنها تتيح لنقاد أمريكا اللاتينية وخاصة للنقاد الأرجنتينيين أن يعالجوا "الحول" squint الذي تفرضه القراءات المتحيزة، وأن يقدموا طرقاً جديدة للرؤية.

وبطريقة بورخيسية حقيقية، يمثل هذا الكتاب نسيجاً من لغات وترجمات مختلفة. فالمدخل والفصلان السابع والثامن كانت مكتوبة بالإسبانية وترجمها المحرر. والفصل الأول كان مكتوباً بالإسبانية وترجمه خورخي ميرييرس Jorge Myers الذي أدخلت المؤلفه تعديلات طفيفة على ترجمته. أما الفصول من الثاني إلى السادس فقد فكرت فيها وكتبتها المؤلفه بالإنجليزية، غير أن المقصود بها كان الإلقاء الشفاهي بجامعة

(*) *The Technical Imagination*, 1992.

كامبردج. ورغم أن المحررين أدخلوا بعض التصحيحات بغرض تباينات رئيسية في هذه التدوينات المختلفة، إلا أنه لم تجر أية محاولة متواصلة لإزالة اللهجة الشفاهية من الكتاب ككل. لقد تم إلقاء هذه الفصول كسلسلة محاضرات، ويتم تقديمها هنا في ذلك الشكل. وعند بورخيس، كما عند سارلو، تحتوى كل جملة على أفكار معقدة بحاجة إلى أن يحلّ القارئ عقدها. وقد تُمثل هذه المهمة تحدياً بالغاً في بعض الأحيان، غير أنها مجزية دائماً.

جون كينج

John King

جامعة وارويك

University of Warwick

الهوامش

Silvia Sigal, *Intelectuales y poder en la década del sesenta*, Buenos Aires, 1991, (١)
p. 26.

J. L. Borges, *The Book of Sand*, 1977, p.2. (٢)

Intelectuales: escisión o mimesis, *Punta de Vista* 25, December 1985. (٣)
للإطلاع على مراجعة بياتريث سارلو للسيتينيات، انظر

Maria Luisa Bastos, *Borges ante la crítica argentina, 1923-1960*, Buenos Aires, 1974. (٤)
انظر

Adolfo Prieto, *Borges y la nueva generación*, Buenos Aires, 1954, pp. 86-7. (٥)

Beatriz Sarlo, "Los dos ojos de Contorno", *Punta de Vista* 13, November 1981, p. 7. (٦)

Beatriz Sarlo, "Raymond Williams in Argentina", lecture given at King's College, Cambridge, April 1992, *mimeo*. To be published by the Centre of Latin American Studies in Cambridge. (٧)

Ibid. (٨)

Ibid. (٩)

(١٠) تشرح باتريثيا داليمان Patricia D'Allemand وجهة نظرها هذه في مدخلها الرائع إلى عمل
بياتريث سارلو "Hacia una crítica literaria latinoamericana: nacionalismo y cultura en
el discurso de Beatriz Sarlo", Centre for Latin American Cultural Studies, King's
College, London, Occasional Paper 1, 1990.

Beatriz Sarlo, "La izquierda ante la cultura: del dogmatismo al populismo", *Punta de Vista* 20, May 1984, p. 25. (١١)

إلى

خوان پابلو رينثى

Juan Pablo Renzi

مدخل

هذا الكتاب ثمرة أربع محاضرات ألقيتها بجامعة كامبردج في فبراير ١٩٩٢ كأستاذة لكرسى سيمون بوليفار Simón Bolívar للدراسات الأمريكية اللاتينية. وعند إلقاء هذه المحاضرات عن بورخيس كنت أحس بشعور غريب. فى جامعة بريطانية، كانت امرأة أرجنتينية أستاذة تتحدث عن كاتب أرجنتيني يعتبر اليوم "عالميا". والواقع أنه منذ تلك الأيام البعيدة فى الخمسينيات عندما ظهرت ترجمات لبعض إنتاجه فى الأزمنة الحديثة، انضم بورخيس إلى المجموعة الصغيرة من الكتاب المعروفين فى مختلف أنحاء العالم (المعروفين على نطاق واسع أكثر منهم مقروئين، وهذه هى الطريقة التى تتحقق بها الشهرة فى هذا العصر). وبعيدا عن المناخ الذى يمثل شرط قراءة إنتاجه فى الأرجنتين، وبعد أن توطد برسوخ داخل الأدب الغربى، فقد بورخيس جنسيته (قوميته) تقريبا؛ إنه أقوى من الأدب الأرجنتيني ذاته، وأوسع تأثيرا من التراث الثقافى الذى ينتمى إليه. وإذا بدا لنا أن بلزاك Balzac وبودلير Baudelaire أو ديكنز Dickens أو جين أوستن Jane Austen غير قابلين للفصل عن شىء يمكن أن نسميه "الأدب الفرنسى" أو "الأدب الإنجليزى"، فإن بورخيس، على العكس، يتحرك فى عالم نادر ما يُسمع فيه تعبير "الأدب الأرجنتيني".

ولهذا أسباب كثيرة، غير أننى أود هنا أن أتناول ما أعتبره أهم تلك الأسباب: فى المناخ الأوروبى الراهن، نجد صورة بورخيس أقوى من صورة الأدب الأرجنتيني. والحقيقة أنه يمكن فى أوروبا قراءة بورخيس دون الإشارة إلى المنطقة الطرفية marginal التى كتب فيها هذا الإنتاج. وبهذه الطريقة يكون لدينا بورخيس الذى تفسره الثقافة الغربية (ويفسرها فى الوقت نفسه) وكذلك التفسيرات التى تقدمها هذه الثقافة أيضا للشرق، وليس أيضا بورخيس الذى تفسره الثقافة الأرجنتينية (ويفسرها)، وبصورة خاصة ثقافة بوينوس آيرس. والحقيقة أن صيت بورخيس فى العالم جرده من الجنسية

(القومية). ويتمثل عامل مساهم آخر دون شك في الكمال النادر الذي تحققه كتابة بورخيس في لغة مثل الإنجليزية. ويمكن أن نؤكد أن هذه اللغة، الإنجليزية، هي لغة جذوره الثقافية، أو - إذا بدا هذا القول أقوى مما ينبغي - أن نؤكد أنها تمثل بطبيعة الحال أحد أقوى المؤثرات عليه. ومهما يكن من شيء فإن المحاضرات في كامبردج جلبت إلى في وطني هذه الصورة عن بورخيس - وهذا شيء كان ينبغي أن أعرفه من قبل - وتلقيت مزيداً من الإثبات عندما وجدت طبعات بورخيس الشعبية، جنباً إلى جنب مع الكلاسيكيات القديمة والحديثة، في كل مكتبة زرتها في بريطانيا. وما أقوله ليس بالشيء الجديد ويمكن أن يُنسب إلى دهشة ريفي ساذج. غير أنني أحسست في الوقت نفسه أن شيئاً في بورخيس (على الأقل بورخيس الذي نقرأه في المدينة التي أحبها، في بوينوس آيرس) تم فقدانه في هذه السيرورة من التحول المزدهر إلى العالمية. والحقيقة أن قراءة بورخيس ككاتب بلا جنسية (بلا قومية)، كعظيم بين العظماء، مبررة تماماً من الناحية الجمالية: يخاطب إنتاجه الاهتمامات والأسئلة والأساطير التي نعتبرها في الغرب عالمية. غير أن مثل هذه القراءة مهما تكن مبررة تماماً، تتضمن الاعتراف والخسارة، لأن بورخيس كسب ما اعتبره دائماً ملكاً له - حق الأمريكيين اللاتينيين في أن يعملوا من داخل كل تراث. وقد خسر أيضاً، وإن جزئياً، شيئاً اعتبره جزءاً أساسياً من عالمه : علاقاته بالتراث الثقافي لنهر پلاتي وبأرجنتين القرن التاسع عشر.

إنها ليست مسألة استعادة بورخيس إلى عالم رائع وفولكلوري كان يرفضه دائماً، بل المطلوب بالأحرى السماح له بأن يتحدث مع النصوص التي دخل معها ومع المؤلفين في مساجلات أدبية واستعادته إلى السياق الذي قام فيه بقطيعاته الجمالية. ولا ينتمى هؤلاء المؤلفون جميعاً إلى المبدأ العظيم الخاص بتراث عالمي. إنهم في الغالب غير معروفين جيداً، غير أنهم كانوا مهمين في المجال الثقافي الذي شارك فيه بورخيس من عشرينيات القرن العشرين فصاعداً.

وتستكشف الفصول الأولى من هذا الكتاب ما صنعه بورخيس بالواقع الذي لا مفر منه والمتمثل في واقع مولده وكتابته في الأرجنتين. ومن المأمول أن يكون ممكناً بهذه الوسيلة أن نرى بشيء من الصفاء الطرق التي واصل بورخيس من خلالها حواراً

مع الثقافة الغربية. وفي غضون عقود قليلة، قدم بورخيس للأرجنتين طريقة جديدة ومختلفة للارتباط بالأدب. وقد أعاد بالكامل تنظيم النسق، واضعاً على طرف منه ما تبقى من التراث الجاوتشي وعلى الطرف الآخر إضفاء الطابع القصصى على نظرية التناص "Intertext"، قبل أن تنشرها كتب النقد الأدبي بسنين. ولهذا فإن بورخيس "مألوف" بالنسبة لقراء وكتاب الأرجنتين، ويمكن أن نرى تأثيره في نوع من اللغة المشتركة *lingua franca*، في لغة مشتركة *koine* أدبية تمتزج فيها التفافات قصصه مع الحكايات التي لفقها بنفسه بشقاوة من أجل وسائل الإعلام الجماهيرية ورددها في مئات المقابلات الصحفية من الستينيات فصاعداً. ومن السهل اليوم في الأرجنتين إثبات أن مسألة الأدب الأرجنتيني محورية في إنتاجه، الآن بعد أن تم، بصورة نهائية، إضعاف قوى القومية الثقافية الضيقة، التي أدانت بورخيس في الأربعينيات والخمسينيات.

وباختصار، لا يوجد في الأدب الأرجنتيني كاتب أكثر أرجنتينية من بورخيس. وفي إنتاجه لا يتم التعبير عن هذه السمة الثقافية القومية في عرض الأشياء، بل يحدث هذا بالأحرى في استكشافه للطريقة التي يمكن بها كتابة الأدب العظيم في بلد طرفي (هامشي) ثقافياً. ويتناول إنتاج بورخيس دوماً هذه القضية، وهي إحدى أهم المسائل بالنسبة لبلد فتي نسبياً، لا يملك تراثاً ثقافياً قوية، ويقع في أقصى جنوب الممتلكات الإسبانية السابقة في أمريكا اللاتينية؛ وأيضاً في أقصى جنوب المستعمرة الإسبانية الأكثر فقراً ثقافياً، فهي لم تملك أية ثقافات محلية قبل كولومبية عظيمة خاصة بها.

وهناك أسباب كثيرة للنظر إلى بورخيس على أنه كاتب عالمي كوزموبوليتاني. فهو كذلك بطبيعة الحال، ويسمح إنتاجه بمثل هذه القراءة. ويمكن أن يقرأ المرء بورخيس دون رجوع إلى مارتين فييرو *Martín Fierro* (*)، أو [د. دومينجو] سارميينتو *[D. Domingo] Sarmlento*، أو لوجونيس. ويمكن أن تستكشف قراءة كهذه شواغله الفلسفية الكبرى، وصلته المتوترة ولكن الدائمة بالأدب الإنجليزي، ونسقه في الاستشهادات،

(*) القصيدة الملحمية التي تحمل الاسم نفسه وهو النموذج الأصلي البطولي للجاوتشو، وهي من تأليف خوسيه إيرنانديث. (الترجم).

ومعرفته الواسعة المستمدة من التفاصيل الثانوية الدقيقة للموسوعات، وانشغاله ككاتب بمجموع الأدب الأوروبي، وما صاغه هذا الأدب باعتباره "الشرق". ويمكن أن يستكشف مجموعته من الرموز، والمرايا، والمتاهات، ومن أنواع القرين doubles ، أو وُلعهُ بميثولوجيا شمال أوروبا والقبالة cabbala . غير أن قراءة محصورة ضمن هذه الحدود لن تلتقط التوتر الذى يسرى عبر إنتاج بورخيس، تلك الحركة غير الملحوظة تقريبا التى تصيب التراثات العظيمة بعدم الاستقرار بمجرد أن تتقاطع مع بُعد يتعلق بنهر پلاتى (بالمعنى الذى تتقاطع به الطرق - ولكن أيضا بالمعنى الذى تمتزج به الأعراق).

وقد كتب بورخيس عند هذا الملتقى بين الطرق. والحقيقة أن إنتاجه ليس سلسا، كما أنه لا يركز على أساس ثقافى متجانس. وبالأحرى فإنه ينطوى على توتر يؤدي إليه الامتزاج مع، والإحساس بالحنين نحو، ثقافة أوروبية لا يمكن أبدا أن تقدم بالكامل أساسا ثقافيا بديلا. وفى صميم إنتاج بورخيس يكمن صراع، وسوف يحاول هذا الكتاب أن يقرأ إنتاجه على أنه استجابة لذلك الصراع بدلا من النظر إليه على أنه كتابة غير إشكالية بطريقة منمقة. وقد سعتُ إلى إبراز هذا التوتر الذى يسرى، فى رأى، عبر كل إنتاج بورخيس، ويحدده: لُعبة على حافة ثقافات متباينة، تتأخم الحدود، فى مكان يُطلق عليه بورخيس الحوافّ las orillas . وبهذه الطريقة، يبرز كاتب له جانبان، هو فى آن واحد عالمى (كوزموپوليتانى) وقومى.

وكان بورخيس الكوزموپوليتانى (الذى تعلّم فى سويسرا أثناء الحرب العالمية الأولى وتربى مبكرا على الكتب الإنجليزية فى مكتبة أبيه) قد عاد إلى الأرجنتين فى أوائل العشرينيات لىبقى هناك إلى ما قبل موته بسنين قليلة جدا. وفى الحال بدأ يطرح أسئلة أساسية. كيف يمكن كتابة الأدب فى الأرجنتين، فى بلد طرفىّ marginal ذى سكان من المهاجرين، يعيشون فى مدينة ميناء/ مرفأ، بوينوس آيرس؟ وكانت هذه المدينة فى سبيلها إلى التحول إلى عاصمة، غير أنها كانت لا تزال محاطة بصورة بالغة بالريف - ذلك المدى الواسع من الطبيعة الذى كان لا يزال من الممكن فيه سماع

أصداء ثقافة ريفية كريولية criollo (*)، حتى عندما كان التحديث يقضى عليها: قبل كل شيء كأسطورة: في مواجهة ماضيه الكريولى، سأل بورخيس عن الطريقة التي كان يمكن بها تفادي مزالق الطابع المحلي، الذي لا يمكن إلا أن ينتج أدبا إقليميا ومحليا بصورة ضيقة، بدون التخلي عن كثافة الثقافة تلك التي تأتي من الماضي وتشكل جزءاً من تاريخنا الخاص. ويفترض هذا السؤال بصورة مسبقة سؤالاً آخر، يتعلق بالتراث الثقافي. وكان لا يزال ماثلاً، قريباً جداً من بورخيس، الأدب الجاوتشى للقرن التاسع عشر في نهر پلاتى، وكتابات سارميينتو، وسلسلة البطولات العائلية تقريبا للحروب الأهلية التي سبقت تنظيم الدولة القومية، والمعارك بين الهنود والبيض طوال عقود ضارية دموية جائرة. ولم تختف قط هذه الآثار للماضى الأرجنتينى من إنتاج بورخيس. وبالأحرى فقد تمثل أحد أهدافه فى أن يقوم بتجميع الشظايا المبعثرة لهذا التراث وفى أن يقوم داخل نطاق كتابته ذاتها بإعادة ربط كتابة الأرجنتينيين الآخرين الذين كانوا قد اختلفوا فى ذلك الحين.

وأول شيء يقوم به بورخيس هو أن يعيد تشكيل تراث ثقافى من أجل المكان الغريب النادر المتمثل فى بلاده. ويمكن أن نرى هذا الهدف الجمالى والأيدىولوجى فى إنتاجه من العشرينيات وحتى نشر مجموعة تاريخ عالمى للعار *Historia universal de la infamia* فى ١٩٣٥، هذه المجموعة التى نشر فيها قصته الأولى عن الكومپادريتو compadritos، أو المقاتلين بالسكاكين. غير أن مهمته لا تنتهى عند ذلك الحد: تُعاود مشكلة الثقافة الأرجنتينية الظهور فى قصص بورخيس حتى كتبه الأخيرة، وخاصة فى قصص تقرير برودى (تقرير الدكتور برودى) *El Informe de Brodie* المنشورة فى منتصف الستينيات. ويعيد بورخيس اختراع ماض ثقافى ويعيد تشكيل تراث أدبى

(*) فى كل مواضع هذا الكتاب، تشير كلمة "كريولو" / "كريولى" Criollo (كريوئى) إلى سكان ذوى ، وثقافة ذات ، أصول هيسپانية Hispanic أو استعمارية أو من القرن التاسع عشر ، والـ Criollos هم المنحدرون من الإسپان Spaniards ، ويمكن أن يكونوا قد اكتسبوا فيما بعد قطرات قليلة من الدم الهندى. والصفة والاسم criollo يشيران إلى ملاك الأرض والعمال والجاوتشو gaucho . كما تشير لفظة criollo إلى الثقافة الرفيعة القرن التاسع عشر ، وإلى نظام إنتاجها ، وعاداتها ، وقوانينها ، وقيمها . غير أن هذه اللفظة تستخدم أيضاً لوصف التكوينات الحضرية الاستعمارية . وفى العقود الأولى من القرن العشرين ، استخدمت لفظة criollo لتحديد تمييز قاطع عن الأجانب المنحدرين من المهاجرين إلى الأرجنتين .

أرجنتيني في نفس الوقت الذي كان يقرأ فيه آداباً أجنبية. وعلاوة على هذا فإنه يستطيع أن يقرأ الآداب الأجنبية بالطريقة التي يفعل بها هذا، على وجه التحديد لأنه يقرأ، أو قرأ، الأدب الأرجنتيني. وفي نزعة بورخيس العالمية الكوزموپوليتانية شرط يتيح له أن يخترع إستراتيجية للأدب الأرجنتيني. وعلى العكس فإن إعادة تصنيف التراث الثقافي القومي تجعل بإمكان بورخيس أن يختصر الآداب الأجنبية وأن يختارها وأن يعيد تصنيفها بدون تصورات مسبقة، مؤكداً حق أولئك الذين غدوا طرفيين في أن يقوموا باستخدام حر لكل الثقافات، كما يقدم بورخيس للثقافة الأرجنتينية، عن طريق إعادة اختيار ثقافة قومية، قراءة ملتوية للآداب الغربية. ومن حافة الغرب، ينجز بورخيس أدباً يرتبط بالأدب الأجنبي غير أنه ليس تابعا له بحال من الأحوال.

وفي هذا تكمن أصالة بورخيس: ككاتب - ناقد، ككاتب قصة قصيرة - فيلسوف، يناقش بورخيس في نصوصه، بصورة ملتوية، الموضوعات الرئيسية للنظرية الأدبية المعاصرة. وقد حوّل هذا إلى كاتب معبود *a cult writer* بالنسبة للنقاد الأدبيين المعاصرين الذين يكتشفون عنده صوراً أفلاطونية لاهتماماتهم: نظرية التناص، وحدود وهم المرجعية، والعلاقة بين المعرفة واللغة، ومعضلات العرض والسرد. وتحوّل آلة بورخيس الأدبية هذه الأسئلة إلى قصص، فتنتج تكوينات *mise en forme* من المشكلات النظرية والفلسفية دون السماح أبداً لتطور الحكاية بأن يفقد تماماً المعية المسافة التهكمية أو الموقف الحذر وضد السلطوى للأدبية. وضد كل صور التعصب، يقدم إنتاج بورخيس المثل الأعلى للتسامح. ولم يتحقق قط تمييز هذه السمة بالتأكيد الكافي، ربما لأننا نحن مثقفي أمريكا اللاتينية اليساريين كنا أبطأ من أن نتعرف عليها في القصص التي تتناول أسئلة عن النظام في العالم. وتقدم ثيمات بورخيس الفانتازية، التي علق عليها النقاد بلا استثناء، فناً معمارياً رمزياً *allegorical* لاهتمامات فلسفية وأيديولوجية. وإذا كان الدفاع عن استقلال الفن والإجراءات الشكلية يمثل أحد عمودى جماليات بورخيس، فإن العمود الثانى، الأكثر تناقضاً، يتمثل في المشكلة الفلسفية والأخلاقية لمصير الكائنات البشرية وعلاقاتهم بالمجتمع. كما يتم طوال هذه الصفحات إلقاء الضوء على هذه الاهتمامات، التي تتعايش مع شواغل ميتافيزيقية عن تنظيم الواقع في كون.

ولم يكن هدفى الإصرار على قراءة واحدة لبورخيس (وهذا بطبيعة الحال طموح أحقق بالأحرى)، بل كان هدفى أن أقدم طرقاً مختلفة لقراءته تأخذ فى الحسبان الطبيعة المزدوجة والمتناقضة دوماً لإنتاجه الأدبى، وأنا لا أريد أن أقدم تفسيراً لبورخيس يقوم على إثارة الكاتب "الكوزموبوليتانى" على حساب الكاتب "الأرجنتينى"، أو أن أختار بين كاتب القصص الفانتازية والكاتب الذى تستحوذ عليه مسائل فلسفية. والحقيقة أن أصالة بورخيس - صورة من الصور الكثيرة لأصالته - تكمن فى مقاومته لأن يكون موجوداً فى المكان الذى نبحث فيه عنه. ويبقى شئ ما من الكاتب الطليعى القديم فى هذه المقاومة للرد على ما يجرى السؤال عنه أو لسؤال نفسه عما يُراد سماعه منه.

وإذا كانت توجد فى أدب بورخيس سمة بالغة الخصوصية ولا يمكن إنكارها، فلا مناص من البحث عنها فى الصراع الذى يُوقع الاضطراب فى التنظيم الدقيق لحُججه والمظهر المحكم لكتابه. ومتخذاً مكانه على الحدود بين الثقافات، وبين الأنواع الأدبية، وبين اللغات، صار بورخيس كاتب الحواف، طرفياً فى المركز، وكوزموبوليتانيا فى الحافة. إنه كاتب يزود العمليات الأدبية والإجراءات الشكلية بالقدرة على استكشاف المسألة الفلسفية والأخلاقية التى لا تنتهى أبداً لحياتنا. وهو كاتب يبنى أصالته عبر الاستشهادات، والنسخ، وإعادة كتابة نصوص أخرى، لأنه من البداية يتصور الكتابة على أنها قراءة، ومن البداية يرتاب فى أية إمكانية للتصوير الأدبى للواقع. وقد حاولت هذه الصفحات أن تكون وفيه لكل هذه التوترات فى قراءتها لبورخيس اليوم، فى وقت يبدو فيه أن إنتاجه تغطيه الشهرة التى صاحبت سنواته الأخيرة، وبالشبح الذى لا يتزحزح لمجد بعد الموت.

شكر وتقدير

تمتعتُ في كامبردج بالمساندة الدافئة والقوية فكريا من زملائي في مركز دراسات أمريكا اللاتينية والضيافة الأكاديمية والمادية السخية من الكلية الملكية. وقد وفرت لي هذه المؤسسات والصداقات التي جلبتها شروطا مثلى لمواصلة هذا العمل. وقد اقترح جيمس دنكرلي James Dunkerley وبصورة خاصة دونالد نيكولسون - سميث Don- ald Nicholson- Smith طرقا عديدة لتصحيح نصوصي الإنجليزية الأصلية. كما أعبر عن جزيل شكري وامتناني لسخاء صديق قديم لي ولبلادي، جون كينج John King، الذي كان تأليف هذا الكتاب فكرته.

القسم الأول

الكتابة على الخافة

الفصل الأول

صورة عامة لبورخيس

بوينوس آيرس فى عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. إن كل محاولة للتقسيم إلى فترات مثيرة للجدل ، غير أنه لاشك فى أن هذين العقدین شهدا تغيرا هائلا. ولا ينحصر الجدل فى مجرد الطليعات الجمالية والتحديث الاقتصادى، بل يمتد ليشمل الحداثة كآسلوب ثقافى يترسخ فى بنية مجتمع لم يكديدى مقاومة، سواء سياسيا، أو اجتماعيا. والحقيقة أن العمليات الاجتماعية والاقتصادية التى تلاحقت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لم تبدل فقط المشهد الحضرى وإيكولوجيا المدينة، بل أيضا التجارب المعيشة للسكان. وعلى هذا النحو تغدو بوينوس آيرس مثيرة كفضاء مادي وكأسطورة ثقافية فى آن معا. وتفترض المدينة والحداثة مسبقا كل واحدة منهما الأخرى لأن المدينة كانت مسرح التغيرات التى جلبتها الحداثة: لقد عرضتها بأسلوب ظاهرى وأحيانا وحشى، ناشرة ومعممة إياها.

ولهذا فإنه ليس من المدهش أن تقوم الحداثة، والتحديث، والمدينة، بدمج البرامج، والقيم، والمقولات، التى تسمح لنا بوصف فضاءات فيزيائية جديدة، وعمليات مادية وأيديولوجية. ونظرا لأن بوينوس آيرس تغيرت، أمام أعين سكانها، بسرعة تتوافق مع إيقاع التكنولوجيات الجديدة للإنتاج والنقل فإننا يمكن أن نتصور المدينة كتكثيف رمزى ومادى للتغيير. وبوصفها كذلك فإنه يجرى الاحتفاء بها وتقييمها فى آن معا. وبوصفها المسرح الذى نطارد عليه أشباح الحداثة فإن المدينة هى الآلة الرمزية الأقوى للعالم الحديث.

ولا يمكن النظر إلى فكرة بوينوس آيرس منفصلة لا عن التغيرات التى أدى إليها التحديث ولا عن تحقيق أفكار أخرى تنتمى إلى مشروعات دومينجو ف. سارميينتو

وخوان باوتيسا ألبيردى Juan Bautista Alberdi في القرن التاسع عشر. لقد هزمت المدينة العالم الريفي، وقدمت الهجرة إلى الأرجنتين من أوروبا والهجرة الداخلية (التي صارت ضخمة منذ منتصف الثلاثينيات) أساسا ديموجرافيا جديدا. وقام التقدم الاقتصادي بتركيب نموذج على الواقع، خاصة وأن الكساد الكبير لم يؤثر على التطور الأرجنتيني لفترة ممتدة. وساد الوهم بأن الطابع الطرفي لهذه الأمة الأمريكية الجنوبية صار يمكن النظر إليه على أنه حظ سعيد لتاريخها وليس على أنه سمة لحاضرها.

وفي الوقت نفسه فإن فكرة الأرجنتين كبلد طرفي، وكمنطقة ثقافية تابعة - هذه الفكرة العامة التي تبدو غير ملائمة أو حتى بشعة عند مقارنتها بالنموذج الأوروبي - تواصلت بطريقة متناقضة ولكن ليست غير قابلة للتفسير. ^(١) وقد تشتتت عواطف متعارضة - الاحتفاء، أو الحنين، أو النقد - خلال المجادلات الثقافية عن المدينة. وعلاوة على هذا فقد نُسجت في العشرينيات والثلاثينيات بعض الأساطير السياسية بقوة حول بوينوس آيرس، هناك، على سبيل المثال، مجاز المدينة - المرفأ كالة مركزية جاذبة وشرهة تقوم بإفراغ بقية البلاد، التي لم يكن بوسعها بعد أن تعتبر نفسها حضرية حتى مع أن الحضرة كانت تنتشر بسرعة. ^(٢) وفي هذه الأعوام كان كل من الرغبة في والخوف من المدينة قد انتهى إلى أن يشغلا حيزا رئيسيا في المجتمع الأرجنتيني والثقافة الأرجنتينية.

والحقيقة أن الرغبة في المدينة قوية في التراث الأرجنتيني في القرن التاسع عشر قوة اليوتوبيات الريفية. وبهذا المعنى فإن المثقفين في القرن التاسع عشر كانوا يتشبثون بنموذج سارميينتو وليس بنموذج خوسيه إيرنانديث، مؤلف مارتن فييرو ونصير حقوق الجاوتشو. وكان الاستثناء الوحيد على هذا هو ريكاردو جويرالديس، صاحب النزعة الكوزموبوليتانية الريفية إذا كان من المسموح به أن نستعمل هذا التناقض اللفظي oxymoron، وبورخيس الذي اخترع صورا لبوينوس آيرس والماضي الريفي الأرجنتيني على السواء.

وكان الحيز المثالي للمدينة مفهوما ليس فقط من الناحية السياسية، كما في مختلف فصول العاملين الشهيرين فاكونو Facundo أو أرخيروبوليس Argiropolis لسارميينتو، ليس فقط كمسرح اكتشف فيه المثقفون المزيج المحدد للثقافة الأرجنتينية،

بل أيضا كعالم خيالي يمكن أن يخترعه الأدب ويقيم فيه. وقد نفخت المدينة الحياة في المجادلات التاريخية، واليوتوبيات الاجتماعية، والأحلام البعيدة المثال، ومشاهد الفن. وأن نلمس الحياة كان يعنى الوصول إلى منطقة كانت قد عززت كثيرا من اختراعاتنا. غير أن المدينة، وربما كان هذا هو الأهم، كانت المسرح الأوحى بلا منازع للمتق، وكان كل من الكتاب وجمهورهم فاعلين حضريين (٣).

وكانت بوينوس آيرس قد اتسعت اتساعا هائلا فى العقدى الأولى من القرن العشرين. وكما أكد فالتربنيامين Walter Benjamin فإن المدينة الجديدة تجعل المتسكع flâneur ممكنا اجتماعيا، وقابلا للتصديق بمعنى أدبى. ذلك أن المتسكع يمكن أن يلاحظ هذه التغيرات بالتحديق المجرد من الهوية لشخص لن يتعرف عليه أحد إذ إن المجتمع لم يعد حيز الصلات المباشرة، بل صار حيزا تنعقد فيه الصلات عبر وساطة مؤسسات وعبر السوق. وفى رحلته من الضواحي إلى وسط المدينة، يعبر المتسكع مدينة صارت محددة من نواح عريضة، غير أنها مازالت تحتوى على قطع كثيرة من الأرض لم يتم البناء عليها بعد، والأراضى البور، والشوارع التى بدون رصيف على الجانب الأخر calles sin vereda de enfrente، بالتعبير اللبق لبورخيس. غير أنه بحلول بداية الثلاثينيات كانت قد حلت كابات أسلاك الكهرباء محل النظم القديمة للغاز والكىروسين. وكانت سماء بوينوس آيرس متشابكة الخطوط بالفعل بأسلاك التليفون وكانت الأسطح مليئة بهوائيات الراديو، ذلك أن الراديو أتى إلى بوينوس آيرس فى نفس الوقت المبكر الذى أتى فيه إلى الولايات المتحدة. وكان النقل بالمركبات، وخاصة بالترام والقطارات، قد انتشر وتنوع. وعاش سكان المدينة بإيقاع لم يسبق له مثيل: قدمت تجربة السرعة، وتجربة الإنارة الصناعية - وتجربة الاتصالات البعيدة المدى، التى سرعان ما ستؤدى إلى ظهور صناعة ثقافة قوية - مجموعة جديدة من الصور والمدرجات الحسية. وبوسع أولئك الذين كانوا، مثل بورخيس، فوق العشرين فى عام ١٩٢٥ أن يتذكروا بحنين تلك المدينة كما كانت عند منعطف القرن، وكان بوسعهم أن يؤكدوا الاختلاف.

وقد زودت التكنولوجيا المسرح الحضرى بالآلية الجديدة؛ فقدمت تعاريف جديدة للمكان والزمان: يوتوبيات مستقبلية متصلة بسرعة النقل، وبإثارة الصناعية التى

أحدثت قطيعة عميقة مع إيقاعات الطبيعة، وبالساحات الكبيرة المغلقة التي كانت نوعاً آخر من الشارع، ومن السوق، ومن مكان اللقاء.

ويتضح هذا النمط الجديد من التكوين الجمالي الأيديولوجي، في المقام الأول، في اختلاط الخطابات والممارسات: تكون المدينة الحديثة دائماً غير متجانسة لأنها على وجه الدقة محددة كحيز عام. والشارع مكان، بين أماكن أخرى، تشن فيه مختلف المجموعات الاجتماعية حرباً للرمزية. كما أن الهندسة المعمارية، وتخطيط المدن، والتصوير، ترفض الماضي، وتصحح الحاضر، وتتخيل مدينة جديدة. وقد أقام المصور إكسول سولار Xui Sōlar ،^(٤) رفيق المجموعات الطليعية في السبعينيات الذي يستشهد به بورخيس في كثير من الأحيان، بتفكيك الحيز التشكيلي المجازي، جاعلاً إياه في آن معاً مجرداً وتكنولوجياً، هندسياً ومسكوناً برموز قصة سحرية - علمية magical-scientific fiction نوعية. فالملاحون الجويون الذين رسمهم إكسول سولار يطفون داخل طائرات تختلط فيها الأعلام والشارات: ونحن هنا إزاء صورة متقنة للغاية تلخص بمعنى ما التحديث التقني والتنوع القومي لبوينوس آيرس.

كما تمثل يوتوبيات معمارية استجابة مركبة لعملية التحول . فبين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٥، تخيل فلاديميرو أكوستا Wladimiro Acosta قصة معمارية، "بلوك المدينة" كبديل للنمو الفوضوي حقا لبوينوس آيرس. ومن وجهة نظر أخرى، صارت الأرستوقراطية المثقفة بكتوريا أوكامبو Victoria Ocampo راعية ونصيرة للتحديث المعماري وشجعته من خلال مجلة سور (الجنوب) Sur ،^(٥) التي بدأت تُطبع للمرة الأولى في عام ١٩٣١، وبالنسبة لأوكامبو فإنه كان يمكن النظر إلى الحداثة على أنها أداة لتنقية الذوق، لا غنى عنها في مدينة كانت الهجرة إليها قد تركت فيها آثاراً مادية، وأحدثت فيها أصولاً قومية شتى فوضى في الطرز المعمارية. وسوف تطرح الحداثة برنامجاً لإضفاء التجانس في مواجهة "فولابوك" Volapuk (عدم تجانس) في الطرز المعمارية ناشئاً عن الهجرة: سوف تضبط كتله وواجهاته الشارع.

وكان لتأثير هذه التحولات، التي جرت في فترة قصيرة نسبياً من الزمن، بُعد ذاتي: في الواقع كان بوسع رجال ونساء أن يتذكروا مدينة كانت مختلفة عن المدينة

التي كانوا يعيشون فيها في ذلك الحين، وعلاوة على هذا فإن المدينة السابقة كانت مختلفة بدورها عن مدينة طفولتهم ومراهقتهم. وكان ماضي هؤلاء الناس يشكل أساس ما كان قد جرى فقده (أو ما كان قد جرى كسبه) في مدينة الحاضر الحديثة.

كانت مدينة بوينوس آيرس قد صارت مدينة كوزموبوليتانية من حيث سكانها. والحقيقة أن ما صدم أو روع القوميين في ١٩١٠، العيد المئوي لاستقلال الأرجنتين، كان له تأثيره أيضا على مثقفي ١٩٢٠ و ١٩٣٠: مجموع المهاجرين الأوروبيين الذين كانوا قد بدأوا القدوم إلى الأرجنتين في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان قد وصل في ذلك الحين إلى عشرات الآلاف. وحتى في وقت مبكر مثل عام ١٩٣٦ وصلت نسبة الأجانب إلى ٣٦,١ في المائة من إجمالي سكان المدن الكبرى في الأقاليم الساحلية. ومن منظور عام كانوا أصغر سنا وكانت نساقهم ينجبن أطفالا أكثر من النساء الهيسپانيات الكريوليات، إلى حد أن المهاجرين وأبناء المهاجرين وصلت نسبتهم إلى ٧٥ في المائة من إجمالي النمو السكاني في الأرجنتين. وكان هؤلاء يمثلون قطاعات صارت متعلمة وكانت قادرة على الحصول على التعليم الابتدائي الإلزامي. وبدأوا الرحلة الشاقة للصعود في المجتمع وانضم كثير منهم إلى صفوف المثقفين والصحفيين.

ويمثل حيز المدينة الحديثة الكبيرة (النموذج الذي اقتربت منه بوينوس آيرس في العشرينيات وصارت أقرب إليه أكثر في الثلاثينيات) حلقة للامتزاج القومي والائتلافية تغدو فيها كل الالتقاءات والاستعارات ممكنة، كفرضية. ولهذا فإن ما نجده هنا يتمثل في ثقافة يحددها مبدأ عدم التجانس الذي يؤدي، في الحيز الحضري، إلى اختلافات ملحوظة للغاية. وفي المدينة تتشكل الحدود بين الخاص والعام وتعاود التشكل بلا انقطاع؛ وهناك يخلق المجال الاجتماعي الشروط الملائمة للامتزاج كما يخلق الوهم، أو الإمكانية الفعلية، لارتفاعات وسقوطات مدوخة. وإذا كان الطريق السريع إلى الثراء يجعل المدينة موقعا ملائما لحراك إلى أعلى، فإن إمكانية عدم تمييز الهوية anonymity تحولها إلى المكان المفضل، الوحيد الممكن حقا، للمتسكع، والمتأمل (الذي يعيش عزله وسط رجال آخرين)، وللرائي voyeur الشهواني (*) الذي يلهبه التحديق في المرأة

(*) الرائي (المتلصص جنسياً) voyeur : شخص يحصل على إشباع جنسي أو لذة جنسية من رؤية المشاهد الجنسية . (المترجم)

المجهولة التي تمر في الطريق. ويجري الاحتفاء بالروذيلة وبتحطيم القواعد الأخلاقية بوصفها مجد المدينة أو وصمتها. ويفقد الحيز العام قداسته؛ فيغزوه كل شخص، وينظر كل شخص إلى الشارع على أنه مكان عام، وتتضاعف العروض فيه وتتمايز في الوقت نفسه، وتُعرض فيه السلع خالقة رغبات لم تعد تعترف بالقيود التي تفرضها الهيراركية (التسلسل الهرمي) .

غير أنه يوجد هناك شارع آخر، وهو حيز رمزي يظهر بصورة متواترة عند كل كاتب أرجنتيني من العشرينيات والثلاثينيات تقريبا، من أوليبيريو خيروندو Oliverio Gironde إلى راؤول جونتاليث تونيون Raúl González Tuñón، مروراً بروبرتو أرلت Roberto Arlt وبورخيس. (٦) وفي الشارع يجري تصوُّر الزمن بوصفه التاريخ وبوصفه الحاضر على السواء. ولا شك في أن هذا الشارع برهان على التغير ولكن لعله صار أيضا الموقع الذي يجري فيه تحويل هذه التغيرات إلى أسطورة أدبية. ذلك أن الشارع الحديث، المتشابك الخطوط بكابلات الكهرباء وقضبان مركبات الترام، كان يمكن رفضه، إذ إن الكتاب بحثوا وراءه عن بقايا شارع لعل التحديث لم يمسه إلى ذلك الحين - تلك الناصية الخيالية بالضاحية والتي اخترعها بورخيس في صورة الحواف، كمكان غير محدد الملامح بين المدينة والريف. من ناحية هناك الافتتان بشارع وسط المدينة حيث يكثر الأرستقراطيون تماما مثل البغايا، وحيث يدُسُّ بائع الصحف الكوكابين في الظرف لزبائنه، وحيث يتردد الصحفيون والشعراء على نفس الحدائق والمطاعم التي يتردد عليها المجرمون والبهيميون. ومن ناحية أخرى، هناك حنين إلى شارع الحي، حيث تقاوم المدينة وصمات الحداثة، رغم أن الحي ذاته ربما كان نتاجا للتحديث الحضري .

غير أن عدم تجانس هذا الحيز العام - والذي ازداد حدة في الحالة الأرجنتينية نتيجة للامتزاجات الثقافية والاجتماعية الجديدة التي أحدثتها التغير الديموجرافي الضاغط - وضع مختلف مستويات الإنتاج الأدبي في علاقة ببعضها البعض، موطدا نظاما بالغ السيولة من التداول الجمالي والاستعارة الجمالية. وكان قد جرى بالفعل تكوين جمهور متوسط الثقافة نشيط وقاطع التحدد، ومنقسم إلى فئات اجتماعيا، وأيديولوجيا، وسياسيا. وبحلول منتصف الثلاثينيات كان معدل الأمية في بوينوس آيرس ٦٤,٦ في المائة فقط. كان هنا، إذن، حيز اجتماعي يشغله جمهور محتمل ضخم

من القراء شمل كثيرا من القطاعات الاجتماعية الدنيا. وكان يجرى إنتاج كتب، وروايات مسلسل، ومجلات واسعة التوزيع، من أجل هذا الجمهور الجديد، ليغطي مجموعة واسعة من الأنواع - من الأدب "المتعة والتسلية" إلى الدعاية التعليمية والاجتماعية الصريحة. وشرعت دور نشر ناجحة مثل كلاريداد Claridad في إصدار دفعات من الطبعة تصل إلى ما بين عشرة آلاف وخمسة وعشرين ألف نسخة، وكانت تنشر شيئا يسيرا من كل شيء: القصة الأوروبية، والمقالات الفلسفية والسياسية، والعلم الشعبي، والشعر. وكانت هذه الكتب الرخيصة تملأ أرفف القارئ الفقير. وكانت تقدم أدبا مسئولا أخلاقيا، ومفيدا تربويا، وفي المتناول فكريا واقتصاديا على السواء. وقد قام هذا النمط من دور النشر بتكوين جمهور قراء كان، أيضا بفضل نمط جديد من الصحافة، متغيرا ومتوسعا بصورة متواصلة. وبدأ إصدار صحيفتين كبيرتين هما كريتিকা (النقد) *Crítica* والمونديو (العالم) *El Mundo* في عامي ١٩١٣ و ١٩١٨ على التوالي. وتمثلت السمات المميزة لهذه الصحافة الجديدة للقطاعات الطبقة المتوسطة والدنيا في إيقاع جديد، مقالات قصيرة جدا، ومواد أخبارية غير مألوفة، وتقارير عن الجريمة، والرياضة والسينما، وأقسام مخصصة بصورة محددة للنساء، والحياة اليومية، وللأطفال، وللكاريكاتور، مع تأكيد خاص على مواد الجرافيك، غير أن هاتين الصحيفتين قدمتا أيضا الوظائف لكتاب جدد على المجال الثقافي وحتى لأولئك الذين من نوى الأصل العريق، مثل بورخيس، الذي أدار الملحق الملون لصحيفة كريتিকা لفترة قصيرة. وكان بين الصحافة الجديدة والأدب الجديد نقاط تماس كثيرة وكاننا مسئولين معا عن إرساء أسس شكل حديث للكاتب المحترف وأيضا عن ترسيخ تفضيلات القراءة للجمهور الجديد. إننا هنا إزاء ثقافة كانت تغدو أكثر ديمقراطية في الإنتاج، والتوزيع، والاستهلاك.

كما أقام يسار إصلاحى وانتقائى مؤسسات من أجل نشر الثقافة - مكتبات شعبية، وقاعات محاضرات، ودور نشر، ومجلات - موجهة إلى تلك القطاعات التي بقيت على هامش "الثقافة الرفيعة". وجرى طرح مسألتى الأمية والإصلاح الاجتماعى باعتبارهما عملية تربية للجماهير العاملة التى كان يجرى دمجها بالتدريج فى ثقافة ديمقراطية وعلمانية. ومن الناحية الأدبية، كان هذا يعنى تقديم سلسلة من الترجمات

(من الواقعية الروسية والفرنسية على وجه الخصوص) كما كان يعنى تقديم نظرية للإبداع الأدبي a poetics للنزعة الإنسانية الخيرية Humanitarianism .

كما أن المجلات التي كانت من طراز مجلة كاراس إي كاريتاس (وجوه وأقنعة) Caras y Cerebras (التي ظهرت لأول مرة قرب نهاية القرن التاسع عشر) جرى تحديثها، بالتعبير عن خطابات ومعلومات من نوع مختلف، والعناية بتقديم عالم رمزي متكامل وجد فيه كل من السينما، والأدب، والموسيقى الشعبية، والمقالات التي تدور حول الحياة اليومية، والأزياء، والمسلسلات الهزلية، مكانا له. كذلك فإن الروايات المسلسلة feuillets العاطفية والمجلات صممت بالتفصيل أفقا للرغبة، وقدمت نماذج للمتعة، وعملت من أجل، والتأثير في، جمهور كان قد بدأ لتوه في استهلاك الأدب. ومن جهة عبر هذا الوسيط، ومن جهة أخرى تحت السحر القوي للأفلام الصامتة، كان بوسع هذا الجمهور في ذلك الحين أن يحلم الأحلام الحديثة للسينما، والأزياء، ورفاهية العواصم، وعالم المحلات الكبيرة المتعددة الأقسام، وعروض التسوق، والمطاعم الفاخرة، وصالات الرقص. وكان أدب أكشاك الصحف هذا يقوم على المتعة، متعة الإثارة الجنسية، والعاطفية، وأحلام اليقظة. على أن أولئك الذين أنتجوا هذه الثقافة امتزجوا أيضا، مساهمين في اتساع نطاق هذا النسق وفي عدم استقراره على السواء: كانت الاستعارات والمؤثرات الثقافية، والنصوص التي تذبذبت بين الثقافة "الرفيعة" و"الهابطة"، يجرى تقديمها جميعا لجمهور ذي تنوع ثقافي بالغ.

غير أن عدم التجانس هذا نفسه كان مقلقا في حد ذاته. ذلك أن الصحف الحديثة الكبرى، والمجلات، والراديو، والسينما، وعروض المنوعات، والمسرح، اتجهت - على وجه التحديد لأنها خاطبت أنماطا مختلفة من الجمهور - إلى تسليط ضوء ثقافي قوي على الفوارق الاجتماعية بين الكريولو القدامى، والمهاجرين وأبناء المهاجرين إلى الأرجنتين. وقد أثار تجاور هذه المجموعات المختلفة نزعات قومية كما أثار رهاب (الخوف المرضي من) الأجانب، وقام بتعزيز إحساس بالحنين إلى المدينة كما كانت قبل عام ١٩٢٠ .

وفي ذلك الحين كان من الممكن النظر إلى بوينوس آيرس نظرة محدقة استعادية وضعت في البؤرة ماضيا أكثر خيالية من الواقع (كما هو الحال مع بورخيس المبكر)،

كما كان من الممكن اكتشافها انطلاقاً من نشأة طبقة عاملة وثقافة شعبية، تشكلت تحت تأثير السينما والراديو وقامت بتنظيمها صناعة ثقافة سريعة النمو. وقد غيرت الرأسمالية الحيز الحضري بعمق وجعلت النسق الثقافي أكثر تعقيداً. وبدأ الناس يعيشون هذا التعقيد ليس فقط كمشكلة مزعجة بل أيضاً كثيمة جمالية، حافلة بصراع البرامج والنظريات الأدبية Poetic مما أشعل معارك الحداثة. وحملت واقعية النزعة الإنسانية الخيرية humanitarian realism السلاح ضد الطبيعة، غير أن خطابات ذات وظائف مختلفة تصادمت: الصحافة ضد القصة، والسياسة ضد المقال العام، والكلمة المكتوبة مقابل الصورة السينماتوغرافية.

وعُمتُ المجادلات بشأن تأسيس قاعدة معيارية canon ثقافية مختلف المجالات الأدبية. وكان الكريولو القدامى غير مستعدين للتسليم بأنه يمكن أيضاً إنتاج لغة أدبية من جانب كُتّاب لم يولد أباًؤهم في الأرجنتين، وتكشفهم لكتنهم كمهاجرين قادمين من ضواحي وأطراف المدينة. والحقيقة أن التعقيد الثقافي والأيديولوجي لتلك الفترة إنما هو نتاج لهذه المؤثرات المختلفة، وكذلك لامتزاج مختلف الخطابات من التصوير التكعيبي أو الشعر الطليعي إلى التانجو، أو السينما، أو الموسيقى الشعبية، أو موسيقى الجاز.

كذلك فإن عدم تجانس الخطابات، من الإعلان إلى الصحافة، ومن الشعر إلى الأدب المبتذل Trivialliteratur، ومن المسلسلات الإذاعية إلى الميلودراما السينمائية، أجبر الأدب ذاته على الخروج من عزلته، إذ إنه وجد نفسه مضطراً إلى أن يشتمل على هذه المؤثرات المختلفة. ويمثل روبرتو أرلت Roberto Arlt حالة في الصميم. وقد ناقش النقاد بإسهاب الصلة بين رواياته وبين الرواية المسلسلة. ومع هذا فإن أرلت يثبت صلته ليس فقط بأدب "النخبة" بل أيضاً بالنصوص والممارسات الجديدة للعلم، والكيمياء، والفيزياء، وتلك الأشكال الزائفة للعلم الشعبي التي كان يجري تداولها آنذاك في بوينوس آيرس مثل التنويم المغناطيسي، والميسميرية mesmerism (كلمة قديمة بمعنى التنويم المغناطيسي أيضاً)، والاتصال التخاطري (التليپاثي)، وما أشبه ذلك. ولا يمكن فهم كتابة أرلت، ولا رغبات شخصياته، إذا لم يتم الرجوع إلى معارف الفقراء التقليدية هذه، المكتسبة في الكتيبات الرخيصة، وفي المكتبات الشعبية التي أقيمت في كل

الأحياء، وفي ورش المخترعين الحمقى الذين جربوا الإضاءة التي تُغْمِي البصر للكهرباء، وانصهار المواد، والجلفنة، والمغناطيسية.

ومن جهة أخرى فإنه ما كانت لتوجد رؤية أرلت المستقبلية لولا طرق جديدة لعرض "مسرح" المدينة - وبصورة خاصة الأفلام. وتنطوى بوينوس آيرس التي يصفها أرلت على شيء من الطابع الكابوسي للمدينة كما جرى تصويرها في الأفلام التعبيرية الألمانية التي كان يجري عرضها في ذلك الحين في بوينوس آيرس. ويزور أرلت المدينة كما لم يفعل أحد قبله. فهو يذهب إلى السجون والمستشفيات، وينتقد العادات الجنسية لنساء الطبقة الوسطى الدنيا ومؤسسة الزواج، ويفضح أنانية البرجوازية الصغيرة والطموح الذي يفسد القطاعات الوسطى الصاعدة، ويصم بالعار ذلك الغباء الذي يقوم بتعريته لدى الأسرة البرجوازية.

ويمكن وضع ممارسة أرلت في مجال مزج وتحويل مختلف العناصر في سياق منظور أعم: تكوين الكاتب عن طريق أساليب غير تقليدية تشمل، بصورة محورية، الصحافة ومختلف صور الثقافة الشعبية. والواقع أن نشأة كل من هذين المؤثرين كانت في سياق الثقافة الصناعية الجديدة كما أنهما افترضا بصورة مسبقة نشوء أنماط غير تقليدية من الجمهور، وبالتالي طرقا جديدة لقراءة وتأسيس الأنواع الأدبية.

وقد قدم المشهد الحضري الجديد، وتحديث وسائل الاتصالات، وتأثير هذه العمليات على الأعراف والعادات، إطار عمل وكذلك مجموعة من التحديات أمام المثقفين. وفي غضون أعوام قليلة جدا، كان على المثقفين أن يعالجوا في تجربتهم المعيشة ذاتها تغيرات أثرت على العلاقات التقليدية، وأشكال إنتاج ونشر الثقافة، وأساليب السلوك، والطرق التي تم بها تأسيس القاعدة المعيارية canon الأدبية، وتنظيم المؤسسات، وتلقى الصراعات الاجتماعية بظلالها على المجادلات الثقافية والجمالية. وتتمثل بعض المسائل التي شملها الجدل في اللغة (من الذي يتكلم ويكتب إسبانية "مقبولة" لا تشوبها مؤثرات أدخلها المهاجرون؟)، والكوزموبوليتانية (فيم تتمثل أممية مشروعة وفيم يتمثل إفساد للأمة؟)، والكريولية (ما هي الأشكال التي يمكن دمجها في مبدأ جمالي جديد وتمثل مجرد انحرافات بديعة وفولكلورية؟). وفي الوقت نفسه، يوجد دائما تقييم للماضي يجري التعبير عنه بعبارات نوستالجية أو نقدية.

وفى أوروبا تتميز عملية الحداثة بوضع من الاستقلال النسبى إزاء الماضى، وهو وضع يصفه كارل شورسكه Carl Schorske بأنه لامبالاة متزايدة: الماضى لم يعد يُرى فى صورة استمرارية وظيفية. ويشير شورسكه إلى "موت التاريخ"، كشرط مسبق ضرورى لتأسيس الحداثة كخطاب شامل وكممارسة للهيمنة فى المجالين الأدبى والثقافى: انتصار [فريدريش] نيتشه [Friedrich] Nietzsche^(٧) غير أن هناك، فى حالة بورخيس وكثير من كتاب الطليعة الأرجنتينية، محاولة واضحة لمنح الماضى وظيفة جديدة، ذلك أن صرامة القطيعة مع التراث الثقافى مرتبطة بالعنف الذى يمارسه هذا التراث. وتغدو القطيعة أكثر جذرية فى مجتمع تكون فيه الأشكال الحديثة للعلاقات بين المثقفين عميقة الجذور بالفعل، وتكون قد تكونت فيه انقسامات وجماعات جمالية وأيديولوجية، وتوجد فيه صراعات واضحة حول القاعدة المعيارية canon، وحول الرموز والسلطات. وعندما تكون المجابهة إزاء تراث وطيء قوى فإنها تبدو وكأنها إستراتيجية ضرورية من وجهة نظر الفنانين الجدد والمبادئ الجمالية الجديدة. وفى الثقافة الأرجنتينية يجرى منح هذه الصلة العامة مع الماضى شكلا نوعيا عن طريق القراءة والاستعادة الخيالية لثقافة متأثرة للغاية بالهجرة والحضرة.

وعلاوة على هذا فإنه يوجد فى الأرجنتين، كما فى بلدان أخرى فى أمريكا اللاتينية، اختلاف بين أشكال الحداثة الفنية، التى تشدد على الاستقلال الذاتى، وأشكال القطيعة الطليعية، الباحثة عن منبر عام للتعبير عن الصراعات الفنية. والحقيقة أن عملية التحديث الثقافى، التى تم تحقيقها فى القرن العشرين، تتعلق بصورة رئيسية ببرامج النزعة الإنسانية humanism واليسار. وبالنسبة للطليعة يمثل "الجديد" الأساس لترسيخ قيمة جمالية، فى حين أنه بالنسبة لمثقفى اليسار يجب البحث عن هذا الأساس فى الإصلاح، أو فى الثورة، أو فى نوع ما آخر من يوتوبيا التحويل. وفى هذا السياق تجد الحداثة مكانها فى عمليات تغيير أسس الممارسات الثقافية.

وعلى هذا النحو جابهت الأيديولوجيات السياسية والجمالية والثقافية بعضها الآخر فى جدال اتخذ بوينوس آيرس مسرحا له، وفى كثير من الأحيان شخصية رئيسية له. والمدينة الحديثة حيز متميز يجرى فيه تنظيم أشكال عينية ورمزية من ثقافة فى سياق من التحول فى شبكة العمل الكثيفة لمجتمع منقسم إلى طبقات. وقد جرى

تمثيل أو تشويه هذه الفوارق الاجتماعية فى المجال الفكرى وكانت ماثلة فى الصراعات المؤسسية والجمالية على السواء. وقد أحس المثقفون بأن المعارك التى كان يجرى خوضها فى المجال الثقافى تمثل فصولا مهمة فى عملية كان المستقبل يتعرض فيها، بطريقة ما، لخطر. وقد أنتجوا ردود أفعال مختلفة على هذه الحالة من عدم التجانس؛ فدافع البعض عن نخبة روحية يمكن أن تظهر أو، على الأقل، تشجب الطابع المصطنع والفساد للمجتمع الأرجنتينى. ولجأ آخرون إلى أساطير وصور الماضى لعلها تصلح لإعادة هيكلة العلاقات الراهنة، هذا التكتيك الذى أدى فى كثير من الأحيان إلى اختراع ماضٍ خاص. ويبقى آخرون غيرهم أقروا بتنوع الحاضر وكان الأمل يحدوهم فى أن يقوموا عن طريق ذلك التنوع بإعادة بناء ثقافة.

ومتأثرين بالتغيير، وغارقين فى مدينة كانت لم تعد مدينة طفولتهم، ومجبرين على الإقرار بوجود رجال ونساء قاموا، نتيجة لكونهم مختلفين، بتدمير أية مفاهيم عن وحدة أصلية، وناظرين إلى أنفسهم على أنهم مختلفون عن النخب الأدبية من ذوى الأصل الإسپانى الكريولى، حاول مثقفو بوينوس آيرس، بطريقة مجازية أو مباشرة، أن يجيبوا على السؤالين الرئيسيين فى زمنهم. كيف يجرى قبول أو طمس الاختلافات فى التجربة المعيشة، وفى القيم، وفى الممارسات؟ وكيف يتم بناء هيمنة من أجل عملية شاركوا فيها جميعا، وسط صراعات وشكوك فى مجتمع فى حالة تحول؟ وقد ظلت الإجابات على هذين السؤالين للعشريين والثلاثينيات ملائمة حتى الخمسينيات على الأقل. وكانت هذه فترة من الشكوك، ولكن أيضا من اليقينيات الكبرى، من إعادات القراءة للماضى، ومن يوتوبيات تصادمت فيها تمثيلات المستقبل والتاريخ فى نصوص ومساجلات. وكان "الجديد" يدفع ثقافة بوينوس آيرس إلى الأمام، رغم أن مثقفين كثيرين أحزنهم الطابع الذى لا رجوع عنه للتغيير. ذلك أن الحداثة مسرح لفانتازيات الاستعادة ولكن أيضا للفقدان، وهذا ما يجلب معه مشاعر الحنين.

الهوامش

(١) كان خطاب المقالات في الثلاثينيات والأربعينيات يتخذ كموضوع من موضوعاته الأساسية هذا المفهوم من البشاعة *monstrosity* ، الذي نشأ عن التحديث والذي، وفقا لوضعيه، لم يكن ليفد رفيقا ضروريا للحدثة في أوروبا. وفي (1933) *Radiografía de la Pampa* يطرح إيثيكييل مارتينيث إسترادا Ezequiel Martinez Estrada نقده لبلد لم يستجب لوعود وأحلام "آباءه المؤسسين". ولم تترك الهجرة الضخمة للأرجنتين سوى صورة منحطة من أوروبا (صورة استبقها ذلك التصور الذي يفهم الفتح الإسباني على أنه اغتصاب rape)؛ وكانت بوينوس آيرس قناعا لم ينجح إلا في أن يثبت بطريقة واضحة للغاية فشل الحضارة في أمريكا. أما (1937) *Historia de una pasión argentina* الأقل تشاؤما لإدواردو ماليا Eduardo Mallea فإنه يبدى الدهشة إزاء المدينة الكبيرة غير أنه، في الوقت نفسه، يتصور أن المدينة المراثية والمادية تغطي واقعا آخر غير مرئي ينبغي تأسيس الثقافة الأرجنتينية على قيمه.

(٢) في الثلاثينيات، بدأ راؤول سكالابريني أورتيث Raúl Scalabrini Ortiz مهمته المتمثلة في التنديد بالدمار الاقتصادي للأرجنتين الذي حدث نتيجة للإمبريالية البريطانية التي زعم أنها، عن طريق مد شبكة السكك الحديدية، شوهت الأرض القومية وحولت بوينوس آيرس إلى منطقة تتدفق إليها بصورة جائرة كل الثروات التي تنتجها الأقاليم. وكان لأعمال سكالابريني أورتيث تأثير هائل على تكوين الأيديولوجيات والأساطير القومية التي سوف تتلاقى، بعد عقود، في البيرونية.

(٣) في رأي خوسيه لويس روميرو José Luis Romero تمثل هذه الإنتاجية للحضرين (واللنخب الحضرية) إحدى السمات الرئيسية للميراث الثقافي والمؤسسي لأمريكا اللاتينية. انظر -*Latinoamérica: cana: las ciudades y las ideas*, Mexico City 1976.

(٤) Aldo Pellegrini, Prologue, *Xul Solar 1887 - 1953*, Paris 1977.

(٥) John King. *Sur: A Study of the Argentina Literary Journal and its role in the Development of a Culture, 1931 - 1970*, Cambridge 1986.

(٦) Olivero Gironde, *Veinte poemas para ser leídos en el tranvía*, in *Obras Completas*, Buenos Aires 1990; Raúl González Tuñón, *El violín del diablo*, Buenos Aires 1926, and *Miércoles de ceniza*, Buenos Aires 1928; Jorge Luis Borges, *Poemas*

(1922 - 1943) Buenos Aires 1943; Roberto Arlt, *El juguete rabiosa, Los siete locos, Los lanzallamos*, and *El amor brujo*, in *Obras completas*, Buenos Aires 1981.

Carl Schorske, "The Idea of the City in European Thought: Voltaire to Spengler", (v) in Oscar Handlin and John Burchard, eds., *The Historian and the City*, Cambridge (Mass.) 1963.

الفصل الثانى

بورخيس والأدب الأرجنتيني

يقدم إنتاج بورخيس أحد النماذج - وربما النموذج الأمثل - للأدب الأرجنتيني. إنه أدب جرى بناؤه، كالأمة الأرجنتينية ذاتها، من مؤثرات مختلفة: الثقافة الأوروبية، والتراث الكريولى، واللغة الإسبانية بلكنة نهر پلاتى. والمكان الذى يقيم فيه بورخيس، والذى اخترعه فى دواوينه الشعرية الثلاثة الأولى المنشورة فى العشرينيات،^(١) هو ما سماه بورخيس الحواف *las orillas*. ومنذ البداية، رفض بورخيس ذلك النوع من النزعة الريفية اليوتوبية التى كان قد قدمها ريكاردو جویرالديس فى *نون سيجوندو سومبرا Don Segundo Sombra* (١٩٢٦)، هذه الرواية الكلاسيكية التى تتبّع تربية صبى فى بيئة تسودها أعراف وأخلاق سهول الپامپا *pampas* بتوجيه الشخصية الأكثر نجاحا لمعلم جاوتشى. وفى نظر بورخيس، ينبغى، بدلا من هذا، أن يكون المشهد الخيالى للأدب الأرجنتيني منطقة مبهما صارت فيها نهاية الريف والخطوط الخارجية للمدينة غير واضحة المعالم.

وقد لعب بورخيس على كل معانى لفظة *orillas* (حافة، ساحل، هامش، حد) من أجل خلق أيديولوجيم *Ideologeme*^(*) قوى بما يكفى لأن يفسر شعره المبكر ولأن يعاود الظهور فى كثير من قصصه القصيرة. وعن طريق هذا الأيديولوجيم خلق بورخيس أسطورة للمدينة، التى كانت فى رأيه بحاجة ماسة إلى أساطير:

لا وجود لأساطير فى هذه البلاد وما من شبح واحد يجوس خلال شوارعنا. وهذا هو عارتنا، إن واقعنا المعيش باهر غير أن حياة خيالنا حقيرة...

(*) أيديولوجيم قياسا على فونيم *phoneme* ، وفيلوسوفيم *philosopheme* ، سيم *seme* : أصغر وحدة قابلة للفهم من الأيديولوجية . (المترجم)

وبوينوس آيرس الآن أكثر من مجرد مدينة، إنها بلد، وعلينا أن نجد الشعر،
والموسيقى، والتصوير، والدين، والميتافيزيقا، الملائمة لعظمتها. هذا حجم
أملى وأنا أدعوكم جميعا إلى أن تصيروا آلهة لتعملوا على تحقيقه (٢).

وفى تلك الأعوام فى بوينوس آيرس، كانت لفظة orillas تصف أحياء الضواحي
الفقيرة التى كانت تقع فى جوار قريب إلى سهل الپامپا التى كانت تحيط بالمدينة.
وكان الأورييرو (ساكن الحواف) orillero هو المقيم فى تلك الأحياء، التى كانت تُعتبر
عادة فظة وفى كثير من الأحيان عنيفة، وهو الذى حافظ على كثير من أعراف وأنماط
سلوك ماضيه الريفى القريب. وكان الأورييرو يعمل فى مشروعات نصف ريفية نصف
حضرية مثل محلات الجزارة، التى احتاجت إلى كثير من مهارات اليد العاملة الريفية
واستخدمتها. وكان يعرف كيف يستخدم سكينًا مثل أجداده الجاوتشو، وكان يواصل،
كما تمضى السيرة قائلة، استعماله كسلاح فى المبارزات. وقد تمثل نموذج أكثر
أسطورية للأورييرو فى الكومپادريتو compadrito، هذه الشخصية التى صارت شهيرة
فيما بعد من خلال أغاني التانجو. وينتمى النموذج الأصلي للأورييرو إلى التراث
الثقافى الكريولى، فيما قبل وصول المهاجرين الإيطاليين والأوروبيين الآخرين إلى
الأرجنتين. غير أنه، كما أقر بورخيس نفسه متهمًا، فإن أبناء المهاجرين الإيطاليين
الذين نجحوا فى أن يصيروا مندمجين فى الثقافة الكريولية كان بوسعهم أيضا أن
يطمحوا إلى أن يكونوا كومپادريتو compadritos. على أنه بحلول الزمن الذى بدأ
بورخيس يكتب فيه، كان الأورييرو (ساكن الحواف) orilleros والكومپادريتو يفقدون
سماتهم الأكثر عدوانية وتميزًا ممتزجين فى ثقافة شعبية مشتركة. وعندما يستدعى
الحواف، يكتب بورخيس عن العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر والعقدين الأولين
من القرن العشرين أكثر مما يكتب عن العشرينيات والثلاثينيات. ومدركا لهذه الإزاحة
الزمانية، يستخدم الزمن الماضى ويُورد تواريخ تشير إلى شىء ما جرى فقده،
ولم يعد من الممكن استرجاعه:

يا شارع سيرانو،

أنت لم تعد نفس ما كنتَ فى زمن العيد المئوى (لاستقلال الأرجنتين)

كنتَ فى ذلك الزمن سماءً أكثر وأنت الآن مجرد مبانٍ (٣)

وفى نظر بورخيس، تملك الحواف سمات إقليم خيالى، فضاء فى الوسط بين السهول والمنازل الأولى للمدينة ، وموقع طوبوغرافى حضرى - كريولى، موضح فى الصياغة التى صارت الآن كلاسيكية باعتباره الشارع الذى بدون رصيف على الجانب الآخر sin vereda de enfrente . وتتسع الحدود بين المدينة والريف عند الحواف عندما تصبح هذه الأخيرة فضاء أدبيا. وفى الوقت نفسه تصبح هذه الحدود مسامية. ومشهد الحواف يتميز بامتدادات خلاء من الأراضى البور والجدران الطينية ذات التجاويف (التى توضع فيها الزهريات والتماثيل) ، ويبرز الشبابيك المزخرفة وأسيجة السيना - سينا cina-cina وزهر العسل، وبالباحات التى تكسر المدى اللانهائى للسماء:

الباحة، التى تتحدى السماء

الباحة هى المنحدر

الذى تصب السماء فى المنزل تحته (٤)

وتأتى العربات الصيفية carros del verano إلى الحواف تفوح منها رائحة السهول. كما أن الجدران القرنفلية الفاتحة، والزرقاء السماوية، والمطلية بالجير الأبيض للمنازل الريفية هى أيضا ألوان الحواف. وفى الحواف، وبصورة غير ملحوظة، تصبح البوابيريا pulperia (مطعم ومشرب ريفى) ، مكان بقالة almacén، ويصير تقاطع طريقين ريفيين ناصية شارع.

ومن ذاكرة لبوينوس آيرس ليست تقريبا ذاكرته، يحرض بورخيس ضد المدينة الحديثة هذه المدينة الجمالية بدون مركز، المبنية بالكامل على القالب المصمم لها مش. وما كان بديها بالنسبة لمعاصريه يصير غير ملحوظ فى شعر بورخيس فى العشرينيات. وكان اثنان من أبرز معاصريه، هما الروائى آرلت والشاعر خيروندو، مفتونين بحركة "الجديد": القطارات وعربات الترام، والمباني العالية، وبلوكات المدينة. أما بورخيس فيقوم، على النقيض، بإعادة بناء شىء ما من المحتمل أنه لم يوجد مطلقا، شىء كان من الممكن، لهذا السبب ذاته، تحويله إلى حنين. والحقيقة أن حواف الأدب المهددة يمكن أن نلقاها فى أى ناحية من المدينة، على وجه التحديد لأنها أطراف بدون مركز. ويمكن تحديدها بحركة المتسكع flâneur، الذى يهيم على وجهه بلا هدف عبر الضواحي النائية

والأحياء البرجوازية الصغيرة الأكثر ألفة، محدقًا بابتهاج إلى الماضي الذى ينبسط
أمام عينيه فى المباني والمشهد:

هناك زمن كان فيه هذا الحى صداقة،
نزاعا بين صور من النفور والمودة، مثل أمور الحب الأخرى؛
غير أن ذلك الإيمان يتواصل بالكاد
فى بعض المآثر الغابرة التى سوف تموت:
فى الميلونجا التى تستعيد إلى الذاكرة النواصى الخمس،
فى الباحة مثل وردة ثابتة تحت الجدران المتسلقة،
فى اللافتة غير المدهونة التى تعلن، لا تزال، زهرة الشمال،
فى الرجال الذين يلعبون الجيتار والورق فى المخزن العام،
فى الذاكرة الساكنة للرجل الأعمى. هذا الحب المبدد هو سرنا المحبب.
هناك شيء ما غير مرئى يأخذ الآن فى الاختفاء من العالم،
حبٌ ليس أوسع من لحن.

الحى يغادرنا الآن، والشرفات الرخامية الصغيرة المتينة
لا تضعنا وجها لوجه، مع السماء (٥)

وفى إحدى مقدماته الكثيرة لمارتن فييرو، العمل الرئيسى للأدب الأرجنتيني فى
القرن التاسع عشر، يؤكد بورخيس أنه "تتمثل وظيفة من وظائف الفن فى توريث أمس
وهمى لذاكرة البشر". (٦) وهذا الأمس الوهمى هو أيضا، أو ربما بصورة أساسية،
مكان يستبقيه بورخيس من الريف، لأنه يفضل تلك الشوارع الطويلة التى تفيض على
الأفق، حيث تزداد الضاحية فقرا بصورة متواصلة وتمزق نفسها إربا فى الخارج
بعد الظهر" (٧).

وقد حرر بورخيس الحواف من الوصمة الاجتماعية للكومباريتو، الذي كان يسمّى أيضا في بعض الأحيان الأوريثو، وبدلا من النظر إلى الحواف على أنها حدود يمكن منها فقط القفز إلى العالم الريفى ل دون سيجوندو سومبرا، يتلبث بورخيس هنا ويصنع من الحافة إقليما ومجازا. وقد اختار أن يقيم مكانا في ذلك الهامش، مدركا على نحو ما أنه يمكن العثور هناك على صورة شفرية للأرجنتين. ولعل هذا هو الذى يفسر امتناعه عن الاعتراف بالإحياء الجاوتشى الذى بشر به ريكاردو جويرالديس في دون سيجوندو سومبرا، ويفسر كذلك ضعفه إزاء شاعر ثانوى من بوينوس آيرس، إيباريسكو كارييجو Evaristo Carriego، الذى كتب بورخيس عنه مقالا في طول كتاب، وهو منشور في عام ١٩٣١ .

ولم يكن بوسع بورخيس إلا أن يهتم بكارييجو. ذلك أنه عند كارييجو، ربما بطريقة خرقاء، يمكن العثور على موضوع نظر إليه كتاب النخبة في تلك الفترة على أنه هامشى. وفي العقد الأول من القرن العشرين، كان مركز المجال الثقافى يشغله ليوبولدو لوجونيس والحداثة modernismo، شعر غنى بالصوت والقافية، في صورة غريبة (مجلوبة) مبنية على نسق محكم الصنع من المدركات البصرية واللمسية والموسيقية، استلهمت الپرناسية والرمزية الفرنسيتين، وفكتور هيجو Victor Hugo ووالث ويطمان Walt Whitman. ورغم أن الحداثة (وشاعرها الرئيسى روبن داريو Rubén Darío) كانت أصيلة للغاية في قدرتها على الجمع بين مختلف المؤثرات الجمالية وعلى مزجها في نغمة جديدة مميزة ومشهد ثقافى جديد مميز، فإنها كانت، بحلول العشرينيات، قد استنفدت إمكاناتها الكامنة، وذوت جدتها لتصير جزءا مما كان يمكن النظر إليه على أنه التيار الأدبى الرئيسى. وقد عارض كتاب الطليعة التيار الأدبى الرئيسى وأبدوا احتقارهم له: كانت الحداثة قد صارت حركة راسخة وطيدة ينبغى الإطاحة بها.

وكان بورخيس معاديا بشدة للحداثة واللوجونيس، وسيكون شعره ذاته مختلفا تماما عن ممارساتهم. وإذا كانت الحداثة مركز النسق الأدبى، فقد اعتبر بورخيس أن كارييجو كان على وجه التحديد على الهامش: كاتب كان قد حاول أن يكون حداثيا modernista، فقط ليتوصل في وقت لاحق، في اثنتى عشرة قصيدة عن الضواحي، إلى

شكل معتدل من العاطفية كان استباقا لأغاني التانجو النوستالجية لأوميرو مانشي
Homero Manzi .

وبمجرد وضع كارييجو مقابل لوجونيس فإن كل الهيراركيات الجمالية
- الأيديولوجية التي كانت تنظم الأدب الأرجنتيني من قبل كان من الممكن قلبها رأسا
على عقب. وكان القضاء على لوجونيس يمثل إحدى المهام التي طبق عليها بورخيس،
باقتناع كبير، تهكمه النقدي، بادئا بنصوصه الأولى في العشرينيات. وكان مقال/
كتاب إيباريستو كارييجو *Evaristo Carriego* فصلا رئيسيا في هذا النضال الأدبي.
كما يتعرف بورخيس عند كارييجو على نص - أسبق pre-text، بالمعنى الأكثر أدبية
لللمة. ذلك أن كارييجو هو النص السابق لنصوص بورخيس نفسها، فقد كتب شيئا
لم يكن ليكتبه بورخيس، غير أنه كان شيئا يحتاج إليه بورخيس كنقطة انطلاق نحو إعداد
نظرية للأدب الأرجنتيني. والحقيقة أن أغنية الحى *La canción del barrio* لكارييجو
نص - أم ur-text سرى، وفرضية ضرورية بالنسبة للشعر المبكر لبورخيس.

وبطبيعة الحال فإن سيرة بورخيس عن كارييجو تمثل أيضا نصا - أسبق من
نواح أخرى^(٨). ففي مقدمة أضيفت بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما، يبوح بورخيس
بأحد الدوافع التي تشكل أساس ذلك الكتاب. لقد أراد أن يعرف، بمعنى بيوجرافى
وأدبى، ماذا كان يقع خارج المنزل العائلى لطفولته فى حى باليرمو Palermo:

ما الذى كان يوجد، فى الوقت نفسه، على الجانب الآخر من القضبان
الحديدية؟ أية مصائر سوقية وعنيفة كان يجرى التنفيس عنها هناك
بالخارج على بعد خطوات قليلة مني، وفى الحانة التى يملأ جوها الدخان
أو فى الأرض البور الخطرة؟ وماذا كانت صورة حى باليرمو، أو كم كان
يمكن أن يكون حى باليرمو جميلا لو كان على تلك الصورة؟^(٩).

ويمثل تاريخ باليرمو، الذى يؤلف الفصل الأول من الكتاب، نصا - أسبق لتاريخ
تضافرت فيه بعض صور الحواف والكومپادريتو، التى كان بورخيس قد اشتغل عليها
بالفعل، مع تفاصيل كانت وظيفتها الوحيدة شعرية. ويبدأ الفصل الثانى "حياة
إيباريستو كارييجو" *Una vida de Evaristo Carriego*، بعرض المفارقة المتمثلة فى "أن
فردا يرغب فى أن يوقظ لدى فرد آخر ذكريات كانت لا تنتمى فى يوم من الأيام إلا إلى

فرد ثالث: إنه يبدأ، بعبارة أخرى، بالمناقشة نقدياً لفكرة السيرة ذاتها. وعلى هذا النحو فإن منطقاً ذاتياً على وجه الحصر يربط معا "وقائع" حياة كارييجو مع الوقائع التي نسبها بورخيس إليه والتي تستحيل إلى ذكريات لبورخيس. أما الفصلان التاليان (ومن المفترض أنهما عن قُدَّاسات مهرطقة Misas herejes وأغنية الحي La canción del barrio، وهما مجموعتان من قصائد كارييجو) فإنهما يحفلان بإشارات صريحة وخفية إلى الأساطير الثقافية للضواحي ويعطيان وزناً لتأكيد بورخيس أن كارييجو يجب أن يُقرأ كشاعر للحواف. وعلى هذا فإن مقال/ كتاب إيباريستو كارييجو إنما هو محاكاة لسيرة، غير أنه مكتوب باعتباره فصلاً في تاريخ أسطوري لبوينوس آيرس، وفي الوقت نفسه، كبيان (مانيفستو) أدبي، وإن كان تهكمياً وملطفاً. ولم يتخل بورخيس في يوم من الأيام عن هذا الكتاب وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمن استمر في أوقات فراغه في إضافة صفحات وتصديرات واقتباسات أخرى باللغة الإنجليزية، وسرود قصيرة جداً، ورسائل - تتصل جميعاً بموضوعها بطريقة ملتوية للغاية.

وهذه السيرة أيضاً هي عمل رجل هباب، كما وصف بورخيس نفسه بعد ذلك بعدة أعوام، عندما نشر عمله تاريخ عالمي للعار. والشخصية "بورخيس" الذي يؤلف هذا الكتاب إنما هو محض اختراع مثل كارييجو، أما الطوبوغرافيا الخيالية للضاحية، والحد بين مدينة الطبقتين العليا والوسطى ومدينة الكومپادريتو، فإنها مرسومة باعتبارها أحد فضاءات أدب بورخيس ذاته، ويعيدا عن أن يكون سيرة، ومن الواضح أنه ليس كذلك، يمثل إيباريستو كارييجو نصاً - أسبق pre-text وبحثاً: المجلد الأول عن "تيلون" Telön الضواحي ذلك الذي يخترعه بورخيس تحت قناع بوينوس آيرس. وفي هذا المجلد، كما في موسوعة تيلون، يمكن بطبيعة الحال أن يجد تصور الفن مكاناً له. وسوف يعلق بورخيس في وقت لاحق بقسوة إلى حد ما على البناء الأسطوري والأدبي للحواف والكومپادريتو. وفي تذييل تقرير برودي يشجب بورخيس الفانتازيا المحكمة الصنع لقصته القصيرة البوينوس آيرسية porteño (*) النموذجية جداً "رجل

(*) لفظة porteño ، صفة تشير إلى أولئك الذين ولدوا أو نشأوا في بوينوس آيرس ، المدينة - المرفأ ، وتشير توسيعاً إلى الخصال الإيجابية والسلبية لسكان تلك المدينة .

الناصية الوردية- فهي "أثر أدبي خيالي extravaganza أشهر مما ينبغي"، كما يكتب بورخيس. غير أن القصائد المكتوبة في العشرينيات، وهذه القصة، و إيباريسكو كارييجو، كانت لحظات ضرورية في تطور كتابته، ورغم أنه يرفض الكثرة الباروكية المسرفة للكوتشييرو cuchilleros (المقاتلين بالسكاكين) في إنتاجه المبكر، فإن بورخيس لم يبتعد بنفسه بصورة كلية مطلقاً عن "الأيديولوجيم" الذي صاغه في العشرينيات، والذي كانت له أصالة كونه أرجنتينياً بعمق دون الوقوع في المصيدة القائلة لأي من النزعة القومية الأدبية التقليدية أو الواقعية الأدبية.

إذا حاول المرء إنكار الوجود المستقل لأشياء مرئية وملموسة، فإنه يمكن أن يتوصل بسهولة إلى هذا الاستنتاج عن طريق التفكير: الواقع أشبه بتلك الصورة لأنفسنا التي تظهر من كل مرآة، محاكاة موجودة بسببنا، تأتي معنا، تُلَوِّح لنا ثم تغادر، غير أنه يمكن دائماً العثور عليها إذا ذهبنا نبحث عنها (١٠).

ويستند هذا الإعلان المثالي للإيمان، الذي كتبه بورخيس عندما كان عمره يزيد قليلاً على العشرين، إلى مجاز يركز على مفهوم المحاكاة، ويخترع الأدب، بصورة خاصة، تلك الفضاءات التي تكمن قوة إقناعها في الوهم الذي تخلقه، وفي النص (الذي يفرض ما يحب بورخيس أن يسميه، مستشهداً بـ [صمويل تيلور] كواريدج [Samuel Taylor] Coleridge "الإرجاء الإرادي لعدم الإيمان"): ليس "كارييجو" والحواف بهذا المعنى محاكيات لشاعر أقل شأنًا أو لبوينوس آيرس، بل بالأحرى لما يكتبه بورخيس و، قبل كل شيء، للمكان الذي كان يكتب فيه. وتقوم حقيقة تلك الشخصية وذلك المكان، على وجه التحديد، على أساس الاختراع.

وبهذه الطريقة، يُرسى بورخيس أسس أدبه عن طريق معارضة مفاهيم سائدين. وقد قيل في كثير من الأحيان، كما أن هدفنا هنا هو أن أبين، أن الكتب الأولى لبورخيس، ومقالاته في المجلتين الطليعيتين پروا Proa ومارتن فييرو Martin Fierro (انظر الفصلين ٧ و ٨)، تدلّ على قطيعة مع لوجونيس والحداثة modernismo، ذلك

أن الكتب والمقالات تجيب على السؤال عن كيف نكتب بعد لوجونيس وفي معارضة له. ويبدو لي أن هذه النقطة واضحة بصورة كافية، و، لهذا، أفضل أن أنتقل إلى نقطة أخرى: إننى أعتقد أن بورخيس يقترح أيضا أدبا يكون مختلفا عن الرواية الريفية دون سيجوننو سومبرا لجويرالديس.

صحيح أن بورخيس لم يجعل جويرالديس مطلقا موضوعا للألعاب الإرهاب الأدبي التي لعبها على لوجونيس. ذلك أن جويرالديس كان إلى جانبه فى الحركات الطليعية للعشرينيات، وأدار پروا مع بورخيس، وقد اعترف جويرالديس غالبا، فى أحد مقالاته المفرطة فى المديح، بأن بورخيس كان بين أولئك الكتاب الشبان الذين كانوا يملكون رسالة تمثلت فى إصلاح وتجديد الأدب الأرجنتينى. ومع ذلك فإنه يمكن إثبات أن بورخيس رأى نفسه بعيدا جدا حقا عن المبادئ الجمالية التى تشكل أساس دون سيجوننو سومبرا. وكان لا مناص من أن تبدو جاوتشيه gauchismo جويرالديس، فى نظر بورخيس، مركزة بصورة مفرطة. ومثقلا بالتفاصيل الريفية الدقيقة التافهة، وملينا بأوصاف مهام الجاوتشو، وبالعالم الاحترام والتبجيل فى موقفه إزاء الكوستومبرية costumbrismo، كان لا مناص من أن يكون جويرالديس روائيا إشكاليا فى نظر بورخيس.

وفى "الكاتب الأرجنتينى والتراث" El escritor argentino y la tradición، يقدم بورخيس نوعا من الدفاع عن دون سيجوننو يوقظ شكوكنا بعد قراءة مدققة :

يقول لنا القوميون إن دون سيجوننو سومبرا هى النموذج لكتاب قومى؛ غير أننا إذا قمنا بمقارنتها بأعمال التراث الجاوتشى، فإن أول شىء نلاحظه يتمثل فى الاختلافات. ودون سيجوننو سومبرا مليئة بالاستعارات من نوع لا صلة له بالكلام الريفى غير أنها تشتمل على قدر كبير من استعارات الأوساط الأدبية الراهنة فى مونتمارتر Montmartre. وكما هو الحال مع القصة الخرافية، فإن من السهل أن نجد فى هذه القصة تأثير كيم Kim لكيبلينج Kipling، التى كانت أحداثها تجرى فى الهند والتى كانت، بالمقابل،

مكتوبة تحت تأثير هكلبرى فىن *Huckleberry Finn* ملحمة الميسيسيبى لمارك توين Mark Twain . وعندما أبدى هذه الملاحظة فإننى لا أرغب مطلقاً فى التقليل من قيمة دون سيجوندو سومبرا! بل أريد، على العكس، أن أشدد على حقيقة أنه لكى يكون لدينا هذا الكتاب، كان من الضرورى لجويرالديس أن يستدعى التقنية الشعرية للأوساط الفرنسية فى زمنه وأعمال كيبلنج التى كان قد قرأها قبل ذلك بأعوام كثيرة؛ وبعبارة أخرى فإن أعمال كيبلنج ومارك توين واستعارات الشعراء الفرنسيين كانت ضرورية بالنسبة لهذا الكتاب الأرجنتي، لهذا الكتاب الذى ، وأكرر، ليس أقل أرجنتينية لأنه تقبل مثل هذه المؤثرات (١١) .

والحقيقة أنه لا سبيل إلى دحض هذا الدفاع المبالغ فيه إلى حد ما عن دون سيجوندو، غير أننى أود، لهذا السبب على وجه التحديد، أن أفحص هذا التأكيد فى سياق المقال بكامله. وقبل هذا بفقرات قليلة كان بورخيس قد طرح تأكيداً الشهير والمعروف جيداً، "انطلاقاً من جيبون" d'après Gibbon ، فيما يتعلق بغياب ذكر الجمال فى القرآن (*) ، وهو غياب كان مبرراً حيث إن محمداً كان على ثقة من هويته العربية. ورأى بورخيس، مبالغاً إلى حد تحويل حجته إلى مفارقة، أن عدم ذكر الجمال كافٍ لإثبات عروبة القرآن. ويسمح له هذا المثال بالتعبير عن توقه إلى أدب أرجنتيني متحفظ فى استعماله للون المحلى. ولا يقف بورخيس عند هذا الحد بل يواصل لينتقد كتبه الأولى ("الجديرة بالنسيان والمنسية") التى كانت تغص بالكومپادريتو، والجدران

(*) الحقيقة أن القرآن لا يخلو من ذكر الجمال ، خلافاً لما يزعم بورخيس ، فقد ورد لفظ "الجمال" وهو الكبير من الإبل والجمال والفيل وبهما فسرت الآية ٤٠ من سورة الأعراف ، كما وردت ألفاظ "جمالة" (جمع جمال) ، و"الإبل" (وهى الجمال ولا واحد لها من لفظها) ، و"الناقة" (الأنثى من الإبل والمراد بها ناقة صالح) ، و"البعير" (وهو ما يصلح للركوب والحمل من النواجب ، كالجمال والناقة) ، و"الأنعام" (جمع : نعم ، ومنها الإبل) ، فى عشرات الآيات ؛ راجع الألفاظ المعنية فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الجزء الأول ١٩٨٩ ، والجزء الثانى ١٩٩٠ . (المترجم)

الطينية، والضواحي الرثة. وبعد هذا مباشرة يأتي الدفاع المقتبس أعلاه عن نون سيجوندو.

وليس من الصعب أن نفكر في هذا على أنه تناقض، غير أنني أفضل أن أنظر إليه على أنه حجة إضافية، تحتوى على قدر كبير من السفسطة، في سجل بورخيس مع النزعة القومية الأدبية. ويأخذ بورخيس نصا يمثل في نظر القوميين "جوهر" الأرجنتين، ويبين أنه في الحقيقة ملقح تماما بإشارات عبر ثقافية كثيرة. كما أن التهم الذي تنطوي عليه عبارة "العصابات المعاصرة في مونتريتر"، التي لم يكن بورخيس مرتبطا بها، هو مجرد مفتاح من المفاتيح الكثيرة التي تقودنا إلى الاعتقاد أن بورخيس، بدلا من تقديم دفاع عن نون سيجوندو، ينظر إلى هذه الرواية، أيضا، على أنها نص- أسبق pre-text ، مستخدما إياها في حجة سجالية حول النزعة القومية. وهو يمتدحها، غير أن الحجج التي تسبق وتتلو ذلك المدح تميل إلى حد كبير إلى إضعاف مدحه.

كانت نون سيجوندو سومبرا، في نظر بورخيس، رواية كروالية بصورة بالغة الوضوح. والحقيقة أن غزارة الإشارات المحلية انتقصت من "طابعها الأرجنتيني" بدلا من إثباتها، إذ إنها كانت مستعملة بإفراط. كما أن التواتر وروح الاكتفاء الذاتي اللذين قدم بهما جويرالديس ما لدى الجاوتشو من تراث أدبي، وتجارب، ومعرفة، كان يتعارض مع ما اعتبره بورخيس السمات الأرجنتينية الأساسية: كان التحفظ والكتمان غائبين عن العرض الأسلوبى والسردى. والحقيقة أنه توجد في نون سيجوندو سومبرا خيول أكثر من أن تسمح لنا بأن نأخذ بجدية دعاواها كنص قومى.

ويهيئ بورخيس الطريق لباقي حجته، ويقودها ببراعة إلى استنتاجها الأيديولوجى - الجمالى ، عن طريق ترك رواية جويرالديس جانبا وعرض المسألة بطريقة مباشرة وعامة:

ما هو تراثنا الأرجنتيني؟ أعتقد أننا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال بسهولة وأنه لا توجد مشكلة هنا. وأعتقد أن تراثنا كله ينتمى إلى الثقافة الغربية، وأعتقد أن لنا حقا في هذا التراث، أكثر من الحق الذي قد يكون

لسكان هذه الأمة الغربية أو تلك. وأنا أستدعى هنا مقالا بقلم ثورشتاين
فيلين Thorstein Veblen، عالم الاجتماع الأمريكي الشمالى، حول بروز
دور اليهود فى الثقافة الغربية. وهو يتساءل عما إذا كان هذا البروز يسمح
لنا بأن نحدد شيئاً بشأن التفوق الفطرى لليهود، ويجب بالنفى؛ ويقول
إنهم بارزون فى الثقافة الغربية لأنهم يعملون داخل تلك الثقافة، وفى الوقت
نفسه، لا يشعرون بأنهم مرتبطون بها بولاء خاص (١٢).

ويضيف بورخيس أن نفس الشيء ينطبق على الأيرلنديين وعلى الأمريكيين
الجنوبيين بوجه عام: "إننا يمكن أن نعالج كل التيمات الأوروبية، وأن نعالجها بدون
غيبات". إن نسيج الأدب الأرجنتيني محبوب بخيوط كل الثقافات؛ ويمكن أن يكون
وضعنا الطرفى مصدر أصالتنا الحقيقية. إنه لا يقوم على اللون المحلى (الذى يقيد
الخيال بالمعيار التجريبي) بل يقوم على القبول الصريح للمؤثرات.

وهذا على وجه التحديد هو ما يحققه بورخيس فى كتابه الأول من القصص،
تاريخ عالمى للعار، مستعملاً مواد مستعملة، روايات أوروبية لقصص شرقية، أو حيوات
قطاع الطرق والأشقياء المسلحين الأمريكيين الشماليين، أو أحداثاً لا وزن لها تقريباً
تتعلق بقراصنة صينيين، أو أنبياء من الفرس، أو أمراء حرب يابانيين. وقد جاء تاريخ
عالمى للعار، المنشور فى سنة ١٩٣٥، فى أعقاب كتاب بورخيس عن كارييجو؛ وكان
يضم اثنتى عشرة قصة قصيرة سوف يصفها بورخيس فى وقت لاحق بأنها "تمارين
رجل كان هيباً". (وربما هيباً بحيث لا يكتب قصصه الخاصة به، إلى حد أنه استخدم
حبكات من مصادر متنوعة لكى يؤلفها - ومع ذلك جريئاً بما يكفى لأن ينشر مجموعة
بالغة اللانمطية والأصالة). وضمن الثقافة الغربية ورواياتها عن الشرق، يمضى
بورخيس باحثاً عن قصص طرفية هى غريبة على التراث الأدبى العظيم وهى تكشف،
فى بعض الحالات، عن ولعه بالنوع البوليسى من الكتابة أو حبه لروايات
المغامرات. ومصادره كتب ثانوية أو غير مشهورة (باستثناء الحياة على الميسيسيبي
Life on the Mississippi لمارك توين) يعيد كتابتها بحرية كاتب طرفى يعلم أنه يكتب
فى أطراف العالم.

وهو يختار ثيمات غريبة مجلوبة بكل وضوح إلى حد أن السؤال عما إذا كانت أو لم تكن غريبة على ثقافة نهر پلاتى إنما هو سؤال لا معنى له تقريبا. وعلاوة على هذا فإن هذه الثيمات تمر بعملية إضفاء للطابع الكريولى الشفاهى تستبق بطريقة ذكية القصة الأخيرة فى الكتاب، والقصة الأولى لبورخيس عن الكومپادري *compadres*، "رجل الناصية الوردية" *Hombre de la esquina rosada* (وهى ذاتها إعادة كتابة لـ "الرجال حاربوا" *Hombres pelearon*، وهو نص موجز للغاية كان قد نشر قبل مارتن فييرو بأعوام) .

وسوف يحاول بورخيس إثبات أن البعد/ الابتعاد *distance*، إذا جرى تصويره كإزاحة جغرافية وثقافية وجمالية، وإذا جرى افتراضه كحق أمريكى لاتينى، لا يجعل القصة ممكنة فحسب، بل يخلق الشروط اللازمة لمتعة القارئ. ومرة أخرى تغدو نون سيجوندو سومبرا هدفا لتهمك بورخيس فى القصة القصيرة "الإنجيل حسب القديس مرقس" *El Evangelio según Marcos*، المكتوبة بعد ذلك بعدة عقود فى ١٩٧٠. وهنا يعطى بورخيس الشكل القصصى لنفس الأطروحة النظرية. ففي مزرعة ماشية فى ناحية خونين *Junin*، فى سهول الپامپا، قُربَ نهاية العشرينيات (من القرن العشرين)، يقطع فيضان طريق السفر على رجل من بوينوس آيرس فيُبقيه عند آل جوتري *Gutres*، وهى أسرة من العمال الريفيين:

فى البيت كله، لم تكن توجد فيما يبدو مادة للقراءة سوى مجموعة من أعداد المجلة الزراعية *Farm Journal*، ودليل فى الطب البيطرى، وطبعة فاخرة من الملحمة الأوروغوايية تاباريه *Tabaré*، وتاريخ ماشية شورت هورن فى الأرجنتين *Una Historia del Shorthorn en la Argentina*، وعدد من القصص الجنسية *erotic* أو البوليسية، ورواية جديدة اسمها نون سيجوندو سومبرا. وقد قرأ إسبينوزا *Espinosa*، محاولا بطريقة ما أن يملأ الفجوة التى لا يمكن تفاديها فى فترة ما بعد الغداء، فصلين من هذه الرواية على آل جوتري، التى لم يكن أى من أفرادها يعرف القراءة والكتابة. ولبسوء

الحظ، كان رئيس العمال من قبل تاجر ماشية، وقد فشلت أعمال البطل، وهو تاجر ماشية آخر، في إثارة اهتمامه. وقال إن العمل خفيف وإن تجار الماشية كانوا يتنقلون دائماً مصطحبين حصان حَمْل كان يحمل كل شيء يحتاجون إليه، وإنه لو لم يكن تاجر ماشية، لما كان بوسعه أبداً أن يرى أماكن نائية مثل لاجونا دي جوميث Laguna de Gómez، ومدينة Bragado، وانتشار أسيرة نونييث Núñez في تشاكابوكو Chacabuco . (١٣)

ويتمثل ما يحققه بورخيس بهذه القراءة لـ جون سيجوندو على العمال الزراعيين المياومين peons، في نهاية المطاف، في إعادة تأكيد حرية أو، بالأحرى، ضرورة الامتزاج الثقافي. ولا يحصل آل جوتري على أى متعة من رواية جويرالديس، لأنهم يمكن أن يدركوا أنه لا يوجد هنا أى اختلاف بينها وبين عالمهم الريفى. أما الإنجيل الذى يقرأه إسبينوزا عليهم فيما بعد، فإنه، على العكس، يفتنهم بقصة هى فى الوقت نفسه مليئة بالمعجزات وبما هو غرائبى. ونتيجة لهذا فإنهم، بالتصرف كقراء فعالين بصورة مأساوية، يعيدون تمثيل ذلك النص فى مزرعة الماشية estancia عن طريق صلب الرجل الذى رواه عليهم. ولهذا فإن انفعالات آل جوتري تحركت ليس بالتشابه بل بالاختلاف. وتثبت هذه الحكاية الرمزية المشنومة عن قوة القراءة أن الاختلاط عبر الثقافى يمثل، فى رأى بورخيس، إحدى الإستراتيجيات الإبداعية الضرورية لتحرير الابتكار الأدبى من دعاوى الواقعية والروتين التكرارى للتجربة اليومية.

ويمكن أن نفهم "فونيس القوى الذاكرة" Funes el Memorioso على أنها إطار قصصى للاستعباد الذى يكون لتجربة مباشرة على خطاب، ويؤكد بورخيس أن فونيس يملك ذاكرة لانهائية غير أنه عاجز عن التفكير: "أن نفكر يعنى أن ننسى الاختلافات، وأن نعمم، وأن نقوم بتجريدات. وفى العالم الحافل لفونيس، كانت هناك تفاصيل فحسب، مباشرة تقريبا فى حضورها". (١٤) والأدب، على وجه التحديد (وبصورة نوعية)، ممارسة رمزية تُحدثُ قطيعة مع الطابع المباشر للذاكرة، والإدراك، والتكرار. ويتعامل الأدب مع ما هو متجانس، وهو يقطع، ويلصق، ويقفز على أشياء، ويمزج:

عمليات لا يستطيع فونيس القيام بها بمدركاته الحسية ولا، بالتالى، بذكرياته. وعند بورخيس، نجد الذاكرة الحقيقية مرتبطة بصورة عامة بالنسيان.

وإيرينيو فونيس Irineo Funes، مثل بورخيس، ساكن من سكان "ضاحية أمريكية جنوبية فقيرة"، محكوم عليه بأن يبقى أسيرا لمادة تجربته. ومغلقا داخل عالم لا توجد فيه مقولات بل مجرد مدركات حسية، ويكون على فونيس أن يحاول القيام بمهمة مستحيلة، من بينها فن التصنيف، وهو فى كثير جدا من الأحيان موضوع تهكم بورخيس، كما هو الحال فى "اللغة التحليلية لجون ويلكنز" El Idioma analítico de John Wilkins . وبالفعل، يخترع فونيس نظاما لكلمات مصممة لتحل محل سلسلة لانهائية من الأعداد، وهى كاشفة للغاية فى أن معا للقوة المألوفة لذاكرته ولعدم جدوى المهمة:

قال لى إنه فى ١٨٨٦ كان قد اخترع نظاما جديدا للعد، وإنه فى غضون أيام قليلة جدا كان قد تجاوز رقم أربعة وعشرين ألفا. ولم يدونه، إذ إن أى شىء كان يفكر فيه مرة واحدة لم يكن يضيع من ذاكرته أبدا. وكان أول حافظ له، فيما أعتقد، انزعاجه من واقع أنه لا مناص من أن يحتاج الثلاثة والثلاثون جاوتشو المشهورون فى تاريخ أروجواي (*) إلى رمزين وكلمتين (**)، بدلا من كلمة واحدة وحيدة ورمز واحد وحيد. ثم طبق هذا المبدأ العبثى على الأعداد الأخرى. وبدلا من سبعة آلاف وثلاثة عشرة، كان يقول (على سبيل المثال) ماكسيمو بيريث Máximo Pérez؛ وبدلا من سبعة آلاف وأربعة عشرة، السكك الحديدية El Ferrocarril؛ وتمثلت أعداد أخرى فى لويس ميليان لافينور Luis Melián Lafinur، وأوليمار Ollmar، والكبريت azufre، والسُّبَاتى los bastos، والحوت la ballena، والفاز

(*) فى الأصل الإسبانى : "الثلاثة والثلاثون الشرقيون" J. L. Borges, Ficciones, Madrid, 1987, p. 129. وفى ترجمة الدكتور محمد أبو العطا : "رقم ثلاثة وثلاثين فى النظام الشرقى" فى : بورخيس -

الألف ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ ص. ٩٧ . (المترجم)

(**) فى المصدرين السابقين وفى الصفحتين ذاتيهما : "وثلاث كلمات" . (المترجم)

el gas، والمرجل la caldera، وناپليون Napoleon، وأجوستين دي بيديا Agustín de Vedia . وبدلاً من خمسمائة، كان يقول تسعة. وكان لكل كلمة رمز، نوع من العلامة؛ وكانت الكلمات الأخيرة في السلسلة معقدة جداً. حاولت أن أشرح له أن هذه الراپسودية من التعبيرات غير المترابطة كانت تمثل على وجه التحديد، النقيض المباشر لنظام عددي [...] ولم يفهمنى فونيس أو رفض أن يفهمنى (١٥) .

ويوزع بورخيس تهكمه على مستويين. من جهة، هناك إشارة جلية إلى نظام "كلمات بدلاً من أعداد" يستعمله المقامرون ووكلاء المراهقات في ألعاب اليانصيب السرية وغيرها من ألعاب المراهقات - وهذا ما يضع اختراع فونيس في السياق الثقافي الأكثر تفاهة. ومن جهة أخرى، يكشف عن صعوبات الترجمة من شفرة إلى أخرى، ويحاول فونيس أن يترجم، وهو يعبر عن اقتناعه بأن النظم تمثيلات تامة لما تمثله. ويزعم بورخيس النقيض على وجه التحديد: أن نترجم يعنى دائماً أن نفقد، وأن نضع الشيء في غير موضعه، وأن نحور المعنى، وإذا لم يكن هذا مفهوماً فإننا نقع في مصيدة إيمان ساذج بالتطابق المطلق بين اللغات. وفي مواجهة النظم (الأنساق) العلاماتية (السيمبوطيقية) والواقع، يمكن أن يبرز أمل في أن يكون التمثيل والنقل الأمين ممكنين.

وبوصفها حكاية فلسفية conte philosophique حول النظرية الأدبية، يمكن فهم "فونيس القوى الذاكرة" على أنها حكاية رمزية تبحث إمكانيات واستحالات التمثيل، لأن فونيس يعاني للغاية مشكلات ترجمة المدرك الحسى، والتجربة، وذاكرات التجربة، إلى خطاب، وفونيس مسحور بما كان يمكن أن يسميه بورخيس المصادفة العشوائية للتمثيل الواقعي الطابع، ووضعه ميئوس منه: يتزامن أمد ما هو مسرود (الحكى) وأمد السرد (الحكى) في خطابه بطريقة مثالية: "مرتين أو ثلاث مرات، كان قد أعاد بناء يوم كامل؛ ولم يتردد مطلقاً، غير أن كل إعادة بناء كانت تحتاج إلى يوم كامل". ويجهل فونيس الحذف ellipsis ولا يمكن أن يفصم متصل continuum الزمن الذى يجرى تذكره لكى ينظمه التطوير البارع الصنعة للسرد؛ فهو ليس حراً فى أن ينسى، بل إنه،

بالتالى ، غير قادر على الاختيار. وعلى هذا النحو فإنه محكوم عليه بالتكرار، ومع أن خطابه فاتن كمسخ فلسفى فإنه لا يمكن مطلقا أن يطمح إلى الأصالة التى تحققها حرية الاختيار والرفض. ولا يمثل فونيس مفارقة بل يمثل صورة مغرقة فى المغالاة للنتائج المدمرة لواقعية مطلقة وساذجة تضع ثقته فى القوة "الطبيعية" للمدركات الحسية والأحداث. وهو يجهل عملية بناء الواقع، وعلى هذا النحو فإنه عاجز عن بناء خطاب يمكن أن يحرره من عبوديته للمحاكاة *memesis* المطلقة. وإذا كان الزمن لانهاثيا بالنسبة لفونيس (كما هو بالنسبة للرب)، فإن ذاكرته لن تواصل إحباط مساعيه. غير أن الأدب، مثل كل سرد، يقوم على المبدأ الذى لا يمكن تفاديه والمتمثل فى أن الزمن يقدم حدًا لتمثيل ما يجرى فى الزمن.

ولا شك فى أن بورخيس يعالج هنا مشكلة كيف نكتب بوجه عام، وليس فقط كيف نكتب فى الأرجنتين، غير أنه يبدو أن كلا السؤالين يتحدان معا فى القصة النظرية " *بيير مينار مؤلف الكيخوته* " *Pierre menard, autor del Quijote* . وفى هذه القصة، يُفضى التهكم والمفارقة إلى الازدواج، الذى يمثل على كل حال صيغة بورخيس المفضلة للحديث. وينتقد النص نفس المعرفة التى ينتجها، فبعد إتمام قائمة طويلة من التمارين المكتوبة التى تتصل، وإن بطريقة مثيرة للسخرية بصورة جلية، بالترجمة، وإعادة الصياغة، والپاستيش *pastiche*، اضطلع مينار بمهمة إعادة كتابة رواية ثيربانتيس، كلمة كلمة:

لم يُرد أن يؤلف كيخوته أخرى - وهذا أمر سهل - بل الكيخوته ذاتها. ولا حاجة إلى القول إنه لم يفكر مطلقا فى تدوين آلى للأصل؛ لم يكن يقصد أن ينسخها. بل كان هدفه العجيب هو أن ينتج صفحات قليلة تتطابق - كلمة مقابل كلمة وسطرا مقابل سطر - مع صفحات ميغيل دى ثيربانتيس *MI-0* *guel de Cervantes* . (١٦)

ويؤكد بورخيس أن فصول *نون كيخوته* التى استطاع مينار أن يكتبها قبل موته "أدق" من فصول *ثيربانتيس*، رغم أنها، فى الوقت نفسه، متطابقة معها. فما معنى هذه

المفارقة؟ يغدو من الجلى أن عزو هذه الفصول من **دون كيخوته** إلى مينار يُثري نص ثيربانتييس عبر الإزاحة والمفارقة الزمنية. ويجرى تحطيم فكرة الهوية الثابتة لنص، وكذلك فكرة التأليف **authorship** وفكرة الكتابة الأصلية **original** . ومع منهج مينار فإنه لا وجود لكتابات أصيلة، ويجرى طرح الملكية الفكرية للنقاش. ويتم بناء المعنى فى فضاء حدودى تتجابه فيه القراءة والتأويل مع النص وعلاقته (المبهمة دوما) بأى مبرر للمعنى الحرفى والموضوعية. والحقيقة أن بورخيس يستخدم مفارقة مينار لكى يؤكد أن كل النصوص إنما هى إعادة كتابة لنصوص أخرى (فى تفاعل لانهاية له للتناص والمعنى) - وليؤكد أيضاً، فى الوقت نفسه، أن كل النصوص تجرى قراءتها على خلفية ثقافية تنظم المجرى العابر للمعنى فى نموذج تاريخى:

فلنُفحصُ الفصل ٣٨ من الجزء الأول، "الذى يتناول الخطاب الطريف لـ **دون كيخوته** حول «الأسلحة والحروف»". من المعروف جيداً أن **دون كيخوته** (مثل [فرانثيسكو جوميث دى] كيبيدو [Francisco Gomez de] Quevedo فى مقطع مماثل ولاحق فى ساعة الجميع *La hora de todos*) حسم الجدل ضد الحروف وإصالح الأسلحة. وكان ثيربانتييس عسكرياً سابقاً: إن حكمه مفهوم، ولكن أن تقع **دون كيخوته** بيد ميار- المعاصرة لـ خيانة الكتبة *La trahison des clercs* وبرتراند راسل - فريسة لمثل هذه السفسطات الضبابية!...

وتنطوى مقارنة **دون كيخوته** مينار بـ **دون كيخوته** ثيربانتييس على رؤية مذهلة. وعلى سبيل المثال، كتب هذا الأخير (الجزء الأول، الفصل التاسع): "... الحقيقة، التى أبوها التاريخ، غريم الزمن، ومستودع المآثر، وشاهد الماضى، وقدوة الحاضر وناصح، ومستشار المستقبل". ولأنه مكتوب فى القرن السابع عشر، وكتبه ثيربانتييس "العلمانى العبقري"، فإن هذا السرد إنما هو مجرد مدح بلاغى للتاريخ، ومن جهة أخرى، يكتب مينار: "... الحقيقة، التى أبوها التاريخ، غريم الزمن، ومستودع المآثر، وشاهد الماضى، وقدوة الحاضر وناصح، ومستشار المستقبل". التاريخ أب الحقيقة: الفكرة مذهلة. ومينار، معاصر ويليام جيمس William James، لا يُعرف التاريخ

على أنه بحث فى الواقع بل على أنه أصله. والحقيقة التاريخية، فى نظره، ليست ما حدث؛ إنها ما نحكم بأنه حدث. أما العبارات الأخيرة – فهى پراجماتية بوقاحة (١٧) .

وعملية النطق enunciation تعدل كل قول. وكما شددت دراسة فى اللغويات فى القرن العشرين فإن هذا المبدأ يدمر وفى الوقت نفسه يضمن الأصالة كقيمة مفارقة ترتبط بـ "النطق": إنه يأتى من نشاط الكتابة والقراءة، غير مرتبط بكلمات بل بكلمات فى سياق. وكنتيجة منطقية نهائية لهذه الفرضية، يؤكد بورخيس إنتاجية القراءة ويثبت استحالة التكرار؛ رغم أن كل نص يقدم تنويعا لموضوعات قليلة إلا أنه أيضا يكشف الاختلاف الجذرى بينها. وما من طريقة، كما يقول بورخيس أو يقول مينار، ليكون نص ما مثل قرينه تماما أو مثل نسخة دقيقة (طبق الأصل) منه. وكل النصوص، من وجهة النظر هذه، أصيلة بصورة مطلقة، وهذا ما يساوى القول بأنه لا أحد يمكن أن يطمح إلى هذه النوعية الخاصة. وبورخيس مفتون بالترجمات (وهى أسلوب آخر للنسخ، أكثر مشقة، ربما، ومستحيل فى نهاية المطاف). وفى تعليقه على الروايات الهومرية كان بورخيس قد اكتشف من قبل أن "افتراض أن كل إعادة جمع للعناصر أدنى بالضرورة من الأصل إنما يعنى افتراض أن نسخة العمل 9 أدنى بالضرورة من نسخة العمل H حيث يمكن فقط أن توجد نُسخ عمل لا غير. ويتفق مفهوم النص النهائي definitive text فقط مع الدين أو مع الإنهاك" (١٨) .

ويتألف الأدب من نُسخ. وتصور مفارقة پيير مينار عملية الكتابة، عن طريق حملها إلى حدود السخف والاستحالة، ولكن مع جعلها واضحة فى الوقت نفسه. وتقدم هذه الأطروحة، التى تكونت فى الطرف الجغرافى – الثقافى لنهر پلاتى ، موقفا جديدا للكاتب وللأدب الأرجنتينى ، اللذين لا ينبغى أن يكون على عمليتهما من الامتزاج، ومن الاختيار الحر دون "تكريسات" (إذا استخدمنا تعبير بورخيس)، أن تحترم النظام الهرارى المعزوّ إلى أعمال أصلية أصيلة. وإذا كان لا وجود لأصالة ترتبط بالنص، بل فقط بكتابة أو قراءة نص، فإن دونية الأطراف تختفى ويكون للكاتب الطرفى أو الكاتبة الطرفية الحق فى نفس دعوى أسلافه أو أسلافها أو المعاصرين الأوروبيين له أو لها.

الهوامش

- (١) *Cuaderno San Martín, Luna de enfrente and Fervor de Buenos Aires.*
- (٢) Jorge Luis Borges, *El tamaño de mi esperanza*, Buenos Aires pp. 8-9.
- (٣) 'A la calle Serrano', in *Indice de la poesía americana.*
- (٤) 'Un patio', in *Fervor de Buenos Aires*, Buenos Aires 1923
- (٥) 1943), 'Barrio Norte', from *Cuaderno San Martín*, in J. L. Borges, *Poemas (1922 - 1943)*, Buenos Aires 1943.
- (٦) J. L. Borges, *Prólogos con un prólogo de prólogos*, Buenos Aires 1975, p. 94. والنص المقتبس مكتوب في ١٩٦٢ .
- (٧) *Inquisiciones*, Buenos Aires, 1925, p. 58.
- (٨) 'يتضح أن هذه السيرة البريئة نصٌ متمرد وخبثٌ', كما تكتب سيليبيا مولوى: *las le- tras de Borges*, Buenos Aires 1979. p. 27
- (٩) *Evangelio Carriego*, Buenos Aires 1965, p. 11.
- (١٠) *Inquisiciones*, p. 119.
- (١١) 'The Argentine Writer and the tradition', *Labyrinths*, London 1970, p. 216.
- (١٢) *Labyrinths*, p. 218. وعلى أساس هذا الاستشهاد نفسه، تقوم سيليبيا مولوى بتطوير مفهوم "طرفية (جانبية)" بورخيس في الثقافة الغربية.
- (١٣) 'The Gospel According to Mark',
- (١٤) 'Funes the Memorious', in *Labyrinths*, p. 94.
- (١٥) 'Funes the Memorious', in *Labyrinths*, pp. 92-3.
- (١٦) 'Pierre Menard, Author of the Quixote', *Labyrinths*, pp. 65 - 6.
- (١٧) *Labyrinths*, pp. 68-9.
- (١٨) 'Las versiones homéricas', in *Discusión, Obras completas*, Buenos Aires 1975, p. 239.

الفصل الثالث

التراث وصراعات التجديد

لا يمكن الإحساس بالحنين إلا إلى شيء جرى فقده، في الواقع أو في الخيال. وفي بوينوس آيرس، التي حولتها عمليات التحديث الحضري، والتي كانت المدينة الكريولية مجبرة فيها على أن تلوذ بقليل من الحوار والأزقة، وتعرضت حتى هناك لتغيرات أثرت في كل من صورتها المادية والجغرافية، اخترع بورخيس ماضيا. وقد عمل بورخيس بعناصر اكتشفها (أو نسبها إلى) الثقافة الأرجنتينية للقرن التاسع عشر، وكانت في رأيه ثقافة ذات صلابة لا توجد في الكتب بقدر ما توجد في نوع من التراث العائلي. ومع ذلك فحتى هذه الشذرات، الماثلة في الصور والمآثر المضمحلة لأسلافه الكريولين، كانت مهددة بالزمن والحادثة والنسيان.

أسلافى بدأوا صداقة

مع هذه الأصقاع النائية

فاتحين انغلاق السهول ...

وأنا، كساكن مدينة، لم أعد أعرف هذه الأشياء.

إننى أتحدّر من مدينة، من حي، من شارع. (١)

وكأرجنتيني، كان بورخيس جزءاً من تراث مهدد بالأخطار. ومهما كان حضور هذا التراث عنيدا فقد كان يحس بأنه ينتمى إليه بقدر ما ينتمى هو أيضا إليه. غير أن بورخيس، مثل أسلافه الإسبان، الذين أقاموا صداقة مع سهول البامبا، فقد صلته

"الطبيعية" بأوروبا. ورغم أنه تعلم في جنيف وكان صديقا، في مدريد، للكتاب الألترايسستا ultraista (الراديكاليين ، المتطرفين) الذين التقى بهم عندما كان لا يزال صغيرا جدا، ورغم أنه يوضح بصورة متكررة أن الروايات الأولى التي قرأها طفلا - حتى نون كيخوته، التي قرأها مترجمة - كانت بالإنجليزية، لم يكن بوسع بورخيس إلا أن يحس بمشكلة ثقافة كانت توصف بأنها أوروبية ولكنها لم تكن كذلك مطلقا، لأنها تطورت في بلد طَرَفِيّ peripheral وامتزجت بالعالم الكريولى. وإذا كان بمستطاعه أن يدخل ويخرج كما يحلو له بين ثقافتين، فقد كان لهذه الحرية ثمنها. وكان بوسع بورخيس أن يجيب: هذه هي حرية الأمريكيين اللاتينيين، وهو ما يؤيده إدراك وجود شيء مفقود. والحقيقة أن قراءة كل الأدب العالمى فى بوينوس آيرس، وإعادة كتابة بعض نصوصه، تجربة لا يمكن أن تقارن بتجربة الكاتب الذى يعمل أو الكاتبة التى تعمل على الأرضية الآمنة لوطن يقدم له أو لها تراثا ثقافيا نقيا. ورغم أنه يمكن الجدل فى أنه قلما يكون هذا هو الحال مع كبار الكتاب الأوربيين فى القرن العشرين إلا أن أولئك الذين خارج التراث الأوربى يعتبرون أن الأوربيين المنتمين إلى ثقافات قومية متعددة تربطهم صلة وثيقة بثقافتهم "الطبيعية" natural. غير أن واقع أنهم منغرون بعمق فى ثقافة هى محتومة، بالنسبة لهم، يجردهم من ذات الحرية التى يمكن أن يتمتع بها الأمريكيون اللاتينيون. إن الحرية هى قدرنا.

وقد أبرز بورخيس حدود وتناقضات هذه الحرية فى العديد من القصص المتماثلة جدا فى اختلافاتها: "الجنوب" El Sur، و"النهاية" El fin، و"قصة المحارب والأسيرة" Historia del guerrero y de la cautiva. وسنرى الآن كيف تكشف هذه القصص بعض الموضوعات الرئيسية فى أدب بورخيس.

وتتناول "النهاية" معنى ومكان الثقافة الأرجنتينية وتحاول الإجابة عن السؤال الآتى: ما هى العناصر التى تشكل الأدب الأرجنتيني، وكيف يرتبط الأدب الأرجنتيني بالأدب العالمى؟ وهى كاشفة أيضا فيما يتعلق بإحساس بورخيس بامتلاك ماضٍ أدبي وثقافى: الطرق التى يُحوّر بها تراثا ثقافيا.

وكان على الطليعة الأرجنتينية في العشرينيات والثلاثينيات، والتي انتمى إليها بورخيس، أن توازن نفوذ بعض الكتاب المهمين جدا، وبصورة خاصة ليوبولدو لوجونيس، الذين كانوا يتبؤون مركز النظام الأدبي. والحقيقة أن لوجونيس لم يكن فقط الحدائى modernista الأكثر أهمية، والنذ الوطنى لداريو، بل كان أيضا المثقف الأبرز والأكثر نفوذا. وباعتباره الشاعر المتوج، كان لوجونيس يمثل ما كانت تنفر منه الطليعة الأدبية، وما كان ينفر منه بورخيس نفسه: القوافى الأنيقة، والصور الفخمة، والغرائبية البالغة التعميق، والإثارة الجنسية المنحطة. وكشخصية عامة، أكد لوجونيس بوقار تفوقه واستغل على نطاق واسع نفوذه الهائل فى إصدار الأحكام على قيمة الأدب المعاصر. وكان ينشر فى الجريدة الذائعة الصيت لا ناثيون La Nación . وكانت آراؤه الأشد تباينا حول موضوعات كثيرة مختلفة يجرى تبنيها باعتبارها موثوقة وكانت النخبة الاجتماعية والثقافية، بما فيها رئيس الجمهورية ووزراؤه، يحتشدون فى محاضراته، التى كانت بمثابة أحداث كبرى فى الحياة الثقافية لبوينوس آيرس.

وفى عام ١٩١٦ ، قدّم لوجونيس تفسيراً واسع التأثير للغاية للقصيدة الجاوتشية، مارتن فييرو، التى كتبها خوسيه إيرنانديث Hernández José فى القرن التاسع عشر، والتى قرأها لوجونيس على أنها ملحمة قومية. ^(٢) وفى نظر لوجونيس، كان الجاوتشو مارتن فييرو، الشخصية الرئيسية فى القصيدة، رمزا للسجايا والقيم الأرجنتينية. ادّ اكسبت هذه الأسطورة قوتها من ذات واقع أن الجاوتشو، كأعضاء ينتمون إلى سكان ريفيين أحرار فقراء لم يتم دمجهم بالكامل فى سوق العمل لكن كان يتم إكراههم على دخولها وفقا لاحتياجات استغلال بدائى جدا لسهول الپامپا، وإلا تم تجنيدهم فى الجيش للدفاع عن الحدود ضد الإغارات الهندية، ولم يعودوا يوجدون فى السهول. كانوا قد اختفوا، ليحلّ محلهم الأجراء الريفيون الذين عملوا فى المزارع الكبيرة -estancias، وحذقوا المهارات التقليدية لأبائهم وأجدادهم بالسكين، وحبل صيد الأبقار، والحصان، غير أنه كان لم يعد لديهم شىء من تمرد وعصيان الجاوتشو.

قدّم لوجونيس قصيدة مارتن فييرو (المنشورة فى جزأين، فى ١٨٧٢، و ١٨٨٠) على أنها قصيدة رمزية allegory للماضى الأرجنتيني ورمز للجوهر الأرجنتيني. وكان هذا تلفيقا مناسباً لتلك الفترة التاريخية. ذلك أن المهاجرين القادمين من إيطاليا، وكذلك

من ألمانيا وأوروبا الوسطى، كانوا يصلون بالآلاف إلى بوينوس آيرس، وكان المثقفون قلقين إزاء مستقبل ثقافتهم ومستقبل ما أخذ بعضهم يسميه "العرق الأرجنتيني"، الذي كانوا يعنون به النخبة وذلك القسم من سكان الطبقة العاملة الذين يمكن تتبع أصولهم إلى العهد الاستعماري الكولونيالي. وقد اعتاد الناس أن يحفظوا القصيدة الجاوتشية مارتن فييرو عن ظهر قلب، وكان يتم تدريسها في المدارس جنباً إلى جنب مع الرواية الرسمية للتاريخ المحلي التي كان الجاوتشو وفقاً لها يبذلون أرواحهم عن طيب خاطر في حروب الاستقلال ضد إسبانيا فلا يكون جزأؤهم إلا عدم الاستقرار الاجتماعي، فيما وسّعت الدولة القومية سيطرتها على كل أراضي الأرجنتين، حيث قامت بتصفية المقاومة الإقليمية وشنت حملات إبادة جماعية ضد الهنود. وقدمت القصيدة الأساس لإعادة تنظيم أسطورية لتاريخنا في القرن التاسع عشر ولنموذج لا يقل أسطورية للجنسية (القومية) nationality . وكثيراً ما كان يستشهد بثيمات من مارتن فييرو وكثير من مقاطعها، ليس فقط أعضاء من السكان الكريوليين بل أيضاً مهاجرون اتخذوا الجاوتشو رمزاً للجنسية (القومية) التي كانوا يحاولون فهمها والاندماج فيها.

اعتبرت النخبة الكريولية، التي ينتمي إليها بورخيس، أن مارتن فييرو قصيدة ينبغي أن تتبوأ مكانتها عند الأصول الأسطورية للثقافة الأرجنتينية وأنها، في الوقت نفسه، نصٌّ مكرّس كقاعدة معيارية canonical . وكان الجاوتشو بوصفهم كذلك قد اختفوا، غير أن فضائلهم امتزجت في الشخصية الأرجنتينية وكان من الممكن تقديمهم كنموذج ومرشد للاندماج الأيديولوجي والثقافي للمهاجرين. والواقع أن الجاوتشو مارتن فييرو لم يكن مجرد شخص مفعم بالفضائل. وفي قصيدة خوسيه إيرنانديث، أساءت إليه الشرطة، وفقد أسرته وممتلكاته القليلة، وصار طريداً للعدالة. وكان قد حارب الهنود بعد تجنيده الإلزامي في الجيش الحدودي ، حيث لقي بؤساً وظلماً أكثر. وكان قد هرب وفرّ إلى منطقة الهنود لكي يتفادى عواقب هذه الجريمة وعواقب أعمال أخرى، ليست كلها مشرفة. كان قد قتل دون سبب واضح، واستقرّ إلى مبارزات دون دافع جلي، وأهان أناساً بدافع الاستئساد أو بسبب السكر، كما كان الحال في حادثة الجاوتشو الأسود الذي يواجه مارتن فييرو أخاه في نهاية المطاف في قصة بورخيس. وعلى وجه العموم، كان مارتن فييرو شخصية معقدة، ضحية لنظام جائر وكذلك مقاتلاً

ريفيا بالسكاكين غير مروّض. ومن المدهش أن النخبة الكريولية نجحت في تحويله إلى مثال للشخصية القومية (متغاضية عن طبيعته المتمردة)، في حين حوّلّه فوضويون من نوى أصول من المهاجرين إلى نموذج وملهم للتمرد الاجتماعي. وهكذا كان على أي شخص يكتب في الأرجنتين في العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين أن يبحث ويجاهد في سبيل فهم أسطورة الجاوتشو، سواء ليرفضها، أو يُنقحها، أو يتبناها. وقد استخدم كل من الطليعة والفوضويين اسم مارتن فييرو عنوانا لمجلتين مهمتين جدا: الملحق الثقافي لمجلة فوضوية، ومجلة ثقافية، أصدرها في منتصف العشرينيات شعراء وكتاب شبان، بينهم بورخيس (انظر الفصل السابع). كان فييرو ميثاقا ثقافيا لدى كل شخص تقريبا في المجال الفكري والسياسي شيء يقول عنه. وكان معنى القصيدة موضوعا لمجادلات وصراعات كثيرة في تكوين الهيمنة الثقافية، وعندما أعادت الطليعة تفسير القصيدة دخلوا في جدال جمالي وأيديولوجي مع القراءة التي تكرسها كقاعدة معيارية canonical التي عبر عنها عدوهم الأدبي لوجونيس.

ولم يكن بورخيس استثناء. وقد كتب الكثير جدا من المقالات عن مارتن فييرو والأدب الجاوتشي، وتصديرات ومقدمات لطبعات كثيرة من مارتن فييرو، وكتابا صغيرا عن القصيدة في منتصف الخمسينيات. وكانت مارتن فييرو أحد هواجسه الأدبية، وحتى في وقت متأخر كالستينييات نجده يعلن في الصانع *EL hacedor* أن مشارك الحروب الأهلية وحروب الاستقلال يمكن أن تُنسَى، وأن بيرون Perón ذاته يمكن أن يُنسَى ذات يوم، غير أن إيرنانديث كان قد حلم بمبارزة بين اثنين من الجاوتشو سوف تتكرر إلى أجل غير مسمى: الجيوش المنظورة ذهبت إلى حال سبيلها وتبقى فقط مبارزة بائسة؛ هذا الحلم لرجل واحد صار جزءا من ذكريات الجميع^(٢).

وفي معارضة لوجهة نظر لوجونيس عن مارتن فييرو باعتبارها ملحمة قومية، يوضح بورخيس أنها تحتوي على عناصر عديدة ذات طابع روائي. فالأبطال الملحميون، فيما يؤكد بورخيس، ينبغي أن يكونوا معصومين؛ أما مارتن فييرو فإنه غير معصوم أخلاقيا، ومن خلال عدم العصمة هذا ينتمى إلى تراث الشخصيات في الروايات. ويخلق هذه الشخصية وصل إيرنانديث بالتراث الجاوتشي إلى نهايته، لأن قصيدته كانت الأكثر كمالا في مجموعة القصائد الجاوتشية ولم يكن بالمستطاع بعدها أن يكتب

إلا أدب جاوتشى ردىء. غير أنه كان قد ترك أيضا لكتاب المستقبل كتابا يمكن أن يُقرأ وتُعاد قراءته، ويُعلّق عليه وتُعاد كتابته مثل (وفقا لمقارنة بورخيس) الكتاب المقدس وهوميروس.

إذن، من ناحية، كان ينبغي اعتبار مارتن فييرو نصاً أساسيا من نصوص الأدب الأرجنتيني. وقد اعتبر بورخيس تفسير لوجونيس عديم الجدوى ومؤسفا بعمق: كان تشبيهه الجاوتشو بالشخصيات الهومرية يمثل إحدى أفكاره الأكثر ادّعاء وحمقا. وكان لا مناص من تحرير القصيدة من العبء الثقيل للحممة لوجونيس والنقد المبالغ فيه ثم إعادة دمجها في تراث يمكن أن يتضح أنه مُثر للأدب الراهن. والواقع أن القصيدة كان ينبغي قراءتها، ثم تحريرها من القيود الثقيلة للتفسيرات السابقة.

وقد حقق بورخيس هذا بطريقتين: من خلال مقالاته عن مارتن فييرو وقصائد أخرى من مجموعة القصائد الجاوتشية، ومن خلال بعض النصوص القصصية المهمة جدا. وسنبحث هنا هذه الإستراتيجية الثانية: ما فعله بورخيس بـ مارتن فييرو في قصصه القصيرة. ورغم أنه يمكن العثور على دلائل في قصص عديدة فقد اخترت واحدة، هي "النهاية"، لأنه يبدو لي أنها في آن واحد تُنهي مجموعة القصائد الجاوتشية وتُعترف بأهميتها في الأدب القومي – رغم أن هذا شيء ما كان يمكن أبدا أن يفعله بورخيس، وكذلك أولئك الأكثر كوزموپوليتانية من الكتاب الأرجنتينيين، بصورة صريحة.

وفي قصة "النهاية"، المكتوبة في ١٩٤٤، يصور بورخيس موت مارتن فييرو، في مبارزة. وفي النشيد الأخير من قصيدة إيرنانديث، يفارق فييرو أولاده بعد سماع قصة حياة كل منهم (كانوا قد ظلوا مفترقين طوال عشرين سنة، وكانت فترة عانت خلالها الأسرة كلها). وهم يتفرقون الآن من جديد لأن الحياة المأساوية للجاوتشو، كما يقول فييرو، تمنعه من تأسيس بيت والعيش مع أسرته. وهو طريد للعدالة، لأنه قتل رجلا، أسود Moreno، بلا سبب؛ وهو طريد العدالة لأنه هرب من الجيش عندما كان يخدم على الحدود ضد الهنود. ورغم أن فييرو ندم على جرائمه (التي يعتقد أن المجتمع مسئول عنها جزئيا) وتاب، إلا أنه يعلم أنه ليست لديه فرصة العيش في سلام داخل

العالم الكريولى الريفى. ومتقبلاً قدرَ الترحال هذا، يركب مبتعداً، واعداء بأن لا يعاود الظهور وبأن يظل صامتاً إلى الأبد بعد ذلك. غير أنه يؤكد، قبل الرحيل، أن كل الأخطاء المقترفة لا مناص من دفع ثمنها، فى بيت شعر شهير:

No hay plazo que no se cumpla

ni deuda qua no se pague

كل دين يحلّ أجله لا مفرّ

كل حساب تأتى ساعته لا مفرّ

وفى قصيدة إيرنانديث، ذبح مارتين فييرو الجاوتشو ذا الأصل الأسود، عند مدخل پولبيريا pulperia (مطعم ومشرب ريفى) بلا أى سبب، مدفوعاً بمجرد النزوة والتحامل الاجتماعى. وفيما بعد، تحدّاه أخُ لهذا الجاوتشو الأسود أن يغنى لكى يكتشف أيهما أفضل فى ارتجال الموضوعات الراهنة بمصاحبة جيتار. وفى هذه المسابقة (التي سمّاها الجاوتشو "پايادا" payada) يكون فييرو هو الفائز من جديد. غير أن هناك ديناً أخلاقياً عليه أن يسدده، وأخو الأسود له الحق فى أن يتوقع أن يعود فييرو ويمتثل للقانون العرفى للثأر لقتل غير مشروع. وفييرو يعرف هذا ولا يحاول الهرب من قدره. ومع هذا فإن هذا اللقاء الثانى بين فييرو وأخى ضحيته لا يحدث فى القصيدة أبداً.

تخيّل بورخيس قصته من هذه النقطة فصاعداً، أى أنه تخيل ما لم يكتبه إيرنانديث مطلقاً، وكتبه بنفسه. لقد مضت سبعة أعوام منذ اليوم الذى غنى فيه فييرو "الپايادا" مع أخى الأسود، وفييرو الآن رجل مسن تقريباً، ينتظر الموت دون آمال سوى أمل واحد: أن يموت موتاً لائقاً. ووفقاً لقانون الشرف عنده، يمكن أن يوجد الموت اللائق، فى حالة رجل هناك ديون أخلاقية عليه أن يسدها، فى مبارزة. ويشاركه الأسود هذا الاعتقاد: رغم أنه لم يقاتل فييرو فى المرة السابقة إلا أنه رآه، لأنه كان غير راغب فى إجراء مبارزة أمام أولاد فييرو، فهو صبور بما يكفى لانتظار فرصة ثانية. إنه يعرف أنه سيلتقى من جديد بفبيرو عما قريب، وهو يعرف أن فييرو سوف يأتى إليه لكى يسدد دينه، لكى يلقي جزاءه عن الجريمة المقترفة عندما قتل فييرو أخا الأسود.

وتبدأ قصة بورخيس بالأسود بمفرده في بوليفيا ينتظر فييرو: إنه يعرف أن فييرو سيفي بهذا الموعد الضمني. وفييرو، من جانبه، لا رغبة عنده في الهرب، لأن المباراة المحتومة التي ستحدث تُعدّ طريقة طيبة كأيّ طريقة أخرى لوضع حد لحياته. وهو يعرف أن كل دَيْن لا مفرّ من سداده بطريقة أو بأخرى، والمبارزة طقس عتيق يحترمه: إنها راسخة الجذور في ثقافته وفي حسّه بالشرف. "القدر جعلني أقتل والآن، مرة أخرى، وضع سكيننا في يدي"؛ هذا ما يقوله فييرو للأسود عندما يصل، أخيراً، إلى ال بوليفيا. وينهمك الرجلان في حوار يكون الشرف والقدر موضوعيه الرئيسيين: "كنت واثقاً، يا سنيور، من أنني يمكن أن أعتمد عليك"، يقول الأسود. "وأنا عليك"، يردّ فييرو، ويضيف: "جعلتك تنتظر أياماً كثيرة، لكنّ ها أنا ذا". ويستدعي الأسود لقاءهما السابق، قبل سبعة أعوام، عندما لم يقبل فييرو المباراة لأن أولاده كانوا حاضرين. "قلتُ لهم، بين أشياء أخرى، أنه لا ينبغي أن يسفك رجل دم رجل آخر". ويردّ الأسود: "حسنًا فعلت. بهذه الطريقة لن يكونوا مثلنا" (٤).

وهذا كل ما حدث تقريباً: يستدعي كل من الشخصيتين ماضيه، الماضي الذي رواه إيرنانديث في قصيدته في ١٨٧٢ و ١٨٨٠. ويكتب بورخيس نهاية لها - ونهاية لمجموعة القصائد الجاوتشية. وعلى هذا النحو، يدمج بورخيس هذه المجموعة في الأدب ويرسم لوحة نهائية لفيريو كرجل مسنّ يوشك على الموت. وفييرو بورخيس، بالاختلاف تماماً عن اللوحة التي رسمها لوجونيس للجاوتشو كبطل قومي ملحمي، رجل رزين يحترم قدره ويعرف أنه لا يمكن عمل شيء لتبديله. غير أنه، بعيداً عن أن يكون نموذجاً قومياً، رجل مهزوم لا يمكنه إلا أن ينتظر موتاً لائقاً. ومن وجهة نظر أخلاقية، تتلام هذه النهاية مع ثقافة ريفية، حيث القدرية نوع من الفلسفة الشعبية؛ وحيث الانتقام حق. وبهذا المعنى فإن بورخيس يضع يده على البُعْد الأيديولوجي لقصيدة إيرنانديث ويحررها من التفسير الملحمي للوجونيس وأمثاله من الكتاب. إن فييرو ليس بطلاً، بل هو رجل راسخ الجذور بعمق في الثقافة البدائية للسهول، والحقيقة أن فييرو، بقبوله لقدره، يصير شخصية من شخصيات قصص بورخيس.

ومن وجهة نظر أخرى، لنقل إنها رمزية، يفعل بورخيس هنا ما لم يفعله لوجونيس ولا إيرنانديث: إنه يضع نهاية للمجموعة الجاوتشية، وكأنه يؤكد أن قصيدة مارتن فييرو

يجب أن تُعاد كتابتها، بإضافة موت فييرو إلى النهاية المفتوحة لقصيدة إيرنانديث قبل أن يكون بوسعها أن تصير، من جديد، مصدرا منتجا للأدب الأرجنتيني. غير أن إعادة الكتابة هذه تعنى أيضا، رمزيا، نهاية فييرو كشخصية ورمز: يسدد فييرو ديونه بموته وقبل كل شيء فإن فييرو يهزمه شخص ما (أسود Moreno، رجل من عرقٍ آخر، يُعدُّ أدنى من السلالة الكريولية) ما كان ليهزمه في قصيدة إيرنانديث.

وتمثل علاقات التناص بين القصيدة والقصة مفتاحا لأدب بورخيس ولوقفه تجاه الماضي التاريخي والثقافي للأرجنتين. ومرة أخرى، يعلن بورخيس بوضوح في تأمل حول قصيدة مارتن فييرو (في قطعة صغيرة يقوم فيها بإعادة رواية قصة حياة إحدى الشخصيات الرئيسية في القصيدة، الجندي وطريد العدالة لاحقا تاديو إيسيدورو كروث^(*)) أن قصيدة مارتن فييرو "كتاب رائع؛ أي أنه كتاب يمكن أن يكون موضوعه <كل شيء لكل الناس>، ذلك أنه قابل لتكرارات، وروايات، وتحريفات لا تنفذ تقريبا"^(هـ).

الروايات والتحريفات: هذه بالضبط هي قراءة بورخيس للتراث الأدبي. أولا، كان هناك إيباريستو كارييجو، وكان شاعرا شعبيا ثانويا حولته بورخيس إلى نوع من الاستباق لأدبه هو؛ ثم جاءت القصص الثانوية التي أعاد حكايتها في تاريخ عالمي للعار وأخيرا هناك إعادة كتابته لـ مارتن فييرو، التي يتخذ فيها ما يقول إنه الموقف الوحيد الذي يمكن أن يكون لشخص إزاء التراث: الخيانة. ويتمثل أسلوب هذه الخيانة في معارضة تفسيرات أخرى للنص، وفي العودة إلى إيرنانديث ذاته، وتخطي القراءة المدعية للقصيدة على أنها ملحمة. وهو بهذا يطور في "النهاية" إحدى ثيماته الأكثر ثباتا: أن "المرء" يجب أن يمثل لقدره، الذي يعيد في صورة قدر داخل قدر en abîme إنتاج المصير الذي عاناه آخرون.

غير أن بورخيس - بتقديم موت مارتن فييرو - إنما يقوم بقتل أشهر شخصية أدبية في الثقافة الأرجنتينية. إنه يغلق القصيدة التي كان إيرنانديث قد تركها مفتوحة:

(*) في قصة : سيرة تاديو إيسيدورو كروث ١٨٢٩ - ١٨٧٤ 1829 Biografia de Tadeo Isidoro Cruz

1874 - (المترجم)

يمثل موت مارتن فييرو في أن معا موت شخصية ونهاية مجموعة - أسطورية أدبية. وبهذه الطريقة، يجيب بورخيس على سؤال أيديولوجي وجمالي: ماذا ينبغي أن يفعل كاتب طليعي مع التراث؟ ويمثل دمج قصته "النهاية" في المجموعة الجاوتشية طريقة أصيلة في التعامل مع هذا السؤال. والحقيقة أن بورخيس لا يرفض الماضي بأكمله in toto، إنه على العكس يتصدى للنص الأهم (النص المقدس) وينسج قصته هو بالخيوط التي كان إيرنانديث قد تركها سائبة في قصيدته. وهكذا تجرى إعادة تصوير، وفي الوقت نفسه تعديل، قصة مارتن فييرو إلى الأبد.

وسأبحث الآن "الجنوب" وقصة المحارب والأسيرة"، أخذة كلتا القصتين معا إذ إنه، بمعنى ما، يمكن أن يقرأهما المرء باعتبارهما نسختين مختلفتين من نفس الثيمة. ويُعدّ خوان دالمان Juan Dahlmann، الشخصية الرئيسية في "الجنوب"، مثل بورخيس نفسه، نتاج تهجين الثقافات. ومن المعروف جيدا أن جدة بورخيس كانت امرأة إنجليزية انتقلت إلى أسرة كريولية بالزواج من رجل كان، في حوالي ١٨٧٠، يقود منشأة عسكرية على حدود الإقليم الهندي. كما أن من المعروف جيدا أيضا أن بورخيس أخبر قراءه، في مناسبات عديدة، أنه تربى في حيّ نمطى من أحياء بوينوس آيرس هو حيّ بالميرو (حيث عاش إيباريسكو كارييجو أيضا)، وأنه يتذكر أنه كان يسمع موسيقى الجيتار ويرى الكومباريتو أو رجال السكاكين الذين كانوا شجعانا بصورة أسطورية وكانوا خارجين على القانون أو حراسا شخصيين لسياسيين محافظين - أو كلا النوعين في الوقت نفسه. وهو يحكى لنا عن بيت طفولته القديم، الذى كانت تفصله عن الشارع البوابة الحديدية ذات المعمار الكولونيالى، و، فى تلك البيئة الكريولية التقليدية تماما، عن مكتبة ضخمة لكتب إنجليزية قرأ فيها لأول مرة ألف ليلة وليلة The Arabian Nights . (فى ترجمة [السير ريتشارد] بيرتون [Sir Richard Burton]، و[روبرت لويس] ستيڤنسون [Robert Louis Stevenson] ، ومارك توين، وبن كيخوته فى طبعة إنجليزية أحبها أكثر كثيرا من الأصل الإسباني. ونحن نعرف أن أول عمل أدبى له، عندما كان فى التاسعة أو العاشرة ، كان ترجمة قصة لأوسكار وايلد Oscar Wilde نُشرت فى صحيفة فى بوينوس آيرس وكانت ترجمة متقنة إلى حد أن الجميع ظنوا أن والد بورخيس هو الذى ترجمها.

ومثل جدته الإنجليزية، التي كانت قد عاشت من قبل في قرية متواضعة في قلب سهول الپامپا، محاطة بالإقليم الهندي، يشعر بورخيس بأنه ينتمى إلى هذين العالمين المختلفين جدا: العالم الكريولى لجدته العسكرية، والتراث الإنجليزي (والأوروبي، بوجه عام) لجدته. وفيما بعد سوف يبلور هذه الأسطورة عن الأصل المزدوج في القصة القصيرة المعنونة "قصة المحارب والأسيرة"، التي تكتشف فيها امرأة إنجليزية، جدة بورخيس، أن امرأة إنجليزية أخرى كان الهنود قد استدرجوها وأسروها قد فضلت، عندما عُرض عليها الاختيار، أن تعود إلى القرية الهندية حيث كان قلبها، وأكثر من قلبها، قد صار مفتونا بوحشية حياة جديدة. إن المرأة الإنجليزية مفتونة بـ، وفي الوقت نفسه مرتعبة من، هذا التبنى لثقافة مختلفة، وغريبة من كل النواحي، أو - كما يمكن أن يعبر والدا بورخيس وبورخيس نفسه - من هذه العملية من التحول إلى امرأة بربرية:

ربما أحست المرأتان للحظة بأنهما أختان؛ فقد كانتا بعيدتين عن جزيرتهما المحبوبة وفي بلد عجيب، تفوهت جدتي بسؤال من نوع ما؛ وأجابت المرأة الأخرى بصعوبة، باحثة عن كلمات ومرددة إياها، وكأنما أدهشتها نكهتها القديمة. ذلك أنها لم تتكلم لغتها الأصلية على مدى خمسة عشر عاما ولم يكن من السهل عليها أن تستعيدها. قالت إنها كانت من يوركشاير، وإن والديها كانا قد هاجرا إلى بوينوس آيرس، وإن الهنود قد اختطفوها وإنها الآن زوجة زعيم أنجبت له إلى الآن ابنين، وإنه شجاع جدا. كل هذا قالته بإنجليزية ريفية، مختلطة بالأراوكانية Araucanian أو الپامبية Pampan، ووراء قصتها كان يمكن أن يلوح المرء حياة وحشية : مخابى من جلد الخيل، والنيران الموقدة من السماد الجاف، وأعياد اللحوم المحروقة أو المصارين النيئة، والنهب، والحروب، والهجمات الكاسحة على المزارع الكبيرة haciendas من جانب الفرسان العراة، وتعدد الأزواج، والروائح الكريهة، والمعتقدات الخرافية. لقد نزلت امرأة إنجليزية بنفسها إلى مستوى هذه البربرية. ألحت عليها جدتي، وقد حركتها الشفقة والصدمة، أن لا تعود.

وأقسمت على أن تحميها، وأن تستعيد أطفالها. ردت المرأة بأنها سعيدة وعادت في تلك الليلة إلى الصحراء (٦) .

ويعتقد بورخيس بوضوح أن عبور حدود ثقافية والعيش على حافة حدود (ما يسميه هو في شعره الحواف *las orillas*) يمثل نموذجا ليس لقصة الأسيرة فحسب بل له هو، وكناية *metonymically* للأدب الأرجنتيني. ويمكن التعبير عن الأسيرة الإنجليزية بمجاز تناقض لفظي *oxymoron* : جنية، زرقاء العينين، امرأة هندية. وفي بداية قصة *المحارب والأسيرة*، يستشهد بورخيس ببنيديتو كروتشه Benedetto Croce الذي كان بدوره قد استشهد بمؤرخ لاتيني حول موضوع دروكتولفت Droctulft، المحارب اللومباردي الذي، "أثناء حصار رافينا، ترك رفاقه ومات وهو يدافع عن المدينة التي كان قد هاجمها من قبل". (٧) ويعترف بورخيس بأنه ظل أعواما حائرا إزاء - ومتعاطفا بصورة غريبة حقا مع - قرار دروكتولفت، فقط عندما انتهى إلى الربط بين هذه القصة وبين قصة جدته الإنجليزية استطاع أن يدرك المعنى الذي تضمنه استعمال المفرد "قصة" (وليس "قصص") في عنوان نصه. إن دروكتولفت لم يكن خائنا، بل كان معتنقا (مهديا) جديدا:

تأتى به الحروب إلى رافينا وهناك يرى شيئا لم يره من قبل مطلقا، أو لم يره تماما. إنه يرى النهار، وأشجار السرو، والرخام، يرى الكل الذي لا يتمثل تعدده في الفوضى، يرى مدينة، كائنا عضويا يتألف من تماثيل، ومعابد، وحدائق، وحجرات، ومدرجات مسارح، وزهریات، وأعمدة، ونطاقات منتظمة ومفتوحة. لم يترك فيه (إنى أعزف) أى من هذه الإنشاءات أى انطباع بأنه جميل؛ لقد تأثر بها كما قد نتأثر اليوم بألية معقدة قد لا يمكن أن نسبر غور الهدف منها ولكن ربما أمكن حدس ذكاء خالدا في تصميمها (٨) .

وكانت الأسيرة الزرقاء العينين أيضا معتنقة (مهدية) جديدة، مع أن معنى تبنيها للثقافة الهندية كان يمكن أن يبدو لنا (لكن ليس ل "ذكاء خالدا") أنه النقيض لموقف

دروكتولفت. لقد اختار كل من المحارب والأسيرة أن يهجرا عالمهما مسحورين بأخيرة لم يفهماها.

ويستخدم بورخيس نفس الثيمة فى قصته "الجنوب". إن خوان دالمان، الشخصية الرئيسية للقصّة هو، مثل بورخيس، سليل أسلاف مختلطين. إذ كان جده يوهانس دالمان Johannes Dahlmann قسيساً بروتستانتياً من أصل ألماني وكان أبو أمه، فرانثيسكو فلوريس Francisco Flores، رجلاً عسكرياً كريولياً من أصل إسباني كان قد حارب ضد الهنود. وكان دالمان - مثل بورخيس فى الأربعينيات عندما كُتبت هذه القصّة - أمين مكتبة مغموراً ذا عواطف كريولية مبهمّة وكان يحتفظ، وإنّ ببعض الصعوبات الاقتصادية، بالمنزل الريفى لمزرعة كبيرة كان قد ورثها فى جنوب إقليم بوينوس آيرس. ومثل بورخيس أيضاً، يُولّع دالمان بالكتب القديمة والطبعات النادرة. وذات مساء، عندما يصل إلى البيت ومعه مجلد من ألف ليلة وليلة، يصاب دالمان بجرح فى رأسه إذ يصطدم بنافذة مفتوحة غير منتبه أثناء صعوده على السلالم إلى مسكنه. والجرح فى جبهته عميق وخطر. ويتلوّث الجرح ويصاب دالمان بحمى. وبعد أيام عديدة من فقدان الوعي والهذيان، يعلن الأطباء أنه تجاوز مرحلة الخطر. وفى حالة من الضعف والتشوش، يقرر أن يقضى بعض الوقت فى المزرعة، التى لم يزرها منذ أعوام. وعند هذه المرحلة تأخذ القصّة اتجاهاً غير متوقع. يكتب بورخيس: "الواقع يؤثّر تماثلات مع قليل من المفارقات".^(٩) وتنقلب قصّة مرض دالمان إلى قصّة شفائه المستحيل، لأنه سيتم توضيح أن قراره بأن يتجه جنوباً، إلى داخل السهول، أخطر كثيراً من جرحه الجسماني الذى التأم بالفعل تقريباً.

يأخذ دالمان قطاراً ويحمل معه مجلد ألف ليلة وليلة الذى كان يقرأه فى مساء الحادث الذى وقع له. ومع هددة حركة القطار، ورتابة المشهد، والابتهاج الطفولى الذى أحدثته الرحلة، يردد لنفسه بصورة متواصلة أنه فى اليوم التالى سيكون فى المزرعة، فى قلب سهول البامبا، فى عمق الجنوب، حيث كان الجاوتشو، الهنود والرجال العسكريون، ذات يوم يحاربون آخر معاركهم أو آخر مبارزاتهم. كانت الوحشة كاملة

وربما معادية وكان بوسع دالمان أن يبدأ فى الارتياح فى أنه يتجه جنوبا، بل أيضا نحو الماضى". وتبدأ بعض التفاصيل الغريبة، مثل "إزاحات صغيرة"، التأثير فى هذه السعادة الكاملة تقريبا: لا يقف القطار فى المحطة المعتادة وينزل دالمان فى مكان مجهول، حيث يقال له إنه سيكون من الممكن له أن يذهب إلى مزرعته بسيارة أو عربة. ويقبل دالمان، كما يقول بورخيس، هذا التغير "باعتباره مغامرة صغيرة".^(١٠) ويصل إلى پولبيريا حيث يلاحظ عددا من الجاوتشو الذين يذكرونه بالأطباء والمرضات الذين قاموا برعايته أثناء مرضه. وتشوش الواقع تماثلات ومصادفات، غير أنه لا يظهر شيء شاذ للوهلة الأولى من هذا التشوش. ويفسر دالمان هذه التغيرات الصغيرة، والأشكال الغريبة من التعرف أو عدم التعرف، واندياحات الضوء على أنها أشياء تحدث بصورة مستقلة عن رغبته فى تغيير أو قبول شيء. ويستسلم للمسار المجهول والممتد لمصيره. وجالسا إلى مائدة فى پولبيريا، منتظرا أن يقدموا له عشاءه، تحت مراقبة جاوتشو لا ينتمون إلى الزمن الراهن (تجرى القصة فى ١٩٣٩ ويرتدى هؤلاء الجاوتشو ملابس القرن التاسع عشر)، ولا يبدو مع هذا فى غير مكانهم الصحيح، يتعشى دالمان بالسردين واللحم البقرى المشوى والنبىذ الأحمر القوى.

"فجأة أحس دالمان بشى يمس برفق وجهه، وبجوار الكأس الثقيل من النبىذ المعكر، فوق تقليمة فى مفرش المائدة، استقرت كرة من كسرة الخبز قذفها شخص ما. كان هذا كل شيء". كان من الجلى أنه يجرى استفزاز دالمان، غير أنه كان ينبغى أن لا يعرف أحد من هو، أو على الأقل ماذا يتصور، إلى أن يسمع اسمه: "سنيور دالمان، لا تُعر اهتماما لهؤلاء الأولاد؛ إنهم أنصاف سكارى".^(١١) ويحسم دالمان أنه لم يعد يمكن، الآن وقد عرف الناس من هو، أن يتجاهل الإهانة ويتفادى الصراع، لأن الناس سيقولون إنه تصرف كجبان أمام حفنة من الجاوتشو السكارى.

وعلى الفور تغدو الغرفة اليقينية بأنه سيقا تل جلية، ومحتومة، وعبثية. يلقى شخص فى الـ پولبيريا، وكان جاوتشو مسنا جدا، سكيننا نحو قدميه؛ يلتقطه دالمان ويخرج إلى الليل ليخوض مبارزة - مواجهها بهذا قدره الأمريكى الجنوبى. "بدا وكأن الجنوب قد قرر أن دالمان يجب أن يقبل المبارزة".^(١٢) وعندما ينحنى ليأخذ السكين،

يحس بأن "فعلا غريزيا تقريبا قد حكم عليه بالقتال" وبأن "السلاح فى يده التى أصابها الخدر لم يكن مطلقا للدفاع بل كان سيصلح فقط لتبرير قتله". ومع هذا تنتهى القصة على هذا النحو: "متشبتا بحزم بسكينه، الذى ربما كان لا يعرف كيف يقبض عليه ويستخدمه بمهارة، خرج دالمان إلى السهل". (١٣) .

ومثل مارتن فييرو فى "النهاية"، يقبل دالمان قدره. غير أنه على خلاف مارتن فييرو، الذى لا يمكن إلا أن يتصرف وفقا للعرف الأخلاقى الوحيد الذى يعرفه، قام دالمان بصنع قدره عبر اتخاذ خيارات صغيرة من بين الإمكانيات التى قدمها له أصله المزدوج: كان مولودا فى العالم الكريولى الريفى، وهو يختاره ببساطة منقادا للنزوة التى تحولت إلى مصير. وكما فى قصة المرأة الإنجليزية الأسيرة التى تقرر العودة إلى القرية الهندية وترفض تعاطف جدة بورخيس فإن دالمان، عندما يتجه جنوبا، إنما يبدأ فى قبول جانب من تراثه، تراث جده فرانثيسكو، والحقيقة أنه، عندما يفكر فى أن يتجه جنوبا، إلى المزرعة، ليستعيد صحته، إنما يتجه جنوبا ليستعيد صورة ماضيه. وهذا، أيضا، معنى "المفارقات الطفيفة": الجاوتشويرتون ثياب القرن التاسع عشر، البيئات البدائية ذاتها، والرجل المسن، رمز - "شفرة"، كما يقول بورخيس - يقدم سكينه لدالمان، موجه إياه صوب قدره: قبول تراث، ولكن أيضا قبول الموت.

ومن الجلى أنه يمكن النظر إلى هذه التفاصيل على أنها دعائم الأدب الفانتازى: إبهام الزمان والمكان، والأشكال الزائفة من التعرف أو عدم التعرف، والتماثلات، والمراجع المشوشة. غير أن هذا جلى، وما أحاول أن أقوم به هنا هو أن أنظمها ضمن نموذج "نظري" يمكن أن يكشف معنى ومكانة الأدب الأرجنتينى، والطريقة التى يمكن أن يصل بها المرء إلى قلبه وإلى حقيقته نفسها المنطوية على الخطر.

ومثل المرأة الإنجليزية الأسيرة، تستحوذ على دالمان القوة الرمزية للبدائية، لأن ما يمكن التفكير فيه على أنه بدائى يتوافق مع مجموعة من القيم والتقاليد (احترام القضاء والقدر، وقبول المصير، والشجاعة الجسدية) التى تفتقر إليها الثقافة الحديثة. وفى كلتا القصتين، ينتقم البعد الكريولى أو الهندى من النطاقيين الحضري والمتعلم. وفى كليهما، تجرى إعادة فتح الشخصيات الرئيسية عبر السحر الذى تمارسه البربرية عليهما. ويقبل دالمان، أمين المكتبة الذى يبحث فى الجنوب عن شىء ما أكثر

من مجرد شفاء صحته، المبارزة الكريولية التي تستعصى على الفهم مع غريب بلا سبب أو على الأقل بلا سبب يمكنه أن يسميه، وتختار الأسيرة الإنجليزية العودة إلى المستوطنة المحلية، منجرفة بـ "دافع خفى، دافع أعمق من السبب" (١٤).

ويشتغل الأدب على مادة هذا الدافع الذى يرشد بورخيس أيضا فى ابتكاره الشعرى المتمثل فى *الحواف las orillas*، الحدود بين المدينة والريف، أو بين عالمين: أوروبا وأمريكا اللاتينية، والكتب، والزعماء *caudillos* أو *الكومبادريتو compadritos*، وأسلافه الإنجليز والدم الكريولى. والحقيقة أن شيئا ما فى الماضى الأرجنتينى يرتبط بعمق بهذه الثقافة الريفية، التى يضعها بورخيس فى مقابل التراث الحضرى، والمتعلم، والأوروبى. وما من أصل من هذين الأصلين يمكن قمعه أو إلغاؤه تماما؛ وما من أحد منهما يجب التشديد عليه إلى حد طمس الآخر. غير أن تعايشهما لا ينتهى إلى تناسق كلاسيكى بل إلى صراع.

وهذا التوتر الناشئ عن الأصل المزدوج ماثل فى صميم الأدب الأرجنتينى. وهو ماثل داخل دالمان، القادر على الاستشهاد بمقاطع من مارتن فييرو عن ظهر قلب، وكذلك على معرفة قيمة طبعة نادرة أو رائعة من ألف ليلة وليلة. وقد سحر كلا الكتابين بورخيس، ويقدم له كل منهما قالباً لعدد هائل من القصص، التى يمكن قراءتها وإعادة قراءتها فى نصوص جديدة. ولا حاجة إلى القول إن ألف ليلة وليلة هى أيضا ترجمة، الصورة التى يتخذها نص شرقى كلاسيكى فى لغة أوروبية. وبطريقة ما تمثل الترجمة أيضا مشكلة الأدب الأمريكى اللاتينى، على الأقل من وجهة نظر بورخيس: بلده مكان طرفى (هامشى) بالمقارنة بالتراث الأدبى الغربى، ووضع كتابه فى حد ذاته إشكالى. ويقودهم واقع أنهم لا يتعرفون فى إسبانيا على بلد أم ثقافى إلى ربط أدبهم القومى بأداب بلدان أوروبية أخرى. غير أن واقع أنه يوجد أيضا تراث ثقافى محلى لا يبسط هذه العلاقة. وعلى مدى أعوام تناول بورخيس هذه المشكلة بطريقة رمزية وإلى حد ما تهكمية. وهو، مثل دالمان، يحفظ عن ظهر قلب مارتن فييرو التى تخصه (وأعاد كتابة بعض مشاهداتها)؛ وهو مثل دالمان يعرف قيمة التراث الكريولى؛ وهو مثل دالمان يمزج هذا التراث فى مزيج أوروبى. وهو يعرف أن الماضى الكريولى لا يجب البحث عنه بل

الحصول عليه، لا يجب تبنيه بل تلقيه - وهذا الاقتناع يمنحه رأيا، أيضا، حول دمج المهاجرين الجدد في الثقافة الأرجنتينية.

و"الجنوب" في آن معا مأساوية وتهكمية. وهي تحمل إنذارا مزدوجا: قد يكون المزيج الثقافي قدرنا، غير أنه ينطوي على خطر. ويتمثل أحد أخطاره في إضفاء الطابع الرومانسي المهذب على الماضي الكريولي وهذا يفضي إلى نوع من الأدب الريفى، القائم على تصوير المناظر، الذى يرفضه بورخيس ويتفاداه فى ممارسته القصصية والنقدية. يكتب بورخيس: "عُمَيَانٌ عن كل خطأ، يمكن أن يكون القدر قاسيا لا يرحم عند أدنى حالة شرود من المرة".^(١٥) وربما كانت هذه الجملة تشير إلى حالة الشرود العقلى لدالمان عندما يصعد السلم إلى مسكنه؛ غير أنه قد يكون من الممكن أيضا قراءتها على أنها استباق تهكمى لمصيره. ومصعوقا بروعة المناظر الطبيعية للبيئة الريفية التى طالعتة، لا يستطيع دالمان أن يقاوم سحر نهاية كريولية لحياته، يمكن النظر إليها ليس على أنها قدر فحسب بل أيضا على أنها عقاب على بوقاريته Bovar-ism وكلتا النهايتين ممكنتان على قدم المساواة فى تهكم متعدد الطبقات للقصة.

ويمكن وصف نموذج الأدب الأرجنتيني عند بورخيس على أنه يتمثل فى التنظيم الأوروبى لتراث أمريكى وليس على أنه سيادة السمات المحلية على الثقافة الأوروبية أو المجلوبة. وقد حاولت قراءتى لـ "الجنوب" أن تقدم، فى حدوده الرمزية، هذا المزيج الثقافى الذى لا يقدم أبدا نهاية سعيدة بل يقود بالأحرى إلى الصراع. ولوت دالمان مغزى مهم ليس فقط لأنه يتم تقديمه تحت سماء سهول الپامپا وفى مباراة كريولية (وهذا انقلاب درامى مفاجئ peripeteia جرى استباقه فى هارتن فييرو)، بل أيضا لأن أمين مكتبة والحفيد لراع بروتستانتى أوروبى هو الرجل الذى يتحقق من خلاله القدر على هذا النحو. ويقول بورخيس إن دالمان قد صقل "كريولية" criollismo طوعية ولكن غير متباهية أبدا "كانت ملائمة لرجل من المدينة وقارئا لـ ألف ليلة وليلة - وهو، على كل حال، غريب على البعد العتيق (الذى ربما أحدثه هذيانه) لـ پوالبيريا الفقيرة حيث كان عليه أن يتلقى التحديات إلى مباراة. والحقيقة أن تحقيق هذا التفاير (وهو مجاز تناقض لفظى حقيقى، مثل المرأة الهندية الجميلة الزرقاء العينين) يُحيل ليس فقط إلى الأصل المزدوج لدالمان وبورخيس، بل للثقافة الأرجنتينية ذاتها.

والمزيج في آن معا لا غنى عنه وإشكالي. وبورخيس بعيد تماما عن الحلول التركيبية السلمية التي يمكن أن تحول الأرجنتين إلى الفضاء الشعري لبوتقة انصهار ثقافي. إن كل أدبه، على العكس، ممزق بأحاسيس الحنين، لأنه يدور على الحد بين عالمين، على خط يفصلهما ويربط بينهما، غير أنه، عبر وجوده ذاته، يكشف عدم أمان الصلة. وبهذا المعنى، ينتمي أدب بورخيس إلى حافة بين أوروبا وأمريكا؛ إنه يكشف المسافات والتحويلات، بنفس الطريقة التي يفصل بها نقش الكتابة مسافات الصفحة عن مسافات الحياة^(١٦).

الهوامش

- (١) "Dulcia Linquimus Arva", in J.L. Borges, *Selected Poems, 1923-67*, London 1972, pp. 49-51.
- (٢) Leopoldo Lugones, *El payador*, Buenos Aires n.d.
- (٣) J.L.Borges, *El hacedor*, Buenos Aires 1960, p. 38.
- (٤) كل هذه الاستشهادات من قصة "النهاية" The End في: J.L. Borges, *A Personal Anthology*, London 1972, pp. 137-8.
- (٥) قصة "سيرة تاديو إيسودورو كروث" Biography of Tadeo Isodoro Cruz في: *A Personal Anthology*, p.132.
- (٦) "قصة المحارب والأسيرة" The Warrior and the Captive في: *Labyrinths*, London 1970. pp. 161-2.
- (٧) *Ibid.*, p. 159.
- (٨) *Ibid.*, p. 160.
- (٩) قصة "الجنوب" The South في: *A Personal Anthology*, p.113.
- (١٠) Both quotations, *ibid.*, p. 15.
- (١١) For both quotations, *ibid.*, pp. 16-17.
- (١٢) *Ibid.*, p. 17.
- (١٣) *Ibid.*, pp. 17-18.
- (١٤) "قصة المحارب والأسيرة"; p. 162.
- (١٥) "الجنوب"; p. 12.
- (١٦) العبارة من إدوارد سعيد في: Edward Said, *Beginnings*, New York 1986, p. 237.

الفصل الرابع

مجازات الأدب الفانتازي

تُعدّ قصص بورخيس الفانتازية أحد الأسباب الرئيسية وراء شهرته الأدبية. والواقع أن قصصه القصيرة تُقرأ منذ الستينيات، باعتبارها الإطار *mise-en-scène* الأساسى لكثير من المشكلات التى تهم النقد الأدب . والحقيقة أن قصصه الفانتازية ومقالاته الفانتازية (التي أعنى بها نصوصاً مثل "اللغة التحليلية لجون ويلكنز" *Examen de El idioma analítico de John Wilkins* أو "دراسة لأعمال هربرت كوين" *Examen de la obra de Herbert Quain*) تعالج على السواء ثلاث مجموعات من المسائل هى فى أن معاً جمالية وفلسفية: مصادر المادة الأدبية؛ الإستراتيجيات التى تقوم الحبكة والإجراءات الشكلية عن طريقها ببناء عالم خيالى أو بإثارة مناقشة؛ والعلاقة بين اللغة والتمثيل (التصوير أو العرض فى الأدب والفن، إلخ..). بمعنى ما، استبق بورخيس الكثير من الموضوعات التى تستحوذ على اهتمام النظرية الأدبية المعاصرة: وهم المرجعية، والإنتاج المتناقص، والطابع الملتبس للمعنى.

ويمكن أن نقرأ قصص بورخيس القصيرة الفانتازية من مختلف وجهات النظر النظرية. وتعود بعض مداخل البحث بأصولها إلى آراء بورخيس عن فن وصناعة القصة أو تسترشد بها. وتحاول مداخل بحث أخرى، لا تتناقض مع هذه القراءات غير أنها لا تضعها فى مركز تفسيرها، أن تفهم معانى قصصه الفانتازية فى إطار ما يمكن، بصورة عامة جداً، أن نسميه التاريخ المعاصر. وستكون هذه مهمتى فى الفصول الثلاثة التالية.

والحقيقة أن بورخيس قد أقام فن الشعر (*ars poetica* كما يقدمه هو) على أساس مزدوج. من ناحية كانت هناك الحاجة إلى ابتكار حركات مثالية، مثل تلك التى أعجبته

عند كتاب مثل كيلنج و [روبرت لويس] ستيفنسون [Robert Louis] Stevenson، اللذين كانا بمثابة مثالين لقاعدة جمالية مصممة من أجل تفادي طابع الفوضى وعدم التنظيم للواقع كما يحاكيه الأدب الواقعي. ومن ناحية أخرى كان هناك إغراء الحرية التي يتمتع بها الأدب الفانتازي بالمقارنة مع العرض وفقا للمذهب الطبيعي، ونظريات الإبداع الأدبي poetics الواقعية، والمحاكاة الواقعية السيكولوجية.

وقد فضل بورخيس دائما القصة القصيرة على الرواية كنوع أدبي، لأن التفاصيل غير الضرورية تثقل دائما في رأيه على حبكة الرواية الحديثة، التي يتخذها شبح التمثيل والمرجعية مأوى له بصورة لا يمكن تفاديها. واعتقد بورخيس أن الرواية لا يمكن أن تخلص نفسها من آثار، مهما تكن طفيفة، مما هو واقعي. وكان الطول الذي تقتضيه قواعد النوع الأدبي أحد الأسباب وراء ضعفها؛ إن طول الرواية، بالمقارنة بالقصة القصيرة، يمثل قيда شكليا على كمالها. ولهذا أبدى بورخيس رأيه مرارا وتكرارا ضد الواقعية ومحاكاة الواقع باعتباره المرجع وأعلن مرارا وتكرارا سخطه على الأدب الروسي أو الواقعية الفرنسية والمذهب الطبيعي الفرنسي. وكان يشكو من أن الروايات الروسية قدمت شخصيات تنهمك دائما في سلوك متناقض وفي كثير من الأحيان سخي، من قبيل الانتحار لأنها تحس بالسعادة، أو قتل شخص بدافع الحب: شخصيات مبنية على أساس نوع السيكولوجيات المعقدة التي يمكن أن يكتشفها أي قارئ بسهولة عند دوستوفسكي (وعند أحد معاصري بورخيس الأرجنتينيين: روبرتو أرت). وأكد بورخيس أن الروايات تتمحور على الشخصيات بدلا من الحبكة، وتميل بالتالي إلى تصوير مضطرب للحدث الذي يمنح الفراسة السيكولوجية قيمة أعلى من الكمال الشكلي. وفيما يتعلق ب *Ulysses*، معيار تقييم القصة الحديثة، وكانت خطأ فاصلا في نظر الكتاب الشبان في الثلاثينيات، يعلن بورخيس أنه يُقدر عاليا كتابة *écriture* جيمس جويس James Joyce الرائعة مستدركا أنه لم يستطع متابعتها من البداية إلى النهاية. وقد قرأ أجزاء منها غير أنه لم ينجح في قراءتها كاملة. ولا ينبغي أن نأخذ هذا التصريح بمعناه الظاهري، غير أنه ينبغي اعتباره موقفا جماليا إزاء *Ulysses*، وبصورة أعم إزاء الأدب الحديث والطبيعي. غير أنه ينبغي أن

نضيف أن ترجمة بورخيس للصفحات الأخيرة من مونولوج مولى بلوم Molly Bloom تُعدّ، دون شك، أفضل ترجمة تم إنجازها على الإطلاق لجويس فى الإسبانية.

أحبّ بورخيس منذ الطفولة قصص المغامرات. (ويمثل ستيفنسون، فى هذا الخصوص، الاسم الذى يرد دائما على شفتيه، جنبا إلى جنب مع ألف ليلة و ليلة). وتتوقف المتعة التى تُستمد من قصص المغامرات على حبكة بالغة الإحكام بلا أى خيوط مهلهلة وبأدنى إشارة إلى دوافع وبواعث سيكولوجية عميقة. وعلاوة على هذا فإن روايات المغامرات لا تواجه مشكلة "الطول"، التى تؤدى دائما، فى رأى بورخيس، إلى حبكة ضعيفة، لأنها بوجه عام منظمة ضمن سلسلة أحداث تبدأ وتنتهى داخل المدى الزمنى لفصل واحد. ويمكن فهم إعجاب بورخيس المتناسك بـستيفنسون وكيبلنج من هذا المنظور، ولكن ليس من هذا المنظور وحده. وفى مقدمته لـ تقرير برودى ، المنشور فى سنة ١٩٧٠ عندما كان بورخيس فى قمة الشهرة والاعتراف العالمى، كان لا يزال يُصرّ على هذا الإعجاب ويعلن أنه استلهم الشكل القصصى عند كيبلنج:

لم تكن قصص كيبلنج الأخيرة معذبة ومحيرة أقل من قصص فرانز كافكا Franz Kafka أو هنرى جيمس Henry James ، التى تتفوق عليها دون شك؛ غير أنه فى سنة ١٨٨٥، فى لاهور، بدأ كيبلنج الشاب سلسلة من الحكايات القصيرة، مكتوبة بأسلوب غير معقد، جمعها فى سنة ١٨٩٠ . والعديد منها ... روائع قصيرة جدا. وقد خطر ببالي أن ما تصوّره ونفذه شاب عبقرى يمكن أن يجربه رجل على حافة الشيخوخة يعرف صنعته. ومن هذه الفكرة جاء الكتاب الحالى، الذى أترك الحكم عليه للقارئ. (١).

وتمثل الحبكة ذات البناء المحكم ضرورة أخلاقية بمعنى أنها لا تعدّ بأكثر من أن الأدب عليه (على الأقل) أن يقدم لقرائه: متعة الكمال الشكلى دون تدخل يذكر من العالم المعيش. وفى الأدب الفانتازى يمكن لبورخيس أن يُوجز نظاما مثالى الكمال بقوة الحكى وحدها و - ظاهريا على الأقل - بصورة مستقلة عن الواقع الاجتماعى: تقدم القصة الفانتازية عوالم مفترضة hypothetical تقوم على قوى خيال لا تعرقله المعوقات

التي تفرضها الجماليات التمثيلية. إن ما هو فانتازي أسلوب لا يعتمد إلا على الضرورة الداخلية للنص. ورغم أنه يمكن التدليل على أن الأدب الواقعي أيضا يقدم عوالم مفترضة لا تختلف عن العوالم الفانتازية إلا في درجة احتمال فرضياتها، أحب بورخيس دائما التدليل على دعواه ضد التمثيل الواقعي وكأن ما تجرى المخاطرة به ليس مجرد تراث أدبي أو اختلاف بين أنواع الخطاب بل بالأحرى أخلاقيات الأدب ذاتها.

وأراء بورخيس هذه معروفة جيدا، وقد رزدها المرة تلو الأخرى حتى منذ المقالات الأولى التي نشرها في المجلة الأدبية سور^١ Sur (الجنوب) والمجلة الأسبوعية الأوجار El Hogar في الثلاثينيات. ويدعم بورخيس استقلال القصة بحجج أخلاقية وجمالية. الحبكة الكاملة، وتفادى التفاصيل غير الضرورية التي تؤدي إلى الفوضى وتفرض سمات محلية غير مرغوب فيها على القصة (رغم أن بورخيس يضيف العديد من التشعبات والانحرافات إلى قصصه هو)، والأسلبة الجمالية لأصوات النص - هذه هي القواعد التي ينبغي أن يتبعها الكتاب ليس فقط لكي يحققوا النوعية الجمالية بل أيضا ليكونوا مخلصين لواجبهم الذي يتمثل، على وجه التحديد، في احترام الوسيلة التي ينتجون بواسطتها الأدب.

ويمكن النظر إلى هذه المبادئ، فيما وراء عرض بورخيس نفسه لها في علاقتها بفن الشعر ars poetica عنده، على أنها رد فعل أرسطو على عالم تسوده الفوضى بدا في الثلاثينيات أنه يترنح على حافة اللاعقلانية. ويمثل دفاع بورخيس عن أدب فانتازي عقلاني (مثل دفاعه عن قصة بوليسية عقلانية على طريقة ج. ك. تشيسترتون G. K. Chesterton) استجابة خلقة للاعقلانية التي بدا أن الحضارة الغربية قد سقطت فيها: عقلانية الفاشية والشيوعية - والديمقراطية الجماهيرية، التي كانت تثير اشمزاز بورخيس شأنها شأن السلطوية تماما. ورغم أن بورخيس نفسه ما كان ليوافق على مثل هذا التفسير للإنتاج Oeuvre الفانتازي، فإن من الممكن مع هذا أن نفهمه على أنه استجابة غير مباشرة ومشفرة ورمزية للغاية للاعقلانية (وهي وجهة نظر فلسفية لم يؤيدها بورخيس في يوم من الأيام) ولحالة الثقافة المعاصرة، التي وصفها بورخيس، في مقال عن بول فاليري Paul Valéry، كما يلي:

إهداء وضوح الفكر للناس فى عصر متواضع الرومانسية، فى العصر
السوداوى للنازية والمادية الجدلية، عصر المبشرين بالفرويدية وتجار
السورىالية *surréalisme*، تلك هى المهمة السامية التى قام (ويواصل القيام)
بها قاليرى (٧).

ويحدد بورخيس هنا المهمة التى وضعها نصب عينيه، فى عالم ينظر إليه على أنه
معتل وغير عضوى، والحقيقة أن نظام فانتازيا بورخيس لا يجمعه شىء بالخيال
السورىالى، أو بالرفض الدادائى *Dadaist* للهيراركية الجمالية، أو بالاستخدام
التعبيرى *Expressionist* للإغالة والتشويه المهشم. إنه على العكس، يقدم عوالم
كابوسية غير أنها كاملة بصورة استحواذية ومنظمة بانتظام مزعج.

ولعل من الممكن أيضا قراءة قصصه على أنها استجابة (مهما كان قد حاول أن
يصون الأدب كفضاء متحرر من الرأى السياسى المباشر) ليس فقط للتطورات الجارية
فى أوروبا، حيث أثار صعود الفاشية وتوطيد نظام شيوعى فى الاتحاد السوفييتى قلق
المثقفين الليبراليين، ولكن أيضا هجمات الديمقراطية الجماهيرية فى الأرجنتين،
ولا يعنى هذا أن الديمقراطية الجماهيرية كانت تزدهر تماما هناك فى الثلاثينيات، بعد أن
كان قد وقع انقلاب عسكري فى أوائل الثلاثينيات، وبعد أن كان قد تم حظر الحزب
الراديكالى، الذى كان يمثل الطبقات الوسطى وأقساما من الطبقات الشعبية. غير أن
ما أقلق بورخيس وأصدقائه فى النخبة المثقفة كان إضفاء الطابع الجماهيرى على
الثقافة والمجتمع فى بلد كالأرجنتين كان قد اندفع بسرعة خاطفة فى طريق التحديث
الاقتصادى والاجتماعى، وشهد عملية نمو حضرى استطاعت فى غضون عشرين سنة
تغيير بوينوس آيرس بالكامل تقريبا، وحولتها إلى مدينة حديثة مثل مدن أوروبا الغربية.

ويمكن النظر إلى استجابة بورخيس على أنها فرض مبدأ للنظام فى عالم بدا فيه
أن الهجرة، والتعددية اللغوية، والنظام الجديد الذى أقامه الحزب الراديكالى الذى كان
قد حكم من ١٩١٦ إلى ١٩٣٠، والقلق الاجتماعى التى أعقبت أزمة ١٩٢٩، تنذر
مجتمعة بنهاية الهيمنة الكريولية على الثقافة والمجتمع. وباختصار فإن العالم الذى
عاش فيه بورخيس فى الثلاثينيات والأربعينيات كان مختلفا اختلافا هائلا عن عالم

طفولته. وفي مواجهة هذه التغيرات اقترح الاختراع الأدبي لعالم، في دواوينه الأولى، وإعادة التنظيم الأدبية لواقع كان عرضة لأن يصير واقعا لا يطاق (كما صار بالفعل، بالنسبة لبورخيس على الأقل، بعد سنوات قليلة في عهد النظام البيروني ١٩٤٥ - ١٩٥٥). والحقيقة أنه لم تجر إلى الآن محاولة القيام بقراءة تاريخية كهذه لقصص بورخيس، غير أن مثل هذه القراءة يمكن حقا أن تلقى ضوءا جديدا على دور بورخيس نفسه كمتقف، وليس ككاتب فقط. وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد.

غير أنه توجد طرق أخرى يبدو أنه لا مناص منها لقراءة بورخيس الفانتازي. وتحمل القراءات الفلسفية هنا مكان الصدارة. ^(٣) ذلك أن من الممكن النظر إلى كثير من قصصه stories على أنها قصص خيالية fictions تتأمل أفكارا فلسفية بنفس الطريقة التي تطور بها قصص خيالية فانتازية أخرى أفكارا علمية أو سيكولوجية. وبهذا المعنى فإن قصص بورخيس هي الإطار العام السردى لمسألة ليست مطروحة بصورة صريحة بل يتم تقديمها، في القصة الخيالية، من خلال تطور الحكمة. ولا يعني هذا أن كل قصة تقدم حلا لمشكلة، على الأقل ليس ما يعتبر إجابة أو حلا بصورة عامة أو من الناحية الفلسفية. بعيدا عن هذا: لا تقدم قصص بورخيس معالجة فلسفية لفكرة، بل بالأحرى ما يمكن أن نسميه موقفا سرديا فلسفيا philosophical narrative situation.

وقد ابتكر بورخيس نوعا من القصة الخيالية fiction لا تجرى فيها مناقشة أفكار من خلال شخصيات، ولا تقديمها للقارئ فضلا عن التمتع بحبكة سردية تتكشف. وعلى العكس فإن الأفكار هي في الوقت نفسه مادة stuff الحكمة، وهي تشكلها من الداخل. والأفكار عند بورخيس ليست ضرورية فقط لتطور الحكمة (كما هي على سبيل المثال، عند كاتبين مختلفين مثل (ليو) تولستوي [Leo] Tolstoy وجويس)، بل يتم تقديمها باعتبارها الحكمة نفسها. وتقوم قصته الخيالية fiction على بحث إمكانية فكرية Intel-lectual يتم تقديمها كفرضية سردية. غير أن بورخيس لا يحصر قوة موقفه السردى الفلسفي في قصصه، والواقع أن مقالات كثيرة لبورخيس تقدم أيضا فكرة (أو فكرتين متناقضتين) من خلال إستراتيجية تلعب على الحدود بين الوقائع والقصة، عن طريق الإسنادات الزائفة، والإزاحات، والاستشهادات الصريحة والخفية، والمحاكاة البارودية،

والتطوير الشديد المغالاة لقضية فلسفية ، ومزج الابتكار والمعرفة ، والعلم
الواسع الزائف.

و"اللغة التحليلية لجون ويلكنز"، مقال قصصى قصير مشهور يقدم فيه بورخيس
تصنيفا لبعض اللغات ينسبه إلى "موسوعة صينية":

... تنقسم الحيوانات إلى (أ) تلك المملوكة للإمبراطور، (ب) تلك المخنطة،
(ج) تلك المدربة، (د) الخنازير الرضيعة، (هـ) عرائس البحر، (و) تلك
الخرافية، (ز) الكلاب الضالة، (ح) تلك المدرجة فى هذا التصنيف، (ط) تلك
التي ترتعش وكأنها مصابة بالجنون، (ى) تلك التي لا تحصى ولا تعد، (ك)
تلك المرسومة بفرشاة رفيعة جدا من شعر الجمل، (ل) أخرى، (م) تلك التي
كسرت للتوفازة زهور، (ن) تلك التي تشبه الذباب من مسافة ^(٤).

هذا التسلسل الشاذ الغريب - الذى خصص له فوكو تعليقا رائعا فى مدخله إلى
نظام الأشياء - يجمع ، بنفس طريقة حبكة قصصية خيالية فانتازية، بين عناصر
لا تتبع قواعد أو نظام ما يُنظر إليه على أنه الواقع أو واقع اللغات المعروفة. وهذا
الإعلان الشاذ الخارج على المؤلف عن نظام لا يمثل حقا، وفقا للمعايير الفكرية
المعروفة، نظاما إنما هو مثال دقيق على ما أسميه موقفا فلسفيا، وليس عرضا
كلاسيكيا لمشكلة أو لحل تلك المشكلة.

إنه، فى الواقع، عرض presentation، عن طريق الأسلوب القصصى الخيالى
البورخيسى جدا والمتمثل فى نسبة زائفة إلى كتاب غير معروف أو بعيد الاحتمال،
لاستحالة تقديم شكل لغوى لما نسميه الواقع. فلا لغة تعكس الواقع، رغم أنه تم بذل
محاولات كثيرة لتفسير لماذا يُفترض قيام استعمال اللغة على قدرته على تحويل
الكلمات إلى ترتيب للأشياء فى المكان والزمان هو فى حد ذاته، بعيد عن ذات طبيعة
الخطاب لأن نظام الواقع ونظام الخطاب يستجيبان لمنطقين مختلفين، وفى شكله المبالغ
فيه، تحاكي الموسوعة الصينية الزائفة جهودا أخرى أكثر عقلانية بذلها الفلاسفة
والعلماء لاستكشاف الآلية mechanism التى ندرك الواقع من خلالها والطرق التى

نقوم بها بتقسيم المتصل التجريبي experimental continuum للزمان والمكان، ويقول بورخيس، تحت غطاء الموسوعة، إن كل هذه الصيغ إنما هي اصطلاحات conventions، لأنه "لا يوجد تصنيف للكون ليس اعتباطيا وافتراضيا. والسبب بسيط جدا: إننا لا نعرف ما هو الكون"^(٥).

ولكى يبين هذا فى شكله النصي، يختار تقديم هذا التصنيف المتسم للغاية بعدم التجانس، وهو تصنيف لا يراعى أى مبدأ منطقي للاستبعاد والإدراج، ولا أى تكوين منطقي للمجموعات، والأنواع، والأجناس، وهو قبل كل شيء تصنيف يدرج نفسه فى التصنيف. وهذا الشكل النصي هو ما أسميه موقفا فلسفيا.

ويمكن أن نقول الشيء نفسه عما يسميه بورخيس الألف Aleph : نقطة تشتمل على كل أزمنة وأمكنة الكون، تجريد وفى الوقت نفسه كرة ملموسة تحتوى عليها. ولا يمكن أن نفهمها عبر الإدراك "العادي" لأنها تنطوى على اللانهاية، ولكن يمكن أن نكتبها. وتوحى الألف بمعضلة فلسفية: إذا كانت تحتوى على كل شيء، وكل لحظة، فهي تحتوى إذن على نفسها، غير أنها إذا كانت تحتوى على نفسها، فلا بد أنها تحتوى على "ألف" أخرى تحتوى على "الألفين" السابقتين وهكذا إلى ما لانهاية. ويكتب بورخيس: "رأيت الألف من كل نقطة وزاوية وفى الألف الأرض وفى الأرض الألف"^(٦).

أدين لعبة بسكويت معدنية بفكرتى الأولى عن مشكلة اللانهاية. وعلى جانب من ذلك الشيء الغريب كان قد تم تصوير منظر يابانى؛ ولا أستطيع أن أتذكر الأطفال أو المحاربين الذين تم تصويرهم فيه، غير أننى أتذكر تماما أنه على ركن فى تلك الصورة، عاودت الظهور نفس لعبة البسكويت المعدنية مع نفس المنظر على جانبها، وعليه من جديد نفس المنظر وهكذا (على الأقل كاحتمال) بصورة لانهاية^(٧).

وهذا واحد من الترتيبات البصرية المفضلة للصور عند بورخيس: بنية الصورة داخل الصورة، التى هى فى الوقت نفسه بنية سردية، ومجاز، ونموذج مكانى. وتمثل

بنية قصة داخل قصة مثالا رائعا عما أسميه موقفا سرديا فلسفيا: إنها تطرح مسألة فلسفية (بشأن اللانهاية أو التكرارات اللانهائية) من حيث التصوير البصرى أو من حيث نموذج للحبكات. وهى تفضى إلى ما يصفه بيوى كاساريس، متحدثا عن "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس"، بأنها قصة خيالية ميتافيزيقية. كما تتشابه بنية قصة داخل قصة، مع موضوع فى الفلسفة الغربية، هو مبدأ الهوية، وهى تربكنا بطريقة لا يربكنا بها أى نموذج مفاهيمى آخر، لأنه يؤكد، إلى حد ما، تفوق الصور على الواقع:

ليست ابتكارات الفلسفة أقل خيالية من تلك الخاصة بالفن: فى الجزء الأول من عمله "العالم والفرد" استنبط جوشيا رويس Josiah Royce ما يلى: "لنتصور أن قطعة من أرض إنجلترا تمت تسويتها على خير وجه وأن رسام خرائط يرسم عليها خريطة لإنجلترا، ويتم المهمة على أكمل وجه؛ فليس هناك أى تفصيل من تفاصيل إنجلترا، مهما كان ضئيلا، لم يتم تسجيله على الخريطة، فكل شئ هناك ما يناظره، وهكذا إلى ما لانهاية".

فلماذا يزعجنا إدخال الخريطة فى الخريطة والألف ليلة فى الألف ليلة وليلة؟ ولماذا يزعجنا أن يكون دون كيخوته قارئاً لكيخوته وهاملت مشاهدا لهاملت؟ أعتقد أنني وجدت السبب: توحى هذه الانقلابات فى الأوضاع بأنه إذا كان بوسع شخصيات عمل قصصى خيالى أن يصيروا قراء أو مشاهدين، سيكون بوسعنا، نحن قراءها أو مشاهديها أن نصير وهميين^(٨).

وتقيم بنية قصة داخل قصة، عن طريق تنظيم باروكى للمكان، نظاما هو فى حد ذاته مفارقة بصرية؛ فهو يرغمنا على أن نتصور اللانهاية المكانية فى مكان غير لانهاى. ووفقا لمبدأ الاشتمال اللانهائى، فإنه يغير إيماننا بصدق مدركاتنا الحسية ويقيم توترا بين ما يمكن تصويره منطقيا وما يمكن إدراكه بصورة ملموسة أو مادية أو محسوسة. وهو يصحح ما كان يمكن أن يصفه بورخيس بأنه الطبيعة الناقصة للعالم المدرك من خلال الحواس البشرية. وهو، مثل متاهة محكمة التصميم، لانهاى، ومثل متاهة، يقيم ضد نظام العالم، الذى من المستحيل إدراكه، نظاما مفاهيميا لمجاز

يصحح المفاهيم الناقصة التي عززها الفكر "الواقعي". ومفهوم الدائرية اللانهائية ماثل في المتاهات وأيضا في المرايا وفي الأحلام التي تشتمل على أحلام أخرى أو على الحالم. وهذه الأبنية المتبادلة الاعتماد التي لا حل لعقدتها، حيث إن العضلات المنطقية لا إجابة لها، تمارس تأثيرا حاسما (فهي مناهجية) على البعد الميتافيزيقي. وعلى هذا فإن الحالم في "الأطلال الدائرية" تجرعه في كينونته دائرية الأحلام التي يشتمل، في شكل قصة داخل قصة، كل حلم منها على آخر. وعلى هذا النحو أيضا، ففي قصة صينية استشهد بها بورخيس مرارا، "حلم زوانج زى بأنه فراشة ولم يعرف عندما استيقظ ما إذا كان رجلا حلم بأنه فراشة، أم فراشة تحلم الآن بأنها رجل" (٩).

سبق أن ذكرنا أن بورخيس يؤمن بكمال الحبكة كقاعدة من القواعد الرئيسية للقصة الخيالية القصيرة. وهو يجد في إنتاج كافكا مثالا على هذا الكمال، في بساطته وفي تكديسه الكابوسي لتفاصيل ضئيلة وغير أكيدة وتكرارات. وقد حل بورخيس روايات كافكا في مقالات مكتوبة في أواخر الثلاثينيات. وهو يؤكد أن المحاكمة والقلعة تخضعان لنفس الآليات المنطقية التي تخضع لها مفارقات زينون Zeno، وبصورة خاصة مفارقة أخيل Achilles والسلفاء، التي أحبها بورخيس، واستدعاها مرارا.

يجرى أخيل أسرع من السلفاء عشر مرات ويعطى لذلك الحيوان ميزة السُّبْق بعشرة أمتار أمامه. يجرى أخيل تلك الأمتار العشرة، والسلفاء مترا واحدا، ويجرى أخيل ذلك المتر، فتجرى السلفاء ديسيمترا؛ ويجرى أخيل ذلك الديسيمتر، فتجرى السلفاء سنتيمترا؛ ويجرى أخيل ذلك السنتيمتر، والسلفاء مليمترا، وأخيل السريع القدمين المليمترا، والسلفاء عُشر مليمترا، وهكذا إلى ما لانهاية، دون أن يحدث اللحاق بالسلفاء أبدا (١٠).

وفي روايات كافكا، يجرى طرح المفارقة من حيث استحالة الوصول إلى القلعة أو اكتساب بعض المعرفة وهذا حيوى بالنسبة للشخصية الرئيسية، ومهما يكن، ما تحاول الشخصيات في الرواية أن تحققه، فسوف تكون هناك دائما عقبة جديدة

ينبغي التغلب عليها. وينظم كافكا الأحداث القصصية في تسلسل يمكن تقسيمه بصورة لانتهائية، ولهذا السبب فإنه لانتهائى مكانا وزمانا.

ويعجب بورخيس بالمفارقات ليس لعدم تطابقها مع التجربة بل لإبرازها التهكمى لقوة المنطق وحدوده. فالمفارقات لا تتعامل مع التضاربات أو التناقضات، بل تُبرز بالأحرى، من خلال التماسك الشكلى الذى لا تشوبه شائبة، حقيقة كم أن العقل محدود عندما يحاول، من جهة، أن يدرك طبيعة الواقع و، من جهة أخرى، أن ينظم نموذجا مثاليا من المتصور أنه يمكن أن يتطابق مع ذلك الواقع. وللمفارقات فضيلة إظهار الحدود التى جرى خلق الأدب (أو الفلسفة) ضدها.

وتؤثر المفارقة على مبدأ الهوية و - حتى بصورة أكثر جذرية - على البنية المنطقية لاستدلالتنا، إذ إنها تثبت فى أن معا، إمكانيات الاستدلال (لأن أى شىء يمكن إثباته منطقيا) ومزيج الغريب من القوة والضعف إزاء الواقع (لأن ما تم إثباته يتحدى الإدراك العام). والحقيقة هى أن المفارقة تنتقد الإدراك العام والفلسفة التجريبية. والسؤال، الذى ربما كان لا يمكن الإجابة عليه، هو ما إذا كانت المفارقة تؤيد قوة المنطق ضد قوة الإدراك العام، أم، على العكس، تفضح الطبيعة الجوفاء لاستدلالتنا، فى نفس الوقت الذى توضح فيه الاستنتاج الذى لا يمكن تفاديه وهو أن الواقع لا يمكن فهمه لا عن طريق الإدراك ولا عن طريق البناء الشكلى للمنطق. وأعتقد أن كلتا الإجابتين ماثلتان فى نفس الوقت فى قصص بورخيس الفلسفية، التى تكمن قوتها فى الطريقة التى يتحرك بها بورخيس بين مطلبين مختلفين: روعة البناء المنطقى واليأس الذى يثيره كمال شكلى لا يمكن بحكم التعريف أن يترجم البنية المجهولة للعالم الواقعى.

وتقدم المفارقات مادة ممتازة لبناء القصة الخيالية. ويستخدم بورخيس هذا المجاز المنطقى جنبا إلى جنب مع مجازات أخرى، تساعد فى إظهار الإمكانيات اللانتهائية لمختلف التركيبات المنطقية والشكلية دون أى ادعاء لوجود صلة محاكاة بالواقع. وعلى العكس فإن المجازات الشكلية والمنطقية مستقلة عن نظام الواقع، الذى لا يمكن فهمه فى حد ذاته بل يجرى فقط افتراضه بالفكر وفى الفكر. وفى مناسبات عديدة، اقتبس

بورخيس من المفكر الإسباني فى القرن الثالث عشر رايموندو لوليو Raimundo Lullio، مخترع آلة للتفكير (ليست آلة كانت قادرة على التفكير، بل كان يمكن استعمالها للتفكير). ويعلن بورخيس:

إنها (الآلة) لا تعمل ، غير أن هذا ، فى اعتقادى ، موضوع ثانوى. إذ إنه لا تعمل أيضا الآلات التى تحاول إنتاج حركة مستمرة، تضيفي خطتها الغموض على صفحات أكثر الموسوعات إسهابا؛ كما أن النظريات الميتافيزيقية أو اللاهوتية لا تعمل... غير أن ما هو معروف جيدا ومشهور من عدم نفعها لا يقلل من فائدتها (١١).

على أن آلة لوليو لها، فى رأى بورخيس، ما يمكن أن نسميه إنتاجية جمالية. وهنا ينبغى أن نتذكر أن بورخيس، مثل حكماء تيلون، (١٢) يحكم على الأنساق الميتافيزيقية من وجهة نظر تماسكها الشكلى وجمالها الفكرى. وتمثل آلة لوليو، رمزيا، نوعا من التناقض أو التضاد اللفظى ، لأنها مصممة لإعداد حل لأى مشكلة عبر التطبيق المنهجي للصدفة. وعلى هذا كان مفهوم الآلة يمثل فى حد ذاته تناقضا لفظيا، إذ إنه يتناقض مع فكرة "الآلة" (التي تقابل النتائج العشوائية) وفكرة المراحل المتعاقبة نحو حل مشكلة (رغم أن العلم يعترف اليوم بتأثير أضخم للصدفة فى منطق البحث).

وتتألف الآلة من ثلاثة أقراص دوارة ذات مركز واحد لكل قرص منها خمسة عشر أو عشرون تقسيما. وهذه التقسيمات يمكن أن تحفر عليها رموز أو كلمات أو أعداد أو ألوان. فلنتصور، كما يقول بورخيس، أننا نريد أن نعرف اللون الحقيقى للنمور. نبدأ بأن نخصص لكل رمز أو عدد على كل قرص لونا، ثم ندير الأقراص لى نتوصل إلى ترتيب ينشأ عن الصدفة (أو القدر إن شئتم). وعندئذ فإن العلامات على قرص سوف تتطابق مع العلامات على الأقراص الأخرى، مما يوجد نوعا من التركيب العشوائى حيث نكون قادرين على أن نفك شفرة أن اللون الحقيقى للنمور هو، ولنقل، الأزرق، والأصفر ، والذهبى ، أو الأزرق المائل إلى الصفرة ، أو الأصفر المائل إلى الذهبى، أو الذهبى المائل إلى الزرقة، وهكذا. ويمثل هذا الإبهام المفرط ميزة أخرى للآلة، ميزة

يمكن مضاعفتها في حالة الجمع بين أكثر من آلتين وتشغيلهما معا، ويستنتج بورخيس أنه لوقت طويل، اعتقد كثيرون أن الأقراص، إذا تم استخدامها بصبر، يمكن أن تقدم كل الإجابات عن كل مشكلة و"الكشف الأكيد للطبيعة المفضة للعالم" (١٢).

وما يسحر بورخيس هو طابع التناقض اللفظي لاختراع "لوليو"، وهذا ما أوضحته من قبل، ويسحره أيضا الجمع المغالي فيه بين الاستجابات العشوائية التي تعكس في اتحادها المتفاوت الطابع الفوضوي للواقع، الذي يمكن إعادة تنظيم شكله فقط، دون الأمل الباطل في أن ينجح هذا النظام في أن يمثل أو يعيد إنتاج ما هو واقعي، ورغم أن الاستجابات العرضية التي يمكن أن نحصل عليها من الآلة غير موجهة وتحديثها الصدفة إلا أنها مع ذلك دقيقة شكليا. والآلة دقيقة، حتى إذا لم يوجد شيء يجمع دقتها بالمنهج العلمي أو بالإدراك العام أو التجربة. وهي تعمل وفقا لقواعد القدر، كما أنها مجهولة للإنسان، ويجب قراءة نتائجها دون انتهاك التقاليد التي كانت سائدة قبل إدارة الأقراص (وإن جاز القول، بدون تغيير المعنى التقليدي للحروف أو الرموز المرسومة على تقسيمات القرص).

وكان أحد الفلاسفة الذين ظل بورخيس يقتبس منهم كثيرا في الثلاثينيات هو ماوتنر Mauthner، والحقيقة أن وصفه لآلة لوليو يذكرنا بوضوح بتعريف ماوتنر لمعجم للقوافي كآلة للتفكير حيث تقود قوافي كلمة إلى كلمات أخرى، تنتهي إلى جمعها في قصيدة افتراضية فقط بالضرورة الصوتية والمصادفة الدلالية - مصادفة تنتمي إلى نظام يقتضيه الشكل. ومثل هذه المصادفة الضرورية إنما هي تناقض لفظي على كل حال.

وتنتج الآلات التي من هذا النوع تكاثرا شكليا ينبغي احترامه واتباع قواعده (كيف يتم تشغيل الآلة وقراءة نتائجها). وفي مواجهة ما يبدو واقعا فوضويا، ينبغي أن يعمل الأدب بنفس دقة وقسوة آلة لوليو: "لكل مشهد في قصة محكمة الصنعة إسقاط لاحق"، كما كتب بورخيس - تماما كما تعدل كل حركة للقرص العناصر الماثلة في الأقراص الثلاثة الأخرى، وهذا التعديل لا يجب التغاضي عنه أبدا. ومهما كانت غرابة الأحداث التي يتم سردها في قصة فإنها ينبغي أن تظهر وكأن *as if* النظام ممكن في عالم النص.

وفى حكاية رمزية رائعة، "الجحيم"، ١، ٣٢، كتب بورخيس:

بعد ذلك بسنين، كان دانتي يحتضر، مغبونا ووحيداً كأي رجل آخر، وفى حلم، صرّح له الرب بالفرض الخفى وراء حياته وإنتاجه؛ أخيراً عرف دانتي، بدهشة، حقيقة مَنْ هو وماذا هو وبارك مرارة حياته. وتروى الأخبار أنه أحسّ، عند الاستيقاظ، بأنه تلقى وفقد شيئاً لانهائياً، شيئاً لن يكون بوسعه أن يعوضه أو حتى أن يتكهن به، ذلك أن آلية العالم أعقد بكثير من أن تفهمها بساطة البشر.

مجازات العقل، والخيال المنطقي، والصور البلاغية، التى تدل على التناقض الذى لا يمكن تفاديه بين الفكر أو الخطاب والواقع – كانت تلك هى الوسائل التى قدمت بها قصص بورخيس الفانتازية يأسه فى مواجهة إلهام دانتي Dante . غير أنها فى الوقت نفسه أدوات للعقل، تناوئ لاعتقالية لا نحسّ بها فى نصوص الفلاسفة فقط بل أيضاً فى نسيج الحياة المعاصرة ذاتها.

الهوامش

- (١) J. L. Borges, Doctor Brodie's Report, London 1976, p.11.
- (٢) Valéry as Symbol', in *Labyrinths*, London 1970, p. 233.
- (٣) توجد دراسة ممتازة عن المصادر الفلسفية لبورخيس في كتاب خايمي ريسـت Jaime Rest, *El laberinto de la filosofía de Borges*, Buenos Aires 1967.
- Ana Maria Barrenechea, *La expresión de la irrealidad en la obra de Jorge Luis Borges*, Buenos Aires 1976.
- (٤) The Analytical Language of John Wilkins', in *Other Inquisitions*, Austin (Texas) 1964, p. 103.
- (٥) *Ibid.*, p. 104.
- (٦) The Aleph', in Jorge Luis Borges, *The Aleph and Other Stories 1933 - 1969*, London 1973, p. 21.
- (٧) Cuando la ficción vive de la ficción', in *Textos cautivos; Ensayos y reseñas en 'El Hogar' 1936 - 1939*, Barcelona 1986, p. 325.
- (٨) Magic in the *Quixote*', *Labyrinths*, pp. 230 - 31.
- (٩) J. L. Borges and Adolfo Bioy Casares, *Cuentos breves y extraordinarios*, Buenos Aires 1986, p. 27.
- (١٠) Avatars of the Tortoise, *Labyrinths*, p. 237.
- (١١) J. L. Borges, La máquina de pensar de Raimundo Lullio', in *Textos cautivos*, p. 177.
- (١٢) للاطلاع على قراءة عن "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس"، انظر الفصل التالي.
- (١٣) La máquina de pensar de Raimundo Lullio', p. 177.
- (١٤) *Labyrinths*, p. 273.

الفصل الخامس

أبنية خيالية

سنحاول الآن قراءة ثلاث قصص هي "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس" *Tlön*, *Uqbar, Orbis Tertius*، و"مكتبة بابل" *La Biblioteca de Babel*، و"اليانصيب في بابل" *La lotería en Babilonia*، محللين التنظيم السردى لهذه القصص من خلال المجازات والصور البلاغية التي أوجزناها في الفصل السابق. ولعلنا نكون قادرين على بناء معنى ما من نموذج العوالم الخيالية التي تطورها هذه القصص عن طريق وصف شكل وقواعد نظامها القصصى. وسوف ندمج سطوراً متباينة في ظاهر الأمر في فرضية حول الطريقة التي يتحدى بها بورخيس، من خلال مواقف سردية فلسفية، طبيعة النظام ذاتها، وتشير المسائل التي تشكل أساس هذه القصص إلى واحدة من أعقد مشكلات بورخيس: كيف يمكن تحويل عالم في حالة فوضى إلى نظام، رغم أن نظامه يمكن أن يفرض إلى نظام كابوسى؟ وعن طريق تنظيم الفوضى، يكشف أسظام القصصى عن عالم يوتوبى *utopian* (وبالأحرى ديستوبى *dystopian* = لا يوتوبى) ^(١).

وقد أشار عدد من نقاد الأدب ^(٢) إلى أن التصميم السردى والمكانى لقصة "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس" مماثل لبنية قصة داخل قصة *structure en abyme*. ذلك أنه وفقاً لمدخل من مداخل الموسوعة الأنجلو - أمريكية *Anglo-American Cyclo-paedia*، نعلم أن أوكبار بلد يقع بصورة مبهمة في آسيا تتميز حدوده بأنهار وجبال لذلك الإقليم ذاته (لأوكبار). وهذا يساوى عدم وجود أى تعريف على الإطلاق لأن معالم الحدود داخلية في المكان الذى يفترض أن تحدّه هذه المعالم، ولا تحيل إلى أى بلد آخر معروف (وهذا تصوير مكانى بليغ لمفارقة منطقية). وتيلون إقليم خيالى وأسطورى في

بلد - أوكبار - يتضح فيما بعد أيضا أنه بناء جغرافى وثقافى خيالى. ومع الاتضاح التدريجى للحبكة يغدو تيلون كوكبا من اختراع إحدى الطوائف بواسطة اللغة وحدها. وأخيرا فإن أوربيس تيرتيوس هو العالم الموصوف بعبارات اللغة التى ينطقون بها على كوكب خيالى - تيلون - سبق وصفه بدوره بأنه إقليم أسطورى فى بلد مبهم ، أوكبار. ويستدعى هذا التسلسل المتناسك الحلقات لبلاد وأقاليم لا وجود لها بنية قصة داخل قصة. ويغدو من السهل أن نتعرف هنا على مثل صور متعددة مركبة، كما فى مرآة تعكس مرآة.

وفى بداية القصة يكتب بورخيس: "أدين باكتشاف أوكبار لاقتران مرآة وموسوعة".^(٢) وكانت المرآة قد ورد ذكرها على لسان صديقه بيوى كاساريس، مستشهدا بأحد كبار المهرطقين من أوكبار حيث نسب إليه أنه أعلن أن المرايا والجماع "شيئان كريهان لأنهما يضاعفان عدد البشر". ويؤدى هذا الاقتباس إلى بدء البحث عن الموسوعة الأنجلو أمريكية (وهى، كما يخبرنا بورخيس، إعادة طبع للموسوعة البريطانية *Encyclopaedia Britannica* : نسخة دقيقة أو ربما ليست دقيقة بكل معنى الكلمة). وهنا يجمع بورخيس ببراعة بين شيئين، المرآة والموسوعة، من شأن كل منهما بناء صور داخل صور *en abîme images* : الموسوعة مرآة مفاهيمية لعالم يمكن لتصنيفه أيضا أن يشتمل أيضا على فكرة موسوعة، ويمكن التفكير فيه على أنه "ألف" Aleph كلفظة وكألفاء.

وتقدم القصة، بطريقة متشابكة من الصعب متابعتها إلى حد ما، الأحداث السردية التالية (التي أعدت ترتيبها بالسنوات):

١٩٣٥: ذات مساء، يذكر بيوى كاساريس لبورخيس بلدا اسمه أوكبار قرأ عنه فى أحد مجلدات الموسوعة الأنجلو أمريكية. ويتصادف أن توجد طبعة منها فى منزل (فيلد) فى الضاحية كانا قد استأجراه بصفة مؤقتة لكنهما يكتشفان بعد البحث فيها أنه لا وجود للدخل عن أوكبار. ويصر بيوى كاساريس على أنه قرأ عن أوكبار فى الموسوعة وبعد ذلك بأيام قليلة يأتى بمجلد يبدو مماثلا للمجلد الذى سبق أن بحثا فيه، إلا أنه يشتمل على أربع صفحات إضافية تتضمن المقال الخاص بأوكبار. والمعلومات الواردة مبهمة، وتيلون مذكور باعتباره إقليما أسطوريا فى أوكبار.

١٩٣٧ أو ١٩٣٨: يجد بورخيس المجلد الحادى عشر من موسوعة أولى عن تيلون *A First Encyclopaedia of Tlön*، وكان مرسلًا إلى هيربرت آش Herbert Ashe، وهو شخص كان قد التقى به عدة مرات فى فندق بالضاحية. وهذا المجلد، الذى كانت صفحته الأولى مطبوعة بشكل بيضاوى يحمل عبارة "أوربيس تيرتيوس"، يشتمل على معلومات ثمينة عن تيلون، يقدم بورخيس الكثير منها فى صورة مواقف سردية فلسفية فى القصة.

١٩٤١: يتم اكتشاف رسالة من جونار إرفيورد Gunnar Erfjord إلى هيربرت آش يجرى فيها حل لغز تيلون جزئيا. فى أوائل القرن السابع عشر فكرت جمعية سرية فى مهمة اختراع بلد. وكان على كل عضو من أعضاء الطائفة أن يختار تابعا له فى هذا المشروع اللانهائى أو اللانهائى تقريبا من حيث المبدأ. وبعد مائتى سنة من الأعمال الصامتة أو السرية أو المتقطعة، تُعاود الجمعية الظهور فى أمريكا. وفى ١٨٢٤ يجند أحد أعضائها مليونيرا يتحمس للمشروع ويقترح الخطة الأكثر طموحا والتمثلة ليس فى مجرد اختراع بلد بل فى اختراع كوكب. وأخيرا، فى ١٩١٤، تتمكن الجمعية من نشر المجلد الأخير من موسوعة أولى عن تيلون؛ وأصبح من المطلوب فى ذلك الحين أن تقدم هذه الطبعة الأولى الأساس لطبعة منقحة، لكن على أن تكون هذه المرة طبعة مكتوبة بإحدى لغات تيلون. وتجرى تسمية هذه الطبعة الأولى المنقحة المعتمدة لعالم خيالى باسم أوربيس تيرتيوس (العالم الثالث: وهو تعبير لم يكن له شىء من أصدائه الراهنة عندما كتب بورخيس قصته). والمجلد المرسل إلى هيربرت آش والذى وجده بورخيس فى ١٩٣٧ هو أحد مجلدات هذه الطبعة الجديدة للموسوعة. -

١٩٤٢: تبدأ أشياء غريبة جدا، من تيلون، فى الظهور فى الأرجنتين من كل مكان: إنها أشياء ثقيلة جدا ويعثر بورخيس وأحد أصدقائه على أحد هذه الأشياء فى دكان ريفى بعيد فى سهول الپامپا.

١٩٤٤: يكتشف صحافى من ناشفيل المجلدات الأربعين من موسوعة أولى عن تيلون. ويكتب بورخيس حاشية تدلى بافتراض أن كافة اللغات والبلدان محكوم عليها بأن تختفى وأن العالم الحقيقى سيفقدو تيلون.

هذه هي "قوائم" الشبكة، أى ما يمكن النظر إليه على أنه التاريخ الخارجى لاكتشاف أوكبار، وقد قمت بإعادة ترتيب وبتبسيط تسلسل الأحداث الأكثر تعقيدا عند بورخيس. ويرتب بورخيس هذه المادة من خلال وسيلتين من وسائله المفضلة: العزو الزائف إلى خليط من النصوص الموجودة والمخترعة، وتقديم كثيرين من أصدقائه فى الحياة الحقيقية. وهكذا فإن الحدود بين ما حدث فعلا، وما كان يمكن أن يحدث، وما لم يكن من الممكن أبدا أن يحدث، تتداخل بواسطة منهج احتمالات يمنح مكانة رفيعة لاختراع باسم شخص حقيقى موجود، ويعزو إلى كتب ذات طبيعة ملتبسة (كتب يمكن أن توجد، ويبدو أنها موجودة) منشأ موقف خرافى أو اقتباس ضرورى، ولا حاجة إلى القول إن هذا المنهج فى العزو والاحتمال يطرح مكانة الواقع للنقاش؛ كما أنه يشير إلى الطبيعة المنفذة (المسامية) للقصة، التى تتوق إلى الإمساك بشيء يفرّ منها دوماً.

لننتقل الآن إلى المعلومات القصصية عن أوكبار وتيلون. وتختار القصة أن تقدم تصورا تيلونيا عن الكون، واصفة لغته وطبيعة علم نفسه - العلم الوحيد الذى يُعتقد أنه ممكن وجدير بالاهتمام. وقد طور العلماء فى تيلون صيغة متطرفة للمثالية، ويظهر اسم [جورج] بيركلى [George] Berkeley كإشارة عابرة قبل أن يجرى وصف تلك الوفرة من الفرضيات التى تؤلف جوهر أضالة الفكر التيلونى:

إن حقيقة أن كل فلسفة هى بحكم التعريف لعبة جدلية، فلسفة "كأن" Philosophy des Als Ob، أدت بالفلسفات إلى التضاعف، وهناك وفرة من أنساق لا تُصدق ذات هدف سار أو من نمط حسي. وميتافيزيقيو تيلون لا يبحثون عن الحقيقة أو حتى عن الصدق فى محاكاة الواقع، بل يبحثون بالأحرى عن المدهش. وهم يعتبرون الميتافيزيقا نوعا من الأدب الفانتازى. وهم يعلمون أن النسق لا يزيد عن كونه خضوع كافة مظاهر الكون لأى مظهر من هذا القبيل (٤).

ويمكن تطوير المواقف السردية من خلال استخدام صيغة "كأن" هذه: تصورُ العالم وكأنه مكتبة، والقضاء والقدر وكأنهما صورة النظام، كما فى "مكتبة بابل"

و"الانصيب فى بابل". وتسمح صيغة "كأن" بانتشار اختراع متماسك (نوع الخيال العقلانى، أو الشكل المنطقى للفانتازى، اللذين نجدهما عند بورخيس). ويطور حكماء تيلون فلسفة "كأن"، ليس فقط لعرقله العالم بل كذلك أيضا لتعديل الطريقة التى يتم بها إدراكه والطريقة التى يوجد بها بالنسبة لسكان تيلون. وهم يفهمون الزمان، والمكان، والجوهر (المادة)، والهوية، وفقا للاتجاهات السائدة فى الفلسفة. غير أن المبدأ المنهجى (الميثودولوجى) "كأن" للاختراع الفلسفى طريقة تسمح بتكاثر مختلف صيغ "الواقع" (ما دامت لا تُناقض بعض القوانين الأساسية جدا لتيلون، أى تلك التى مؤداها أن الكون "سلسلة من العمليات العقلية التى لا تتطور فى المكان بل بصورة متعاقبة فى الزمان"، أى التى مؤداها أن المكان، والجوهر (المادة)، لا يدومان فى الزمان). ويقدم بورخيس بإيجاز هذه الصيغ فيما ينتهى إلى أن يشكل قسما أساسيا من القصة. وما يثبته بورخيس هنا هو أن القصة يمكن بناؤها بمواد لا يجرى التفكير فيها عادة باعتبارها قصصية. وهو يبنى حركته وفقا للمبادئ التى يعزوها إلى الحكماء فى تيلون، بحيث تكون جاذبية الأنساق وجمالها، وقدرتها على إثارة الدهشة (على العمل كمواقف سردية فلسفية)، هى التى تشكل هنا أيضا أساس قيمتها.

كما أن هذا الموقف السردى الفلسفى يفتح الباب أمام مشكلة شروط وحدود المعرفة والفهم: ما يمكن إدراكه ليس أبدا الكون أو قوانينه، بل بالأحرى نموذج استدلالى قام ببنائه البشر وقوانينهم. فمتاهة الإله لا يمكن أن يدركها الفهم البشرى (وبورخيس لا أدرى فيما يتعلق بوجود إله أو ألهة)؛ وحدها المتاهات التى يبنئها البشر يمكن أن يفهمها العقل البشرى. وبناء البلد الخيالى تيلون (وهو إلى حد كبير اختراع مجموعة من المدارس الفلسفية) إنما هو تمرين فى فرض نظام يمكن، مهما بدا غريبا، أن يتأمله العقل البشرى بفضل قدرته على قبول المفارقة.

وبكلمات أخرى ينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا الأفكار التى تتعارض مع الإدراك العام: المفارقة مرآة معكوسة.

والنظام الفانتازى لكوكب تيلون هو بمثابة يوتوبيا تنتقد الفوضى التجريبية والمرجعية التى يحاول بورخيس أن يتفادها من خلال وضع الحركات التى تبلغ حد

الكمال لقصصه. ويساوى النظام الخيالى استجابة قصصية للمسألة الفلسفية، غير أنها استجابة صيغت فى إستراتيجيات جمالية تتبنى بعض أشكال هذا النقاش الفلسفى.

ويمكن أن تلخص بإيجاز شديد، السمات الرئيسية للثقافة التيلونية كما يلى :

(أ) لا وجود للزمان. وفيما تجزم مدرسة فكرية تيلونية بأننا نعيش فى حاضر أبدي، غير محدود وغير قابل للقسمة إلى ماض ومستقبل، تؤكد أخرى أن الزمان كله قد مر بالفعل وأن ما نعيش فيه ليس سوى ذكرى. (ب) الهوية، وفقا لهذا التصور، لا يمكن تخيلها، لأنه ما من جوهر (مادة) يمد وجوده عبر الزمان: فكرة الذات، كما تتصورها الفلسفة الحديثة منذ ديكارت، يجرى تقويضها بعمق على هذا النحو. (ج) لا يمكن بحال من الأحوال أن توجد أية مقولات عامة أخرى فى عالم يجرى إنكار اتصال (استمرار) الزمان أو الجوهر (المادة) فيه.

ويؤيد حكماء تيلون نظرة مثالية إلى العالم كما أن كل شىء فى ثقافة تيلون يفترض سلفاً المثالية الفلسفية. ويصف بورخيس بكل عناية نظريات لغوية وفلسفية تيلونية تتطابق فى كثير من الحالات مع نظرياته هو. وقد تخيل حكماء تيلون أنه لا وجود لاتصال مكاني، وأن المكان غير متصل بحكم التعريف، وأن مكانا أو شيئا فى المكان لا يكون أبدا الشىء ذاته إذا نظرنا إليه من وجهة نظر الزمان. ويؤثر هذا أيضا فى المبدأ المنطقى للهوية، وفى الطريقة التى اعتدنا عليها فى إدراك العالم وفهم أشيائه (فنحن نميل إلى اعتقاد أن قلم الرصاص الذى نستعمله الآن هو نفس قلم الرصاص الذى استعملناه أمس، لأننا نجد أن من المريح أكثر أن نفترض هذه الهوية سلفا).

وفى تيلون لا معنى على الإطلاق لمفاهيم مثل السبب والنتيجة. وإذا أصيب مبدأ الهوية، إذا لم يكن هناك اتصال مكاني أو زمني، فإنه لا يمكن بحال من الأحوال عقد صلة بين العلامات والأحداث: السيجارة المشتعلة، والدخان، والنار، تمثل لحظات متميزة فى سياق فلا يمكن ربطها ببعضها البعض نحويا أو هيراركيا. وما دام أنه لا وجود، فى تيلون، لأية إمكانية لإدراك مفاهيم مجردة كالهوية والسببية فإن العلوم كما نقوم بتعريفها ليست ممكنة. وبدلا من هذا تزدهر مئات الفلسفات التى تجد أساسها

فى مبدأ "كان"، وهى أنساق جميلة لا تدعى أية صلة بمرجع خارجى. وبعبارة أخرى فإن لها البنية الأساسية للأدب الفانتازى ويمثل مبدأ "كان" إحدى الإستراتيجيات الممكنة للقصة اليوتوبية والديستوبية، حيث تستهل فرضية من فرضيات "كان" اختراع قصة، ويمثل التفكير فى الزمان والمكان على أنهما غير متصلين، بدلا من أن يكونا متصلين، النظرة الأساسية إلى العالم فى تيلون كما أنه يسمح باختراع مكان خيالى وفقا لقواعد تجد أساسها فى إحدى فرضيات "كان".

وبصورة منطقية تماما لا توجد أسماء فى اللغتين الموجودتين فى تيلون، وتقوم إحداها على صفات مركبة، والأخرى على أفعال مركبة. ذلك أن الأسماء مستحيلة من حيث المبدأ، لأنه لا وجود لأي جوهـر (مادة) متصل من شأنه أن يقدم الأساس التجريبي/ المنطقي لاسم. والكلمات التى نعتبرها أسماء تأتى فى تيلون من تراكم الصفات التى تدل على حالات سريعة الزوال، وبطبيعة الحال فإن هذا النمط من الصفة يمكن استخدامه مرة واحدة فقط لأنه لا يمكن بحكم التعريف لأية حالة أن تكرر نفسها فى الزمان.

ويحدث هذا الشيء ذاته مع بعض الأفعال، مثل "يعثر" و"يفقد". فهذان الحدثان كلاهما لا يمكن تصورها فى تيلون لأنه، ما دام لا يوجد أى تطابق بين الأشياء ولا أى اتصال فى المكان والزمان، فإنه لا يمكن فقدان شيء ومن باب أولى فإنه لا يمكن العثور عليه من جديد. وعندما يحدث لشيء شيء نعتبره "فقدانا له" فإن نوعا من شيء ثانوى (يختلف اختلافا مبهما عن الشيء المفقود) يبدأ فى التوالد. وتسمى هذه المحاكيات (أو الصور الثانوية) "إرونير" hrönlr ويمكن استخدامها استخداما نافعا فى اختراع وتعديل الماضى، وهو نشاط يشغل ويفتن علم الآثار فى تيلون، ووجود الـ "إرونير"، الذى يألّفه كل شخص فى تيلون، إنما هو إثبات عملى لغياب أى أساس لمبدأ الهوية الذى ترتكز عليه ثقافتنا نحن. وفى كوكب مثالى مثل تيلون، كوكب قامت ببنائه اللغة، فإن "يفقد" يعنى "ينسى" و"يعثر" يعنى "يتذكر": ويصلح كلا الحدثين لإنتاج الـ "إرونير".

وفى تيلون، لا يعنى كون شيئين هما نفس الشيء تماما كونهما نفس الشيء؛ لأن مبدأ الهوية لا وجود له. وعلى هذا فإن الفلسفات التيلونية ليس لديها أية طريقة لبناء مقولة الذات، التى تُعدّ محورية فى الفلسفة الغربية فى العصور الحديثة. وانطلاقاً من هذا الغياب للذات يتعامل بعض نقاد الأدب مع صيغة المؤلف، التى هى افتراضية دائماً لأنهم ينسبون مختلف النصوص إلى نفس المؤلف الواحد: "يختارون عملين متباينين - تاو ته تشينج Tao Te Ching و ألف ليلة وليلة، مثلاً - وينسبونهما إلى نفس المؤلف الكاتب ثم يحسمون بمنتهاى التدقيق سيكولوجياً هذا الأديب homme de lettres المثير للاهتمام...".^(٥) وهى إستراتيجية ليست غريبة على بورخيس ذاته عندما يكتب مقالاته وقصصه النقدية "الفانتازية".

والحقيقة أن موت مقولة المؤلف ونسبة نصوص بالغة الاختلاف إلى شخصية pre-sona مخترعة صيغة من صيغ بورخيس المفضلة للتأليف فى الأدب، وتنطلق كثرة من قصصه القصيرة من فكرة أن التأليف غير وارد (غير جوهري)، كما سبق أن رأينا فى قصة "بيير مينار، مؤلف الكيخوته". وعمل مينار أعظم قيمة من عمل ثيربانتييس، بالتحديد لأن مينار، نظراً لأنه رجل من القرن السادس عشر، أكثر أصالة وترويعاً من ثيربانتييس، مع أن كلا النصين (كيخوته ثيربانتييس، وكيخوته مينار) قد يبدو أن نفس الشيء تماماً. ويجرى تقديم أسباب تفوق مينار فى مناقشة عن مبدأ الهوية.

ويقوم بورخيس بنشاط تيلونى مماثل عندما يخترع مؤلفين ثم يكتب مقالات أدبية قصيرة عنهم - مقالات هى فى الحقيقة قصص فانتازية. وهذه هى حالة هربرت كوين Herbert Quain، وهو كاتب خيالى يصف بورخيس كتبه الخيالية بالتفصيل. وقصص كوين، بالمناسبة، مماثلة للغاية لقصص تيلون: إنها تشتمل على كافة الاحتمالات الخاصة بحبكة، كما يجرى استكشافها جميعاً من خلال عدد لا متناه من التشعبات. وفى نظر كوين، كما فى نظر حكماء تيلون، فإن "الكتاب الذى لا يشتمل على نقيضه يُعتبر ناقصاً": مثله الأعلى للرواية هو أن تعرض كل إمكانية تنطوى عليها حجة؛ ومدفوعاً إلى نهايته المنطقية فإن هذا المثل الأعلى يجعل الأدب مستحيلاً، أو على الأقل إشكالياً للغاية.

وتمثل هذه الشذرات من المعرفة التيلونية والعلم التيلونى الجوهر الفلسفى لقصص بورخيس. غير أن هناك ما هو أكثر فيما يتعلق بالموقف الفلسفى المقدم فى قصة "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس". وكما سبق أن رأينا فإن الكوكب عالم فانتازى من اختراع طائفة سرية تعمل ككاتب جمعى. ويقوم وجود تيلون على أساس فرضية مسبقة من فرضيات "كأن"، تقوم بدورها على أساس قدرة اللغة على أن تنتج واقعاً، أو على الأقل ما يمكن أن يُسمى واقعاً من وجهة نظر مثالية. وتيلون، الذى صيغ باللغة، يجد أصوله فى أحد الأشكال المفضلة للتناص textuality (*) عند بورخيس: الموسوعة، وهى فى هذه الحالة نسخة من الموسوعة البريطانية الأثيرة لدى بورخيس. كما أن تيلون ينبثق من نشاط طائفة، أى شكل تنظيمى سحر بدوره عقله. والموسوعة الأولى عن تيلون يتواليا تناصية textual، والعالم الكامل للقصة الفلسفية. غير أن تيلون يبدأ، فى نهاية القصة، فى أن يغزو بعدواه العالم الناقص الذى نعيش فيه: تعبر أشياء من تيلون الخط الرفيع للغاية بين عالم من الكلمات، يُعامل بما هو كذلك لأنه فى موسوعة، وعالم من الكلمات يُعامل على أنه "واقعى" (بين علامات تنصيب تهكمية)، لأنه فى هذا العالم يمكن أن يجد القراء إشارات إلى بورخيس، ويوى كاساريس، ونصف دزينة من الكتاب الأرجنتينيين الآخرين. وفرضية "كأن" التى ينشأ منها تيلون تكشف عن قوة المعتقدات المثالية للحكمة التيلونية، وتبدأ أشياء من عالم "كأن" فى غزو الواقع من خلال عملية من التلوين الصامت.

واللغات الخيالية ماثلة فى صميم الموقف السردي الفلسفى لهذه القصة القصيرة. وفى الأصل الإسپانى يشير بورخيس، فيما كان يصف إحدى لغتى تيلون، إلى اللغة الخيالية التى اخترعها صديقه المصور إكسول سولار، والتى كانت مبنية على أساس نوع من أجرومية لغة الإسپرانتو Esperanto مع مفردات كريولية وبورتينيوية porteño (= بوينوس آيرسية). (٦) ومن الجلى أن هذه اللغة كانت مبنية على المحاكاة الساخرة. وتسمح لنا هذه الإحالات، مهما كانت تهكمية، بأن نرسم خريطة لاهتمام بورخيس باللغات ونظم التمثيل الاصطناعية والخيالية. وهذه اللغات والنظم فى نظره أقوى سحراً

(*) textuality هنا بمعنى intertextuality . (المترجم)

من اللغات الحقيقية لأنها لا ترتبط بأية صلات عشوائية مع واقع هو بحكم التعريف في حالة فوضى. وعلى سبيل المثال فإن جون ويلكينز، وهو شخصية مخترعة في أحد مقالات بورخيس القصصية، والتي سبق الاستشهاد بها، قام بتقسيم الكون إلى أربعين مقولة، تشير إليها أسماء أحادية المقطع يتألف كل اسم منها من حرفين أو صوتين لا غير. وتتفرع هذه المقولات، بدورها، إلى أنواع يشير إليها صوت إضافي ساكن؛ ويدل على الأنواع المنقسمة إلى فصائل صوت ملفوظ. ولغة فولاپوك Volapuk (العالمية) هي لغة أخرى اصطناعية يستدعيها بورخيس: يمكن لأفعال هذه اللغة، التي اخترعها كاهن ألماني، أن تتخذ أية صيغة تشتمل على صيغة الإمكان وصيغة الأمر وصيغة الظن من نمط peglidalod ، بمعنى "ينبغي تحيتك". وقد حلت محل الفولاپوك في نهاية الأمر الإسبرانتو، المبنية على الجذور اللاتينية. ورغم أن اللغات الخيالية مستحيلة الاستعمال فإنها يمكن أن تكون دقيقة منطقياً لأنه جرى تركيبها بوعي. وهذا ما يمنحها تفوقاً على ما نعرفه باللغات الطبيعية التي هي، بحكم التعريف، نتاج عمليات اجتماعية - تاريخية.

والتاريخ عند بورخيس كما عند جويس، قد ينقلب إلى كابوس. والترياق الوحيد ضد فوضاه، التي تعكس فوضى الواقع، هو النشاط المتمثل في الاختراع. و اللغات التي من النمط الذي نلقاه في تيلون لا تعكس العالم ذاته بل بالأحرى فكرة عن العالم. وهي تعمل على أساس فلسفي وليس على أساس اجتماعي أو تجريبي. واللغات تيلون علاقة شفافه بالمفهوم المثالي عن الواقع: إنها لا يمكن أن تعاني من اضطراب التجربة. فهي، على العكس من ذلك، تقوم بتشكيل التجربة.

غير أن اللغات الخيالية لها مزايا رمزية أخرى. فهي لا تقوم فقط بمنع فوضى التجربة من أن يجرى نقلها إلى الفكر واللغة. إنها أيضاً تقاوم الفوضى الاجتماعية الماثلة في صميم أي مجتمع حديث. واللغات الحقيقية تحمل سمات الاختلاط الديموجرافي، خاصة في مجتمعات مثل تلك التي في بلدان أمريكية لاتينية مثل الأرجنتين، حيث حل محل السكان الإسبان الكريوليين (بأكثر من ٥٠ في المائة) مهاجرون من جنوب ووسط أوروبا. وهذه التغيرات الديموجرافية التي نظر إليها المثقفون الأرجنتينيون في الثلث الأول من هذا القرن على أنها خطيرة من وجهات نظر

أيديولوجية، وثقافية، ولغوية، وسياسية، يمكن تجاوزها رمزياً عن طريق نسق تجريدي لموقف فلسفى وسردى.

هذا، بطبيعة الحال تفسير أيديولوجى لقصص بورخيس الفانتازية، وهو تفسير كان سيختلف معه بورخيس بشدة. ومع هذا فإنه يمكن تبريره من الناحية الاجتماعية والتاريخية؛ والأهم من هذا هو أنه يتطابق مع شواغل بورخيس ذاته بشأن الثقافة القومية فى العشرينيات، ومع إعادة قراءته للماضى القومى ومع إعادة كتابته للأدب الجاوتشى. وكما سبق أن رأينا ابتكر بورخيس صورة لبوينوس آيرس كمدينة لم تأسسها الهجرة ولا التعقيد الديموجرافى. وبدأت بوينوس آيرس الفعلية التى عاش فيها بورخيس فى حالة من الفوضى كما بدا عدم تجانسها مهدداً بالأخطار وغير جمالى. ورغم أن رد فعله الرئيسى على هذه التجربة قد تمثل فى إبداعه لأسطورة عن بوينوس آيرس مبنية على أساس الحواف *las orillas* فليس من العبث بحال من الأحوال أن نقرأ قصصاً فانتازية مثل "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس" بوصفها إستراتيجية أخرى لتأسيس النظام بالنسبة لمجتمع كانت نُظْمه القديمة أخذت فى التلاشى.

وقد أشار بورخيس غير مرة إلى أن قصص كافكا القصيرة (التي ترجمها بورخيس نفسه باقتدار) لها حبيكات ذات "بساطة مفزعة"، وأرجع التأثير الجمالى لتلك القصص إلى هذه السمة. وهى ليست مجرد سمة شكلية، كما تتميز بها القصة التى تنتقل إلى بحثها الآن: "مكتبة بابل". وقد وصف بورخيس هذه القصة بأنها "كافكاوية". ورمزها الرئيسى، مستلهم من تجربته كأمين مكتبة فى بوينوس آيرس، والتى تصفها القصة، بكلمات بورخيس، من خلال عدسة "تكبير حلمى". (٧).

وحتى إذا غرضنا النظر عن هذه التفاصيل البيوجرافية وعن افتتاح بورخيس الدائم بالنظام وبالترتيب المادى أو الخيالى للكتب فإن المكتبة تظل أحد الموضوعات (الموتيفات) الرئيسية فى قصصه وشعره. وتبدأ القصة بهذا الموضوع مستخدماً كمجاز:

الكون (الذى يسميه آخرون المكتبة) يتألف من عدد غير محدود وربما لانهائى من القاعات السداسية الشكل، بينها مناوَر ضخمة للتهوية،

ومحاطة بدرابزينات واطئة للغاية. ومن أى واحد من هذه الأشكال السداسية يمكن أن يرى المرء، بصورة لامتناهية، الطوابق العليا والسفلى. وتوزيع القاعات ثابت. عشرون رفًا، وخمسة أرفف طويلة على كل جانب، تغطي كل الجوانب ماعدا جانبيين (٨).

هذا هو الوصف الأول، البسيط، للعالم الافتراضى الذى يتكشف كسرد وكتنظيم مكانى فى القصة. فالمكتبة هى فى آن معا مكان منظم ومتاهة من نوع يُعجب به بورخيس. فهى (المكتبة) هندسية، ومنتظمة، بدون أية خدع إلا فى صميم بنيتها، التى تقوم على تكرار لعناصر متماثلة (الشكل السداسى الأضلاع شكل مكانى منتظم ذو طابع متناظر متناسق). وكما أعلن بورخيس ذاته فى حديث صحفى، (٩) كاذب، فكرته المكانية الأولى لمكتبة بابل هى أن يصفها كمجموعة لانهائية من الدوائر، لكن أزعجته فكرة أن الدوائر ستترك فيما بينها، عندما توضع داخل بنية كلية، مساحات فارغة. وقد اختار الشكل السداسى الأضلاع لبساطته التامة وللتشابه الملحوظ بينه وبين الدائرة.

ومكتبة بابل لانهائية ولامتناهية، لأنه يمكن دائما إضافة شكل سداسى جديد إلى البنية المفتوحة. لكن حيث إن كافة الأشكال السداسية تبدو متماثلة، وحيث إن لها نفس العدد من الأرفف، ونفس طراز المدخل أو المخرج، وحيث إن الكتب التى تحملها الأرفف لها نفس العدد على كل رف فى كل جدار فى كل شكل سداسى الأضلاع، فإن لانهائية المكتبة لا يمكن اكتشافها تجريبيا، حتى لو تم منح زمن لانهائى لأحد الرحالة. يمكن فقط إدراكها، وبالتالي تحديها، فكريا. وما من طريقة لتأكيداها من خلال المعرفة العملية: إن لانهائية المكتبة افتراض نظرى أو مسألة عقيدة. وهكذا فإن المسألة الفلسفية التى تتضمنها القصة تنتج عن المشهد السردى. وبهذا الخصوص يستشهد بورخيس بـ [بليز] پاسكال [Blaise] Pascal دون أن يذكر اسمه: "المكتبة (پاسكال: الكون) كرة يتمثل مركزها الدقيق فى أى واحد من أشكالها السداسية الأضلاع (پاسكال: فى كل مكان) ومحيطها لا سبيل إلى بلوغه" (١٠).

ومن ناحية البنية تتمثل المكتبة أيضا في عين كلية الرؤية a panotopic، يسمح توزيعها المكاني للكتل والدهاليز للمرء برؤية كل مكان فيها من أى من أشكاله السداسية المضلاع، ويستدعى التصميم الكلى الرؤية panotopic للمكتبة إلى الأذهان التصميم الخاص بسجن ينبغى أن يكون حُرَّاسه قادرين على رؤية كل زنزانية فيه من كل منظور ممكن. وقد درس فوكو هذا التصميم كإضفاء للطابع المكاني على الحكم الاستبدادى، وكرمز لمجتمع تكون فيه الرقابة الكلية ممكنة ولا يُسَمَّح فيه بأى مكان خاص (بأى فكر خاص). والكون الموصوف على أنه المكتبة تنقصه أية فكرة أو إمكانية للخصوصية: تغدو كافة النشاطات، بحكم التعريف، عامة. "إلى يسار ويمين المدخل هناك حجرتان صغيرتان جدا. فى الأولى، يمكن أن ينام المرء واقفا؛ وفى الأخرى أن يقضى حاجاته إلى التغوط".^(١١) ويحكم التعريف ينبغى أن تنسجم كافة النشاطات مع الممارسة الوحيدة الممكنة فى مكتبة: البحث عن معنى مكتوب.

وتبدو كافة الكتب فى المكتبة متماثلة تماما: كل كتاب منها يقع فى أربعمائة صفحة، وكل صفحة فى أربعين سطرا، وكل سطر فى ثمانين حرفا، والكتابة المطبوعة على أغلفة الكتب لا تدل على محتواها. ونعلم أن عدد الحروف الممكنة خمسة وعشرون وأنها تقترن فى أغلب الأحيان، وفقا لبورخيس، بصورة فوضوية. وفى بعض مناطق المكتبة، يعتقد أمناء المكتبة أن من العبث أن نحاول أن نجد معنى فى هذه الكتب، وأن هذا النشاط يقوم على غيبيات قديمة لا غير. وهناك أيضا فلاسفة فى المكتبة يرون اللادورية ويعتقدون أن الكتب ليس لها أى معنى خفى أو ظاهر. ويعرف الجميع أن كل كتاب ليست له أية نسخة مطابقة، وأنه فى حد ذاته أصل. غير أن من المعروف أيضا أنه يوجد عدد غير محدود من الكتب التى لا تتضمن سوى تباينات طفيفة.

والافتراض الذى تقدمه القصة من خلال راويها هو أن المكتبة تشتمل على كل شئ بالكامل. ويقدم بورخيس قائمة من قوائمه النموذجية، موحدا عناصر غير متجانسة فى بنية قصة داخل قصة:

التاريخ التفصيلى بدقة للمستقبل، السير الذاتية لرؤساء الملائكة، الفهرس الأمين للمكتبة، الآلاف والآلاف من الفهارس الزائفة، إثبات زيف تلك

الفهارس، إثبات زيف الفهرس الصحيح، إنجيل باسيليديس الغنوصي، التعليق على ذلك الإنجيل، التعليق على التعليق على ذلك الإنجيل، القصة الحقيقية لموتك ، ترجمة كل كتاب في كل اللغات ، إقحامات كل كتاب في كل الكتب. (١٢) .

وكنتيجة منطقية لطبيعة ومحتويات الكتب في المكتبة، يعلن بورخيس أن حل "الألغاز الأساسية للبشرية" سيتم العثور عليه هناك، وأن أربعة قرون قد انقضت مع ذلك منذ بدأ البشر يبحثون عن هذا الحل دون أن يعثروا عليه في يوم من الأيام. ويضيف بورخيس أنه "لا أحد يأمل في العثور على أي شيء" في الوقت الحالي. أما البحث، الذي يجري القيام به في فضاء لانهاى ملئ بالافتراضات اللانهائية، فلا يمكن أن يوجه المنهج، بل لا مناص من أن توجهه المصادفة. وينظم بورخيس سرده وفقا للبناء المتعارض للتناقض اللفظي: منهج متطلبات المكتبة هو بحكم التعريف نقيض المنهج. ومنطق المكتبة منظم بطريقة لا يمكن معها إدراكه ، ولأن المكتبة هي الكون فإن منطق الكون لا يمكن بلوغه. ذلك أن كل شيء موجود في المكتبة غير أنه لا يمكن العثور عليه.

وبالإضافة إلى هذا فإن المكتبة هي كَوْن تحكمه حتمية جبرية بحكم بداهة أن كل شيء، الماضي، والحاضر، والمستقبل، مكتوب في مكان ما، في كتاب ليس هناك من احتمال لأن يبوح بمحتوياته (ويكتب بورخيس بشيء من الرثاء: "قصة موتك"). وهذا الأفق التعيس لا يقلل من الحتمية بل يؤكد بها بالأحرى، وبصرف النظر عن الفلاسفة اللادريين وأولئك الذين وقعوا في اليأس، يعرف البشر أن قدرهم مكتوب، وأن حياتهم جرى ترتيبها من قبل، وأنه محكوم عليهم بالبحث عن معنى ليس بالمستطاع إدراكه. والحياة ذاتها تحصيل حاصل، لأن كل شيء يمكن القيام به، أو التفكير فيه، أو قوله، سبقت كتابته في الماضي في أحد كتب المكتبة. وواقع أن هذا الكتاب لم يُعثر عليه بعد (أو لن يُعثر عليه أبدا) لا يمحو حقيقة أنه إذا جرت كتابة حيوات الناس في مكان ما فإنه لا يمكن تغييرها. كما أن نفس عملية العثور على مفتاح حل كل "ألغاز البشرية"، أي طريقة الوصول إلى ذلك الكتاب بالذات، مكتوبة؛ ومكان ذلك الكتاب مُبَيَّن في أحد الفهارس. غير أن أمناء المكتبة يعرفون أن هذا الفهرس لم يتم (وبحكم التعريف لن يتم)

العثور عليه: لا شيء يمكن العثور عليه في كون لانهاى ودائرى . وكما يعلن بورخيس فى نهاية القصة: "وإذا كان لرحالة أبدى أن يعبرها فى أى اتجاه فإنه سوف يرى بعد قرون أن نفس المجلدات متكررة بنفس الفوضى (التي ستكون، بتكرارها على هذا النحو، نظاماً: النظام)".^(١٣) وإذا صحَّ هذا فإن بحث البشرية فى المكتبة - الكون سيكون بلا جدوى. غير أنه لا أحد بوسعه إثبات حقيقة أو زيف تنظيم قواعد سرية حتى اللحظة التي يعثر فيها شخص ما على هذه القواعد فى كتاب، وتلك اللحظة إما أنها مستحيلة (لأن الكتب مكتوبة عشوائياً ولا تنقل أية رسالة) أو أنها غير محتملة (لأن البحث يجرى ضمن الفضاء الذي لا ينفذ لمعمار كالمناهة ومتماثل).

وفى هذا الموقف الفلسفى السردى، إما أن تكون الحياة محتمة بقوانين لا يمكن تحديد طبيعتها لكنها حددت إلى الأبد نظاماً لا يترك مجالاً لإدخال تغيير، وإلا يكون المجتمع منظماً عشوائياً إلى حد تكون معه الصدفة البحتة، وانقلابات الحظ (يظهر شخص ما، بلا سبب، فى الكتاب الأساسى)، قوية قوة تنظيم حتمى للعالم. وفى كل من الحالتين، يكون البشر عاجزين عن تغيير مكانهم وقدرهم. وفى كل من الحالتين، تكون القواعد التي تحكم العالم سرية ومحجوبة على رعاياه. وتقود كل حالة من الحالتين بصورة منطقية إلى مأزق.

وفى قصة "اليانصيب فى بابل"،^(١٤) نجد المجازات المنطقية والبلاغية (وفى المقام الأول المفارقة والتناقض اللفظي) التي تبين حدود العقل فى إدراك الشكل الخاص بنظام، تُنظَّم الموقف السردى أيضاً. والقصة يسردها صوت صاحبه مجهول - وربما كان صوت منفى من بابل، شخص ما ينتمى إلى تلك المدينة غير أنه يروى القصة فى مكان آخر، شخص ما وضعه الراهن غير موضح فى النص. ويعبر راوى القصة عن حنين حاد إلى العالم الذي هجره، أو جرى ترحيله منه: - "الآن، بعيداً عن بابل وعاداتها الحبيبة" - ويوضح أنه سيشرع فى رحلة نحدس أن وجهتها ليست أرض وطنه: "لم يبق أمامى وقت كثير؛ إنهم يقولون لنا إن السفينة على وشك أن ترفع المرساة". ويشتاق هذا الصوت المجهول صاحب إلى ما يمكن اعتباره حكماً وحشياً ولا إنسانياً، وهو حكم أدخله اليانصيب فى كافة مجالات العالم المعيش والتجربة المعيشة، ذلك أن اليانصيب، حسب تعبيره، "تكثيف للمصادفة، وحقق دورى للكون بالفوضى".^(١٥)

وكما فى كل ناحية من نواحي العالم تقريبا، بدأ اليانصيب فى بابل بوصفه تلك اللعبة التى نعرفها جميعا. وفى بداية القرن العشرين، فى بوينوس آيرس، كانت أوراق اليانصيب تباع فى صالونات الحلاقة ولم تكن تحدث إثارة كبرى عند إجراء السحب ومعرفة نتائجه. ويكتب بورخيس: "كانت فضيلتها الأخلاقية معدومة. فهى لم تكن موجهة إلى كافة ملكات الإنسان، بل فقط إلى الأمل". كان اليانصيب يمنح جوائز فقط، وكان المال هو الجائزة الوحيدة. غير أنه فى وقت ما فى الماضى أعلن شخص ما بعض القرعات غير المواتية: كان الاشتراك فى اللعب يعنى حينئذ ليس فقط إمكانية كسب المال بل خسارته أيضا، من خلال الغرامات المالية. وسرعان ما وافقت قلة قليلة من الناس على دفعها، وقررت الشركة التى نظمت اليانصيب استبدال الغرامات بالسجن. واختار كل خاسر هذا الشكل الثانى من العقوبة. وبمرور الوقت، ومع تعاظم نجاح هذا الشكل للرهان السلبي، بدأت الشركة Company (التي يرد ذكرها دائما بهذه الطريقة، بحرف استهلاكي كبير وبلا تفاصيل أخرى) فى إدخال أنواع أخرى من القرعات غير المواتية: أضيفت عقوبات بدنية تتميز بأقصى الوحشية، مثل فقدان طرف أو لسان أو عين، إلى إمكانية السجن. وسرعان ما بدأت الأنواع الجديدة من القرعات تحكم كل نشاط بابل، وبصورة أكثر جذرية صار من المستحيل التمييز بين ما نتج عن إجراء عملية سحب وما نتج عن عوامل أخرى، وعلى سبيل المثال، كان لا مناص من معاقبة عبد سرق ورقة يانصيب على هذه العمل بإحراق لسانه، غير أن ورقة اليانصيب التى كانت بحوزته كسبت له نفس العقوبة. وكان من المستحيل حسم مسألة ما إذا كان لسان العبد قد تم إحراقه للسبب الأول (السرقه) أم للسبب الثانى (حظه فى لعبة اليانصيب).

هذا الطابع الملتبس للأحداث أسر خيال البابليين، وحقت الثورات الشعبية للجميع الحق فى الاشتراك فى اليانصيب دون دفع مقابل أوراق اليانصيب، التى تقرر منذ ذلك الحين فصاعدا توزيعها بالتساوى. وقد تأسست الشركة بوصفها الحكومة والسلطة العليا للمدينة. ومن الجلى أنه يمكن النظر إلى هذه المقرطة للحق فى المقامرة على أنها تعليق تهكمى على توسيع الحقوق المدنية فى المجتمعات الحديثة. كما أن الانقلاب الاجتماعى الذى أتى بالحقوق العامة والمجانية فى أوراق اليانصيب - وهو

نوع من ثورة فرنسية تهكمية - كفل أن يكون لأي شخص حر في بابل الحق في الاشتراك فيما كان يُعتبر في ذلك الحين الاحتفال المقدس بسحب أوراق اليانصيب، الذي كان يجري كل ستين ليلة، وكان يحدد مصير المشتركين حتى السحب التالي. وحالما تم تنظيم الحياة على هذا النحو صارت الحياة أيضا مقدسة، لأن القدر حكم المدينة علانية. ومع ذلك، لا أحد كان بوسعهم أن يحسم مسألة أية أحداث في حياته نشأت من خلال السحب وأية أحداث كانت نتيجة لسلوكه أو إرادته. وكانت عمليات السحب معقدة؛ وكانت تستخدم نظاما من الإمكانيات المتعددة، وكثيرا ما ارتكب الحكماء الذين كانوا يُجرون عمليات السحب أخطاء. غير أن الشركة دافعت عن عملها بوصفه إدخال المصادفة في نظام العالم، مؤكدة أن "قبول الأخطاء لا يعنى إنكار المصادفة: إنه يعنى إثباتها".

ويتركنا هذا التلخيص الموجز للحبكة مع مسألة ما هو نوع المجتمع القصصى الذي جرى وصفه. إنه نظام يوتوبى (إذا اقتنعنا بأن اشتياق الراوى إلى بابل اشتياق صادق)، لكنه نظام يوتوبى يمكن فهمه على أنه ينتج شروطا ديستوبية dystopian . وكما يتذكر الصوت المجهول صاحب، كان لليانصيب التأثير المتمثل في إقامة مجتمع كان في وقت واحد استبداديا وعادلا، لأن المصير الاجتماعى لكل فرد كان يتحدد بالمصادفة، وليس بالميلاد أو الجدارة:

مثل كل الناس في بابل، كنتُ حاكم مقاطعة؛ ومثل الكل، عبداً. وعرفتُ أيضا السلطة المطلقة، والعار، والسجن. انظر: إن سبابة يدى اليمنى مفقودة. انظر: من خلال الفتحة المشقوقة في عباعى يمكنك أن ترى وشماً قرمزياً على بطنى. إنه رمز الحرف الثانى: "بيت". وهذا الحرف يمنحنى، فى الليالى التى يكتمل فيها القمر بدراً، سلطة على الرجال الذين يحملون رمز حرف "جيميل"، لكنه يُخضعنى لرجال حرف "الألف"... وخلال إحدى السنوات القمرية تم إعلانى غير مرئى. ارتفع صياحى ولم يردوا على؛ سرقتُ الخبز ولم يقطعوا رأسى. وعرفتُ ما لم يعرفه الإغريق: عدم اليقين (١٦).

ويجرب تعزيز هذا النظام الديستوبي بعدد من المجازات والوسائل الأسلوبية. هناك في المحل الأول التناقض اللفظي، المجاز الذي يمزج عناصر متناقضة، والذي عن طريقه يجري الاعتراض على المعنى أو تعديله بدمجه مع معنى آخر. وفي حالة بابل يُثبت التناقض اللفظي (الذي يعطى بنية للسرد) حقيقة أن المجتمع يقوم على أساس المصادفة: النظام يسوده مبدأ الفوضى.

وهذا التناقض اللفظي تعززه مفارقة: في حالته النهائية يتطلب اليانصيب عدداً لانهائياً من عمليات السحب في سبيل تحديد الأحداث التي لا بد من أن تقع خلال فترة محدودة من الزمن. والزمن المطلوب لعمليات السحب ينبغي أن يكون قابلاً للقسم إلى ما لا نهاية، مثل الزمن المطلوب (في مفارقة زينون الشهيرة) للسلحفاة لكي تكسب سباقها ضد أخيل. والأحداث المفزعة للغاية، تماماً مثل الأحداث التي لا صلة لها بالموضوع، تحتاج إلى تكاثر عمليات السحب. وإذا كان لا بد من قتل شخص ما فلا بد من إثبات هذا بعملية سحب. وهناك شخص آخر هو قاتله، وهذا أيضاً ينبغي تحديده عن طريق اليانصيب. كما أن ظروف حادث القتل ينبغي أن تجري تسويتها عن طريق عملية سحب، وكذلك الحال فيما يتعلق بالشروط التي تحدد هذه الجريمة، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية. وهذا التشعب لامتناهٍ كإمكانية، ويحتاج إلى فترة زمنية قابلة للقسم إلى ما لا نهاية.

وهذان المجازان (التناقض اللفظي لنظام يقوم على المصادفة، ومفارقة القسم اللانهائية للزمن خلال فترة محددة من الزمن) يُنظمان النص ويُنشئان عالماً افتراضياً، مبنياً على أساس لغز فلسفي: المصادفة محتها المصادفة. وحيث يجري عزو كل شيء إلى المصادفة، تغدو المصادفة هي النظام الطبيعي والاجتماعي؛ حقا إن المصادفة لم تعد مصادفة، بل صارت ضرورة. ويدل هذا بالبداية على أن كافة محاولات الاعتراض على لعبة المصادفة ينبغي أيضاً عزوها إلى المصادفة. وهذه القاعدة لا حدود لها وتكرر نفسها في صورة قاعدة داخل قاعدة en abîme. وقد قدمت بابل تناقضاً لفظياً بوصفه نموذج النظام الاجتماعي: التنظيم الكلي للمصادفة، مع إلغاء كل إمكانية للإرادة الحرة أو حرية الإرادة.

وليس من الصعب أن نقرأ هذه القصة قراءة مجازية، ليس فقط كتصوير للمصير، بل كتصوير للنزعة الشمولية في الحياة اليومية. ويرد اسم كافكا Kafka متنكرا في النص: يعلق بورخيس تعليقا جانبيا مؤداه أن البابليين الذين كانت لهم شكاوى ضد الشركة اعتادوا أن يتركوا رسائل في مرحاض مقدس اسمه قافقا Qaphqa (التدوين الصوتي لاسم كافكا في صيغة كلمة عربية).

وكما هو الحال في الكوابيس الكافكاوية فإن نظام العالم لا يمكن أن يدركه الخاضعون له، ولا يرتاب المرء في شرعية ذلك النظام فقط بل كذلك في مجرد وجوده. وهذا على وجه التحديد هو ما يحدثه البعض في بابل: أن الشركة لم توجد قط ولن توجد أبدا. أو أن الشركة، رغم أنها كلية القدرة، تقوم بالفصل في موضوعات ثانوية فقط وتترك الباقي لمصادفة مختلفة ومجهولة غير مصادفة اليانصيب. وعلى سبيل المثال فإن الشركة، كما يكتب بورخيس، لا تملك تأثيرا إلا في "صياح طائر، وفي الفوارق الدقيقة بين الصدا والتراب، وفي أنصاف أحلام الفجر". أو تنظم ("الشركة") عملية سحب غير شخصية لأسباب خفية: "يحكم أحدهم بإلقاء ياقوتة زرقاء تملكها تاپروبانا Taprobana في مياه نهر الفرات؛ ويحكم آخر بفك أسر طائر من فوق سطح برج؛ وثالث بالقيام في كل قرن بسحب (أو إضافة) حبة رمل من الرمال التي لا تخصي ولا تعدّ على الشاطئ".^(١٧) وهذه الافتراضات المهرطقة الأخيرة أكثر ترويعا من إمبراطورية الصدفة، لأن عواقب مثل هذه الأفعال الثانوية بجلاء لا يمكن التنبؤ بها أو حسابها.

ومن ناحية أخرى فإنه لا أحد يمكن أن يحكم على صحة هذه الفرضيات والشائعات، فالشركة لا تقدم سوى تفسيرات ملتبسة بشأن قوانينها. أما المفكرون المهرطقون فلديهم أفكار لا يمكن إثباتها. ومؤسسة النظام الاجتماعي غير قابلة للمعرفة وهي تقع خارج حدود التجربة. على أنه يمكن، وهذا استنتاج أكثر ترويعا، إدراك أن المجتمعات لا تخضع لأية قوانين سوى قانون المصادفة العشوائية.

وفي تقديمه، المكتوب في ١٩٤١، للطبعة الأولى من الكتاب الذي نُشرت فيه هذه القصص، يقول بورخيس إن "قصة «اليانصيب في بابل»، رغم أنها فانتازية، ليست خالية تماما من توصيل رمز".^(١٨) وفي واحد من أحاديثه الجانبية النموذجية،

يوجهنا بورخيس صوب قراءة القصة باعتبارها قصة سياسية. كانت الفاشية في ذروتها، ولم يكن بمستطاع الديمقراطية الأوروبية ونظامها الحزبي تقديم بديل سياسى لصعود الاستبداد خلال الثلاثينيات. وقد طرح كلا هذين الواقعين مسألة مفتوحة، رغم أن الحرب العالمية بدت حلا عنيفا لمشكلة النزعة التوسعية الفاشية. والمسألة هي: ما هو المجتمع؟ ما هو الشكل الذى يمكن من خلاله توطيد النظام بدون استئصال الحرية تماما؟ هل هناك أية طريقة للجمع بين حرية إرادة الأفراد وتنظيم رشيد للمجتمع؟

ويتبغى أن أعترف بأن هذه الأسئلة لا تبدو أسئلة بورخيسية للغاية. ومع هذا، ومهما يكن هذا بطريقة غير مباشرة، فإن قصة "اليانصيب فى بابل" تتناول هذه الأسئلة، وليس فقط لأنها كانت مطروحة على جدول الأعمال خلال الثلاثينيات. وسأستبعد أى إحياء بأن بورخيس كان يعمل على أساس أى جدول أعمال عام، رغم أنه كان بالغ الانشغال بالحكم الاستبدادى. غير أن مسألة النظام الاجتماعى يمكن حلها، على كل حال، من وجهة نظر فلسفية وكذلك أيضا سياسية. وفى التراث العظيم للفكر الغربى شغلت هذه المسألة الفلاسفة والكتاب فى واقع الأمر. وهى ماثلة فى أساس روايات مثل روبنسون كروزو *Robinson Crusoe*؛ رواية: دانييل ديفو *Daniel Defoe* ورحلات جاليفر *Gulliver Travels*؛ رواية: جوناثان سويفت *Jonathan Swift* وقد أحب بورخيس كلتا الروايتين كثيرا واستشهد بهما كثيرا. ولأن المجتمع ليس واقعا طبيعيا فإنه يقدم مشكلات تتعلق بالنواة المركزية للفكر الفلسفى، وتشمل موضوعات البحث هذه تعريف الذات، والقيود الضرورية الموضوعية على العلاقة بين الأفراد الذين يختارون أن يعيشوا فى إطار نظام اجتماعى، والصراع بين الحرية والواجب، والبعد الأخلاقى للسياسة، والأساس الأخلاقى للمؤسسات الاجتماعية.

ويمكن قراءة قصة "اليانصيب فى بابل" (وكذلك قصة "مكتبة بابل" رغم أنها ميتافيزيقية بوضوح أكثر) ليس فقط كقصتين فلسفيتين بل كذلك كقصتين سياسيتين - فلسفيتين. وكما رأينا فى حالة "تيلون، أوكبار، أوربيس تيرتيوس" فإن هذا لا يعنى أنهما تناقشان مشكلة فلسفية بطريقة منهجية، بل يعنى بالأحرى أنهما تقدمان هذه

المشكلة الفلسفية فى سياق موقف سردي. والحقبة أن الفلسفة السياسية لا يمكن أن نتعلمها من بورخيس، غير أنه يبتكر حقا حبات يجرى فيها التصدى لمسألة فلسفية عن طريق وسائل ومعالجات قصصية. ولا إجابة هناك على السؤال. وما نلقاه، بدلا من ذلك، هو التطوير الأدبي للمشكلة فى شكل حبة مبنية حول افتراضات قصصية تصف نظاما يوتوبيا - أو ديستوبيا، فى الحقيقة.

الهوامش

(١) حول موضوع النظام والفوضى عند بورخيس، انظر: Ana María Barrenechea, *La expresión de la irrealidad en la obra de Jorge Luis Borges*, Buenos Aires 1967; Jaime Rest, *El laberinto del universo*, Buenos Aires 1976; and Sylvia Molloy, *Las letras de Borges*, Buenos Aires 1979.

(٢) بصورة خاصة: Arturo Echavarría Ferrari, 'Tiön, Oqbar, Orbis Tertius', *Revista Iberoamericana*, 100 - 101, 1977.

(٣) 'Tiön, Oqbar, Orbis Tertius', *Labyrinths*, Harmondsworth 1970, pp. 27 - 43.

(٤) *Ibid.*, p. 34.

(٥) *Ibid.*, p. 37.

(٦) يكتب بورخيس (3-32, *Ibid.*), واصفا إحدى لغات تيلون: "وليست هناك أسماء في اللغة الأصلية Ursprache العدسية لتيلون، وهي التي نشأت منها اللغات واللهجات "الراهنة": هناك أفعال غير شخصية، تُوصَف بلواحق أو "سوابق" وحيدة المقطع ذات مدلول ظرفي. وعلى سبيل المثال: ليست هناك كلمة تقابل كلمة "قمر" بل هناك فعل يمكن أن يكون بلغتنا "أقمر" أو "قمر". وعبارة "ارتفع القمر فوق النهر" تقابلها عبارة: "hlör u fang axaxaxas mlö، إلور أو فأنج أكساكساكسا ملو" أو حرفياً: أقمر في الأعلى خلف الذي يتدفق دوما. وعند هذه النقطة، تضيف الطبعة الأصلية الإسبانية: "يترجم إكسول سولار Xul Solar بإيجاز: upa tras perfluyue lunó أي: قمر خلف ما يسيل منطلقاً، J. L. Borges, *Obras completas*, Buenos Aires 1974, p. 435.

(٧) عمل بورخيس في مكاتب المدينة خلال الأربعينيات والخمسينيات وصار مديراً للمكتبة الوطنية بعد سقوط بيرون في ١٩٥٥.

(٨) 'The Library of Babel', *Labyrinths*, p. 78.

(٩) Christina Grau, *Borges y la arquitectura*, Madrid 1989, p. 74.

'Babel', p. 79. (١٠)

Ibid., p. 78. (١١)

Ibid., p. 81-2. (١٢)

Ibid., p. 83-4. (١٣)

'The Lottery in Babylon', *Labyrinths*, pp. 55-61. (١٤)

All quotations, *ibid.*, pp.55-7. (١٥)

Ibid., p. 55. (١٦)

Both quotations, *ibid.*, p. 60. (١٧)

Prologue to *El jardín de los senderos que se bifurcan*, Buenos Aires 1941, re- (١٨)
printed in *Obras completas*, Buenos Aires 1974, p. 429.

الفصل السادس

مسألة النظام

تملك القصة القدرة على أن تبني نظاما أو معنى فى مواجهة عالم مختل النظام، ليس فقط بتفسير الواقع عن طريق فك شفرة إشارات الخفية، على طريقة الأيديولوجية الرومانسية، بل أيضا بتحدى منطق السببى والمكانى والزمانى بنموذج من نوع مختلف، وبهذا المعنى فإن القصة الفانتازية - بعيدا عن أن تكون خطابا ثانويا إلى حد ما - تبقى استجابة مستقلة للواقع. وتوقع القصة الفانتازية الاضطراب فى الواقع ليس من خلال التناقض أو الاختلاف. وهى تؤكد التوتر المائل فى فعل الكتابة، عندما تنساق الكتابة بعيدا عن الخطاب الواقعى الذى لا يمثل، بطبيعة الحال، سوى طريقة ممكنة واحدة لعقد علاقة بين الفن والحياة الاجتماعية. ورغم أن الواقع والقصة يخضعان لمنطقتين مختلفتين إلا أنهما يتقاطعان عند نقطة ما - كما هو الحال، على سبيل المثال، عندما يجد قارئ نص من النصوص أن صراعا ينشأ بين هذين المنطقتين، أو أن شيئا ما فى منطق الواقع يتناقض مع منطق نص من النصوص، أو أن منطق نص من النصوص يبدو أكثر إقناعا أو تماسكا من منطق الواقع.

وعندما يبدو أن التاريخ لا يقدم ملاذا للقيم (عندما يتعرض التاريخ للهجوم الضارى من جانب الحروب أو أعمال عامة لا إنسانية أو لا أخلاقية)، يمكن للأدب أن يزود بنموذج، كثيرا ما يكون رهيبا كذلك الخاص بالتاريخ، غير أنه نموذج لا مناص من أن يحتفظ بفضل طبيعته القصصية بمسافة تهكمية، أو پارودية، أو جمالية، أو فلسفية، من كل ما يتعرض للخطر فى التجربة المباشرة أو التأمل المباشر.

وقد انصرف بورخيس دائما عن أية مناقشة مفتوحة للسياسة المعاصرة فى أدبه، ومع ذلك فإن مسألة الطرق التى يفرض بها النظام نفسه على جماعات بشرية يمكن

العثور عليها مفرغة في بنية حيكاته. حقا إنه يدرس الشروط الأيديولوجية والثقافية للمجتمع حتى عندما يوجز معالم عوالم خيالية تنتمي بصورة مشروعة إلى أنقى تقاليد الأدب الفانتازي . والحقيقة أن قصص "تيلون، أوكبار، أوريبس تيرتيوس"، و"اليانصيب في بابل"، و"مكتبة بابل"، وهى القصص التى بحثناها فى الفصل السابق، تقدم صورا بديلة للمجتمع. والواقع أنها كوابيس تشير إلى أن التنظيم المؤسسى يقوم على القوة العمياء، أو القرارات المتعسفة، أو الأساطير. وكثيرا ما يجرى بحث مسألة القبول بالنظام، وكذلك الشروط التى تنتج الفوضى عندما يكون ذلك النظام، لسبب ما، ضعيفا أو غائبا.

كتب بورخيس الكثير جدا عن العنف والانتقام الفردى. وتثبت قصص الحواف الحضرية وإعادة كتابته للتراث الجاوتشى أن العنف الفردى ضرورى حيثما تسود مجموعة من قواعد الشرف وحيثما لا يكون القانون الرسمى قد وطد عالمه. وفكرة العنف راسخة الجذور بعمق فى طبيعته الخاصة من الثقافة الكريولية: إنها معاشة كقدر أمريكى جنوبى، فقد ظلت على مدى عقود تعرض المجتمع للخطر غير أنها منحتة أيضا معنى متماسكا. والحقيقة أن المجابهة العلنية لرجلين فى مبارزة، فى سياق طقس يقبله كلا الطرفين كقانون، تحيلنا إلى قيم يمكن الحكم عليها بأنها بربرية غير أنها، فى الوقت ذاته، تدعم درجة من الوحدة حيثما لم تنجح لا الدولة ولا مجموعات قواعد رسمية فى تنظيم علاقات اجتماعية. والمبارزة تحدد ليس فقط ما كانه مجتمع، بل أيضا ما لم يكنه، مثبتا أنه لم تكن هناك أية إجراءات رسمية فى وضعها الصحيح لتقدم بديلا عن مجابهة بين رجلين مسلحين وضعا ثقتهما فى مجموعة قواعد الشرف فى حل نزاعاتهما أو فى دعم العدل.

وفى النصف الأول من القرن التاسع عشر، كان المجتمع الأرجنتينى يعانى آثار حروب الاستقلال، التى أطاحت بالنظام الاستعمارى القديم فأطلقت العنان بذلك لقوى متنافسة حاربت كل واحدة منها الأخرى على مدى عقود قبل الاتفاق على ميثاق دستورى فى ١٩٥٣. وإلى ذلك الحين، خاصة فى الريف، كان العنف الفردى أو الجماعى يقوم بالمهام التى عجزت عن القيام بها دولة ضعيفة للغاية (أو بالأحرى دولة قومية غير قائمة). وكانت الصراعات فى الحكومات الإقليمية عقبة أمام فرض إجراءات رسمية

كفيلة بتحويل العداوات الفردية إلى صراعات منظمة. وفي هذا العالم الكريولي كان لا مناص من أن تحل أسطورة الشجاعة الشخصية محل أشكال أخرى، أكثر "تحضرا"، من السلوك العام والقيم الملائمة له.

رأى بورخيس أن هذه المشكلة قضية محورية في الثقافة الكريولية. ومن خلال استكشاف أساطير هذه الثقافة أوضح بصورة غير مباشرة أن هذه الأساطير إنما جاءت من، وتغذت على، شرط تاريخي كان فيه المجتمع ضعيفا، ومؤسسات الدولة معدومة، وكانت الصراعات تُحلّ بالتالي عبر العنف. وفي "قصيدة حدسية" Poema conjetural، يتخيل بورخيس الأفكار الأخيرة لفرانثيسكو نارثيسكو دي لاپريدا Fran-cisco Narcisco de Laprida، الرجل الذي وقع وثيقة الاستقلال الأرجنتيني عن إسبانيا في ١٨١٦. وتكشف هذه الأفكار عن التناقض بين المفاهيم المجردة عن العدل والأشكال الملموسة للعنف الكريولي. وفي ١٨٢٩، وخلال فترة حادة للغاية من الحرب الأهلية، يُقتل لاپريدا على أيدي المونتونيروس monteneros، وهم عصابة جاوتشو محاربة تفوق أعضاؤها في فن القتال بالسكين والرمح:

وفرانثيسكو نارثيسكو دي لاپريدا،

أنا الذي درستُ القانون الكنسي والمدني ،

الذي أعلن صوتي الاستقلال،

استقلال هذه الأقاليم الوعرة، يُطاح بي ،

مغطى بالدم والعرق، بلا خوف أو أمل،

ضائعا، أفرّ جنوبا عبر أبعد الضواحي ...

كنت أتوق إلى أن أكون شيئا آخر،

رجل أفكار، كتب، رأي،

والآن سأرقد في مستنقع تحت السماء المكشوفة.

ومع ذلك، تجتاحنى بطريقة تستعصى على التفسير

فرحة مبهمة. لقد لاقيتُ قَدْرِي،

قَدْرِي الأمريكى الجنوبي الأخير. (١)

وكثيرا ما أشار بورخيس إلى أن الفرع الكريولى من أسرته كانت له جذوره فى أرجنتين القرن التاسع عشر هذه، وإلى أن أجداده كانت لهم معرفة تتصل بعالم بدائى من مربى الماشية وقادة الفرسان كان يسوده العرف والقوانين غير المكتوبة للعنف: نوع من ديستوبيا dystopia بطولية، بدائية، ريفية. وكان هذا مجتمعا لم يخضع فيه استخدام النفوذ والقوة المادية لسيطرة التنظيم المؤسسى، وناهيك باحتكار الدولة. وهنا ازدهرت أساطير الشجاعة والتحمل الذكورى كاستجابة ثقافية لبيئة اجتماعية. ولا يمكن لمثل هذا المجتمع أن يوجد إلا إذا كان هناك شكل ما من أشكال الفضيلة فى الروابط الشخصية للتبعية، أو الخدمات الملموسة، أو الالتزامات المكفولة بعهود تقليدية، والولاء للزعيم الحامى patrón، أو لزعماء آخرين. وبدون هذا النوع من الخضوع للقناة bondage فإن المجتمع الريفى (حيث كان لمسئولى الدولة، إن كان لأى منهم وجود أصلا، سلطة أقل من ملاك الأرض الأفراد) كان سيتجه إلى أن يستحيل إلى فوضى. ومن المحتمل جدا أن يكون هذا أحد أسباب التراث الطويل من الإهانة السياسية الموجهة ضد التحديثيين فى القرن التاسع عشر. وكان التحديثيون يلقبون بالفوضويين، المهرطقين، وغير الشرعيين، والعدميين، و "المتوحشين" حقا، لأن الأفكار التحديثية عن الدولة والمجتمع قامت بتفتيت الروابط التقليدية التى حافظت على استمرار الحياة رغم عدم الاستقرار الذى أدى إليه الاستقلال وكذلك الحروب الأهلية التى خيضت بلا انقطاع تقريبا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ورغم أن الروابط الأسرية لبورخيس ربطته بالتحديثيين بين النخبة فقد أدرك أيضا أن القيم التقليدية كانت تتعرض للتهديد، كما كان مدركا لهشاشة العلاقات المجردة التى تقيمها الحداثة عن طريق التقدم المادى والمؤسسات الجمهورية.

وكان البحث عن نظام اجتماعي وسياسي جديد هو الهدف الرئيسي للبرنامج التحديثي للقرن التاسع عشر. غير أن مثل هذا النظام لم يكن بالمستطاع إقامته من خلال المؤسسات لا غير: كان لابد من زرع مجموعة من القيم في سبيل منح الاستقرار لمجتمع هش ومفكك. وفضلا عن ذلك، كما سبق أن لاحظنا، فإن وصول آلاف المهاجرين في العقود الأخيرة من القرن العشرين عزز الإحساس بنظام جديد، لكن بنظام بلا ثوابت. وفي بداية القرن العشرين، بدأ المثقفون يبحثون مصاعب، وليس فقط مزايا، أن تكون البلاد جديدة وفتية. ولأن الانتقال إلى جمهورية حديثة، تحكمها مؤسسات رسمية، أثبت أنه مؤلم وصعب، كان بوسعهم أن يلفتوا الأنظار إلى صلابة القيم الريفية التقليدية. ورغم أن أغلبهم امتدحوا الهيكل الرسمي للأرجنتين الحديثة فقد تخلل، في الوقت ذاته، أفكارهم عن المجتمع وإحساسهم بالمستقبل، إحساس بعدم الأمان، ولم يكن هذا مجرد نتيجة لوجهة نظر رجعية أو نخبوية. وإذا كانت قلة قد نظرت إلى الوراء صوب الماضي كمصدر أو نموذج للحاضر، فقد كان ينظر إلى هذا الماضي مع ذلك على أنه الزمن الذي كان فيه للمجتمع أبعاد معروفة وكان يجري فيه التشارك في القيم، ليس كنتيجة لمواثيق رسمية، بل لأنها نبعت من نفس التربة التي أنبتت الهويات المشتركة. ورغم أن النخبة بدت راضية بعملية التحديث (التي أتاحت ما بدا أنه فرص اقتصادية لا حد لها تقريبا)، اكتشف المثقفون أن نفس العملية التي كانت قد خلقت الأرجنتين الحديثة كان يعيها غياب الروابط الاقتصادية القوية. لقد غدا المجتمع مستقرا، علمانيا، مستقلا، بروسوخ؛ غير أنه، كما هو الحال مع كافة المجتمعات الحديثة، كان أساسه المؤسسي والرسمي مجردا من الأصداء القوية للتراث والأسطورة.

وقد أكد بورخيس هذا الإحساس بالفقدان (أو الغياب) في أحد مقالاته الأولى: كتب قائلاً إن ما تحتاج إليه بوينوس آيرس احتياجا ماسا هو الأشباح، ورغم أنه يمكن قراءة هذا التأكيد بطريقة تهكمية فإنه ينطوي أيضا على "سياسة ثقافية": عندما ترتد أساطير مجتمع تقليدي إلى ماض لا يمكن استرداده فإن آثار هذه الأساطير في الأدب تبني نظيرا ليس لواقع سابق، بل لنموذج مثالي يمكن لمجتمع أن يرى نفسه في إطاره. إن "الأشباح" تنطوي على أرض مشتركة وعلى إحساس بالانسجام مع الماضي. وفي

مجتمع أدت فيه المؤسسات الحديثة القائمة على القانون المكتوب إلى تفتيت المعتقدات التقليدية والروابط "الطبيعية"، أتاح واقع اقتسام نفس "الأشباح"، بطريقة رمزية، إمكانية استرداد نوع الإدراك الثقافى العميق الذى تهدده جمهورية حديثة هى ذاتها ممزقة بالصراع.

وتتنمى مسألة كيف تجرى إقامة، أو صيانة، أو تدمير نظام اجتماعى وثقافى إلى الأبعاد الفلسفية للنظرية السياسية، ونادرا ما يرد ذكر هذا البعد مرتبطا ببورخيس الذى تكمن مفارقة صارخة فى حقيقة أن افتتانه بالفلسفة اجتذب اهتماما نقديا عالميا تقريبا. وسأحاول إثبات أن الفلسفة السياسية ماثلة بمعنى حقيقى فى عدد من أروع قصصه، للأسباب التاريخية التى أوردناها أعلاه ولأسباب مرتبطة بتطورات عالمية فى القرن العشرين. وفى منتصف العشرينيات، عندما أكد بورخيس أن بوينوس آيرس بحاجة ماسة إلى أشباح، وأن مهمته تتمثل فى الإمداد بها، كان العالم قد تحطم بالفعل بالحرب العالمية الأولى، وكانت البلدان الغربية مرغمة على الاعتراف بالثورة الروسية وبناء الجمهوريات السوفياتية. وفى الوقت ذاته، وطدت الفاشية نفسها فى إيطاليا، وانتشرت داخل حركات شعبية فى بقية أنحاء أوروبا، وأفسحت الديمقراطية المجال لأشكال سياسية (ملطخة بالشعبوية وبأسلوب مبتذل للسياسة الجماهيرية) لم تتصورها المثل العليا الجمهورية الخالصة للنخب الفكرية الليبرالية. والحقيقة أن كُتُبا مثل الأيديولوجيا واليوتوبيا *Ideology and Utopia* لكارل مانهايم Karl Mannheim وخيانة الكُتبة *La trahison de clercs* لجوليان باندا Julien Benda^(٢) وكذلك مقالات [خوسيه] أورتيجا إي جاسيت [José] Ortega y Gasset حول إضفاء الطابع الجماهيرى على الثقافة، تمثل علامات فترة مطبوعة بطابع التغيرات المنذرة والمفاجئة التى بدلت بعمق دور الأديب فى المجتمعات الحديثة. ولم يحدث قط أن انحاز بورخيس صراحة إلى طرف من أطراف هذه المناظرة، التى لاشك فى أنها لم تقتصر على الأرجنتين. والواقع أنه أعلن دائما نفوره من الأدب الذى يختار أن تخترقه أيديولوجيات سياسية. وفى "مقدمة للطبعة الأولى من "تقرير برودى"، وهى مكتوبة فى عام ١٩٧٠، يؤكد مرة أخرى:

قصصى مثل قصص "ألف ليلة وليلة" تحاول أن تكون مسلية أو مؤثرة لكنها لا تحاول أن تكون مقنعة. ومثل هذا العزم لا يعنى أننى حبست نفسى، وفقاً لمجاز سليمان، فى برج عاجى. واقتناعاى السياسية معروفة تماما؛ إننى عضو فى حزب المحافظين - وهذا فى حد ذاته شكل من أشكال الشكية - ولا أحد وصمنى فى يوم من الأيام بأئنى شيوعى، أو قومى، أو معاد للسامية، أو من أتباع بيللى ذا كيد Billy The Kid (*)، أو من أتباع الديكتاتور روساس. و أعتقد أننا سنكون جديرين ذات يوم بالأ تكون لدينا حكومات. وأنا لم أخفِ آرائى قط، ولا حتى فى الأوقات الصعبة، غير أننى لم أسمح لها أيضا فى يوم من الأيام بأن تجد طريقها إلى أعمالى الأدبية، باستثناء عمل واحد عندما ارتفعت روحى المعنوية ابتهاجا وتشفيا بانتصار حرب الأيام الستة. إن فن الكتابة ملغز؛ والآراء التى نتبناها عابرة، وأنا أفضل الفكرة الأفلاطونية عن ربات الشعر على فكرة [إدجار ألان] پو [Edgar Allan] Poe ، الذى اعتقد أو تظاهر بأنه يعتقد أن كتابة القصيدة عمل من أعمال الذكاء (٣) .

غير أن التبدلات الدرامية فى هذا القرن، مثل صعود الفاشية، خاصة فى ألمانيا وأوروبا الوسطى، ترك أثارا واضحة فى قصصه. ولنبدأ بالأكثر صراحة: العنصرية يُنظر إليها على أنها صورة اعتباطية من أيديولوجية الدولة، هذه الأيديولوجية التى تنبذ العقل وتوزع الموت عشوائيا، كما فى حالة يارومير هلاديك Jaromir Hladik الكاتب الضحية الذى ينعم الرب عليه ب "المعجزة السرية" El milagro secreto . أما معاداة السامية باعتبارها أيديولوجية بلهاء (وهى فى نظر بورخيس، بطبيعة الحال، اتهام

(*) شاب خارج على القانون اشتهر بهذا الاسم خلال الربع الثالث تقريبا من القرن التاسع عشر فى أمريكا والمكسيك تحيط بتاريخه هالة من الأساطير ، ويتنسب إلى اسمه جماعات وعصابات لا حصر لها . ووفقاً للأصل الإسباني فى المقدمة المذكورة : " ... أو من أتباع Horniga Negra (النملة السوداء) أو روساس ..."

Jorge Luis Borges, *El informe de Brodie*, Madrid 1987, p. 10. (المترجم)

ثقيل) فيجرب فحصها أيضا في حوار شهير في "الموت والبوصلة" La muerte y la brújula . وعندما يناقش المفتش تريفيرانوس Treviranus جريمة قتل الدكتور مارسيل يارمولينسكى Marcel Yarmolinsky مع لوينروت Lönnrot ، وهو "شخص استنتاجي بحت" (*) ، في حضور محرر ييديشه تسايتونج Yidische Zeitung ينبذ تريفيرانوس "التفسيرات الحاخامية" باعتبارها عديمة الجدوى. وفي الحال يتلقى ردا حاسما من أيديولوجي Idéologue مستنير:

قال: "أنا مسيحي بئس. أبعد عني كل هذه المجلدات العتيقة إن شئت؛ لا وقت عندي أضيعه على الخرافات اليهودية".

غمغم لوينروت: "ربما كانت الجريمة تخص تاريخ الخرافات اليهودية".

غامر محرر "ييديشه تسايتونج" بأن أضاف: "كالمسيحية" (٤) .

غير أن هناك أيضا الحالة الأكثر تعقيدا بكثير وهي الخاصة بـ "قداس ألماني" Deutsches Requiem ، وهي قصة مبنية على الموضوع النيتشوي الصريح جدا عن تغلب العنف على الفضائل المسيحية. ويجري تقديم النقد البورخيسي بصورة متميزة للعنف من وجهة نظر ضابط ألماني. ويأمل الضابط، أخذا على عاتقه مسئولية موت شاعر يهودي ، في أن يدمر داخل نفسه كل أثر للتعاطف إزاء الآخر أو إزاء ما هو مختلف: إن النازية "عمل أخلاقي، وتطهير للبشرية الفاسدة" (٥) .

والمنظور الذاتي الذي يتبناه بورخيس في هذه القصة يسمح لحجة الضابط النازي بأن تتطور بمنطقها الخاص؛ فهي تؤكد خياراته وقيمه، باعتبارها أساس نظام بديل. وهكذا فإن بورخيس يجعل القارئ يعطيه اهتمامه بعناية بدلا من رفضه من الوهلة الأولى. ففي عشية تنفيذ الحكم على الضابط الألماني أوتو ديتريش تسورلينده Otto Dietrich zur Linde ، الواسع الاطلاع على [أرتور] شوبنهاور -[Arthur] Schopenhauer

(*) أى أن لوينروت يعتقد أنه استنتاجي بحت بالمعنى البوليسي وأنه أوغست دوبيان un Auguste Dupin آخر كما جاء في الأصل الإسباني للقصة المذكورة, Jorge Luis Borges, *Ficciones*, Madrid, 1987, p. 148. (المترجم)

hauer، و [أوزفالد] شبنجلر [Oswald] Spengler، و نيتشه، يسأل عن كيف يمكن الحكم على أعمال البشر عندما يكون قد جرى القيام بها لإقامة نظام يستتبع تنظيماً جديداً للمجتمع على أساس مبادئ جديدة. ويمكن الحكم عليها بطبيعة الحال من وجهة نظر أخلاقية يمكن القول - إذا كانت مختلفة عن تلك التي يدعمها مؤسسو نظام جديد - إنها تؤيد الشر بدلاً من الخير. غير أن مسألة النظام، إذا نُظر إليها خارج سياقها التاريخي، ماثلة في تلك النظم التي نوافق عليها وكذلك في تلك التي ندينها. وعن طريق تقديم ضابط نازي (ترد بالبال صورة إرنست يونجر Ernst Jünger في هذا التصوير لأوتو تسور لينده) باعتباره صوت قصته، يشير بورخيس إلى مأزق النظم السياسية كافة، ليس فقط تلك التي كانت مدانة كلياً بل أيضاً تلك التي نعتبرها شرعية. ذلك أن كلا النوعين يقدم حججاً يمكن تطويرها منطقياً. والواقع أنه يحثنا بطريقة غير مباشرة على التفكير ملياً في المسألة العامة للنظام لأن من يناقشها هو على وجه التحديد نازي "متحضر" ومثقف نفّذ، بوصفه نائب مدير معسكر اعتقال، مهمة القضاء على الشاعر اليهودي ألبرت سويرجل Albert Soerge. وعندما انتهت الحرب، سأل أوتو تسور لينده نفسه عن السبب وراء إحساسه بالراحة، وطرح جانباً أسباباً عديدة قبل أن يدرك الحقيقة:

كان العالم يموت من اليهودية ومن مرض اليهودية ذاك، الإيمان بيسوع؛ لقد علمناه العنف والإيمان بالسيف. وذلك السيف يذبحنا الآن، ويمكن تشبيهنا بذلك الساحر الذي صنع متاهة ثم صار محكوماً عليه بأن يهيم بداخلها إلى آخر أيامه؛ أو بداود الذي يحاكم رجلاً مجهولاً فيحكم عليه بالموت، فقط ليسمع الوحي: أنت ذلك الرجل. سيكون من الواجب تدمير أشياء كثيرة في سبيل بناء النظام الجديد، ونحن نعرف الآن أن ألمانيا أيضاً كانت أحد تلك الأشياء (٦).

هناك ثيمة بورخيسية تخترق هذه الفقرة: الإنسان هو نفسه وهو عدوه، والقدر يسير في طريقه عبر النتائج العمياء لأفعالنا. ومع ذلك، يوجد هنا شيء آخر لا يمكن إغفاله. من ناحية، هناك تنظيم العالم وفقاً لقيم، مثل النازية في حالة ألمانيا. ومن ناحية أخرى، هناك فكرة أن كل نظام يقوم على تدمير نظام سابق، يقوم على قيم مختلفة،

وأن كل نظام يعتمد على فعل فرض إجباري، رغم أن الأساطير والفلسفة يمكنها القيام بتفسير ذلك الفرض على أنه هبة، أو تراث، أو ميثاق. وعلاوة على هذا فإن صوت الضابط النازي وعنصريته الشائنة يطرحان للنقاش ذلك الاعتقاد الساذج بأن إثبات صحة وشمولية القيم تمرين فكري بسيط ومباشر. والحقيقة أن أوتو تسور لينده لا يشهد فقط على التدابير المتطرفة للنازية، بل أيضا على المهمة المثابرة في سبيل ترسيخ معتقداتنا بشأن ما هو صحيح وما هو خاطئ في المجتمع. وتختار "قداس ألماني" الطريق الصعب المتمثل في معالجة هذا من خلال صوت رجل مدان كليا تقريبا، وهي تستكشف في الوقت ذاته القسوة التي ينطوي عليها حتى موت واحد، موت شاعر يهودي، والمعضلة الخاصة بكيف يمكن إقامة نظام جديد. إن المجتمع مبني عبر العنف، رغم أن درجة العنف والقيم التي تجعله شرعيا هي بالفعل، وينبغي أن تكون، متميزة.

والأسئلة المتعلقة بأسس - أو بالافتقار إلى أسس - القيم مرتبطة بالأسئلة الخاصة بالمجتمع. ما الذي يجعل وجود مجتمع ما ممكنا؟ وكيف يمكن الحفاظ على توازن بين أعراف مختلفة على أساس الإدارة الجماعية أو على أساس المصلحة العامة؟ وكيف يُصاغ مفهوم "العام" ذاته؟ وكيف تُمنح السلطة لبعض المواقع ويجري إنكارها على أخرى؟ ووفقا لأية مبادئ، لا تقوم فقط على العقاب والثواب، يخضع البشر للقانون؟ ويطرح بورخيس، حاذيا حذو سوفيت، هذه الأسئلة التي هي أسئلة قارئ "تقرير برودي" (٧).

كتب برودي Brodle، وهو مبشر مشيخي إسكتلندي (ينتمي إلى الكنيسة المشيخية البروتستانتية) كان قد عمل في سبيل العقيدة في أفريقيا والبرازيل، تقريراً (وتركه بين صفحات كتاب [إي . دبليو.] لين : [E. W.] Lane "تسليات ألف ليلة وليلة" Arabian Nights' Entertainments) عن شعب ال "ملتش" Mich الذين يسميهم برودي الياهو Yahoos بسبب "طبيعتهم الهمجية"، ولأن من الصعب إعطاء تدوين دقيق لاسمهم الحقيقي، لأن لغتهم لا تشتمل على أية حروف حركة. ويحمل الملتش سمة أسلافهم الأدبيين، ويمكن النظر إليهم بالتالي على أنهم اقتباس. ويتحول الملتش بقلم الدكتور برودي (من طريق سوفيت) إلى ياهو خاصين به، في التقريرين الذي عثر عليه راوي

القصة وينقله بكامله تقريبا. وبنية قصة داخل قصة هذه، وهى وسيلة استخدامها بورخيس فى كثير من الأحيان ، تقوم بإطلاق القوة القصصية للاقتباس المزدوج من برودى ومن جاليقر، وفى الوقت نفسه بترسيخ جذور النص فى تراث للرحالة إلى بلاد بعيدة الذين يعثرون على عناصر تعكس بدقة، بطريقة رمزية أو تهكمية، مجتمعاتهم ذاتها.

ومثل سويفت، يفتح بورخيس جدالا أخلاقيا من خلال تقرير برودى. غير أنه، بخلاف سويفت، لا يقترح أساسا صريحا للمقارنة بين ياهو تقرير برودى وشعب آخر: لا وجود لأى هويهنهم Houyhnhnms نبلاء فى قصته، ويقود غيابهم إلى استنتاجات مختلفة. وفى حين أن جاليقر وجدّ، على الأقل، فى مجتمع حيوانى الفرصة لتقديم يوتوبيا فإن برودى قادر فقط، فى الفقرة الأخيرة من تقريره، على أن يقترح رأيا متسامحا بشأن ياهو تقريره، من وجهة نظر نسبية حقا: "وهم، بوجه عام، يمثلون الحضارة، كما نمثلها نحن، رغم تجاوزاتنا الكثيرة". فماذا يعنى هذا؟ هل هو مجرد استنتاج تهكمى أم أنه يوجد أيضا نقد مستتر للحضارة التى أنتجت الإرساليات التبشيرية لأمثال الدكتور برودى؟

ويُنهى برودى تقريره بـ "الرجاء الحار بأن لا تتجاهل حكومة صاحبة الجلالة ما يتجرأ هذا التقرير على اقتراحه". وهذه جرأة حقا، بعد الوصف الذى يقدمه التقرير للياهو والمقارنة التى يعقدها بين حضارتهم والحضارة التى ينتمى إليها برودى ، ويبدو أنه لا شئ يهيننا لهذه الملاحظة الأخيرة: كان برودى المتدين الورع مصدوما بعبادات أكل لحوم البشر لدى الياهو الذين يلتهمون جثث ملكهم وأطبائهم - السحرة، وبالفجور الساذج لملكهم، التى تعرض نفسها على المبشر المسيحى فقط ليرفضها. فماذا، إذن، يقترح على جلالته؟ ولدى الياهو لغة بدائية - ويجد برودى أن من المستحيل أن يستخرج منها أقسام كلام منطقية متميزة - تتألف من كلمات وحيدة المقطع، ينظم معناها السياق أو الأشكال العملية للنطق. وهم لا يستطيعون التمييز بين الطبيعة والثقافة (إنهم يعتبرون أن الكوخ الذى بناه الدكتور برودى لنفسه شجرة ويبدو عليهم أنهم غير قادرين حتى على تصور أشياء معقدة مثل كرسى). وليست لديهم أى فكرة عن التاريخ أو عن الماضى بالمعنى الواسع (فقط يستطيع الأطباء - السحرة أن

يتذكروا في المساء ما حدث في ذلك الصباح نفسه)، وهم يقومون بتكهنات واضحة وغامضة بشأن ما يعتبرون أنه المستقبل (الدقائق العشر التالية على وجه التقريب). وهم غير مثقلين بعبء أحداث مثل عبور العبرانيين للبحر الأحمر، الذي ندرجه في ماضٍ له علاقة بحاضرنا. وهم يجهلون السببية البعيدة ومحرومون بالتالي من مفاهيم مثل الأبوة (الأمر الذي عرقل هدايتهم إلى العقيدة المسيحية وفهمهم للمفهوم المسيحي عن الألوهية). وهم يخلعون على الشعر مكانة خاصة جدا تحرم الشعراء من الحق في الحياة، لأن الفعل الشعري يملك القدرة على تحويلهم إلى آلهة لا يتصل بها أحد ويحق لأي شخص قتلهم.

غير أنه عندما يكون الدكتور برودي على اتصال من جديد بشخص متحضر، تصادف أنه كان مبشرا كاثوليكيا، فإنه يحس بالصدمة بالعادات التي مارسها طول حياته: عادة تناول الطعام على الملأ، على سبيل المثال، وهذا ما يتجنبه الياهو باعتباره محرماً a taboo : في البداية وجدت من المثير للتقزز أن أراه يفتح فمه دون أدنى محاولة للإخفاء المنافق ويضع فيه قطعة من الطعام. وظللت أغطي فمي بيدي، أو أحول عيني^(٨). وعندما يعود إلى بلاده، لا يحس برودي كما أحس جاليقر بعد عودته من بلاد الهويهنهم، باستثناء الانطباع الخاطف الذي يتلقاه من رؤية الناس يأكلون بصحبة بعضهم معا دون ارتباك. ومصيره ليس مصير جاليقر، الذي لم يسمح لنفسه أعواما بأي اتصال بشري جسدي، وناهيك بمشهد أسرته وهم يلتهمون الطعام معا في حضوره. وعلاوة على هذا فإن برودي لا يتوق إلى السعادة الكاملة التي كان قد خبرها جاليقر، وتعلم الاستمتاع بها، مع الهويهنهم، بل يتذكر، بدلا من هذا، "الرعب الجوهري" لأيامه مع "الياهو".

ومع ذلك فإنه يرجو صاحبة الجلالة أن لا تتجاهل "ما يتجرأ التقرير على اقتراحه" - أي أننا إزاء رؤية نسبوية إلى حضارة ياهو لن ينظر إليها أي قارئ للتقرير على أنها متحضرة. وهو يلخص ما يجعل الياهو ليس فقط الأمة البربرية التي وصفها، بل قبيلة يؤهلهم تنظيمهم ومعتقداتهم لامتياز اعتبارهم متحضرين بنفس الطريقة كالأوروبيين:

ولديهم مؤسسات خاصة بهم؛ ويتمتعون بملك؛ ويستعملون لغة تقوم على مفاهيم مجردة؛ ويؤمنون، مثل العبرانيين والإغريق، بالطبيعة الإلهية للشعر؛ وهم يحدسون أن الروح تبقى بعد موت البدن. كما أنهم يؤمنون بحقيقة العقاب والثواب.

على أن تقرير الدكتور برودي انتهى إلى منعطف هائل وغير متوقع. وعند الوصول إلى هذه النقطة، لاشك في أن صاحبة الجلالة سوف تصاب بالدهشة إزاء الدفاع الحازم، القائم على نسبية ثقافية خالصة، عن اليهود. وقد تسأل صاحبة الجلالة عن الأسس التي يقوم عليها عقد هذه المقارنة على قدم المساواة بين الأمم الأوروبية واليهود. ما الذي لدى اليهود ليعطيهم الحق في أن يوضعوا جنباً إلى جنب مع الأمم المسيحية؟ أو، إذا عبرنا باستخدام الكلمات الأخيرة في القصة: ما هو الاقتراح الجريء للتقرير؟

ويمكن أن يفك قراء التقرير شفرة الاقتراح مثلما كان الدكتور برودي يأمل في أن تفعل صاحبة الجلالة. وقد وجد اليهود إجابات عن الأسئلة الرئيسية بشأن النظام في المجتمع دون أن يكون عليهم أن يقوموا بحل الصراعات الداخلية مثل الأمم المسيحية الحديثة. إذ إنهم يعيشون في علاقة مثالية الكمال مع الطبيعة، والحقيقة أنهم ماداموا غير قادرين على التمييز بين الطبيعة والثقافة، ولا يعانون ألم ذلك الانفصال (رغم أنه ينتج أيضاً حضارتنا، وصناعتنا، وفننا، وتقدمنا). ومتحررين من مفاهيم عامة مثل السبب البعيد والنتيجة البعيدة، فإنهم لا تقلقهم أيضاً الشواغل الفلسفية والعلمية. ولأن لغتهم خالية تماماً من نموذج محدد للمعاني فإنهم يستعملون فقط الكلمات التي تعبر عن مفاهيم عامة. إنها لغة يمكن اعتبار القدرة على الكلام فيها ضعيفة، غير أن هذا الضعف يمنعهم من فتح مجالات محتملة للصراع على موضوعات مثل الحكومة أو الدين. وهم يعهدون إلى الأطباء - السحرة بسلطة اختيار زعمائهم غير أنهم يعتقدون أن الأطباء يفعلون هذا على أساس بعض سمات طباع الرجل الذي يقع عليه الاختيار، مما يمنع المشاجرات على السلطة والحروب بين سلالات حاكمة. وعندهم نظام للعدالة لا يقوم بخلاف نظامنا على الدليل والحجة: يجري إصدار الأحكام دون مزيد من الضجة بعد ادعاء الجريمة. وهذه الأمة بدائية إذا قورنت بالأمم المسيحية، غير أنها في الوقت نفسه نجحت إلى الأبد (أو، على الأقل، إلى أن تقود الحالة الراهنة لـ "اليهود"

إلى انقراضهم) في حل مسألة النظام في المجتمع. ولا شك في أن وصف برودي لهذه الأمة، في تدوين الراوى، تهكمى في محتواه، ولكن ليس في ثيماته. ويجرى تقديم السمات المميزة الرئيسية للتنظيم البشرى في نوع من الديستوبيا المبهمة للغاية. ويتردد القراء (كما يفعل الدكتور برودي) بشأن ما إذا كان من الإنصاف الحكم بأن أمة الياهو تمثل ديستوبيا، نظرا لحقيقة أن الياهو أنفسهم لا يؤمنون بهذا الرأى غير العطوف فيما يتعلق بنظمهم الخاصة والعامة.

وتأثير القصة ملتبس، فرغم أن الدكتور برودي قرر أن يحكم على الياهو وفقا لقيمه هو، فإنه يجد أنهم حققوا نتائج هى، على الأقل من الناحية الشكلية، ولا يهم كم هى فجة، تلك الخاصة بأمة منظمة. وتتقلب نفمة وصفه بين التشديد على الاختلافات والاكتشاف النهائى لأوجه الشبه العامة. ويجرى توصيل شىء من هذا التردد فى الكلمات الأخيرة من القصة. فهو يرجو صاحبة الجلالة أن يُسمح لهم ليس فقط مثل المسيحيين، بأن ينفذوا المهمة المستحيلة فى الظاهر المتمثلة فى إنقاذ أرواح الياهو، بل يأمل أيضا فى أن لا يمر "اقتراح" تقريره مر الكرام. وهذا الاقتراح ملفز، غير أنه يمكن فهمه باعتباره الاستنتاج الذى تتوصل إليه دراسة مقارنة تقوم على الحذف -ellip- لاعدادات الياهو واعدادات الأمة المسيحية. ويوضح برودي، فى نهاية تقريره، أن الياهو يمثلون "الحضارة تماما كما نمثلها، رغم تجاوزاتنا الكثيرة". وهو يضيف أيضا أن رعب التجربة التى مر بها لم يتضايل منذ عودته إلى إسكتلندا: خلال إقامته فى جلاسجو، يحس بأن الياهو لا يزالون حوله. وهذا الإحساس لا يجرى شرحه ولا يجرى تبريره من حيث ذكرى الوقت الذى قضاه معهم. ويمكن قراءته بهذه الطريقة، غير أنه يمكن أيضا قراءته من خلال تتبع آثار "الياهوية" Yahooism فى الحياة اليومية لأمة مسيحية. ولا شك فى أن "الرعب الجوهرى للتجربة" جزء من الماضى؛ غير أنه ليس واضحا بنفس القدر أن الإحساس بأن المرء محاط بـ الياهو فى شوارع جلاسجو يمكن تفسيره بصورة مباشرة كذلك كآثر باق من ذكرى. وبعد تأكيده، يُحس بأنه مجبر على أن يضيف: "إننى أعرف تماما أن الياهو أمة بربرية"، وكأنه كان عليه أن يستجيب لشخص كان قد تحدى ما لم يكتبه، على أى حال. ويقدم الدكتور برودي تقريراً ولكن أيضا حجة: حجة النسبوية الثقافية. وقد عبر عن نفوره غير أنه، فى الوقت نفسه، قدم

تلخيصا متوازنا عن المؤسسات الأساسية للحضارة : الحكومة ، والدين ، والفنون، واللغة.

على أنه فى موضع سابق فى التقرير قدم برودى ، كوسيلة مساعدة تقريبا، فرضية أن الياهو كانوا ذات يوم أمة أكثر تحضرا يجب تفسير انحطاطها الحالى ليس كبدائية بل كتهور. ذلك أن لغتهم البليدة المبنية على مفاهيم عامة جدا تسمح أيضا، مع ذلك، "باستخلاص تجريدات". وتقوم فرضيته على بعض النقوش القديمة التى وجدها، والتى لم تعد القبيلة قادرة على فك شفرتها. ويمكن التفكير فى الياهو على أنهم "مستقبل الأمم الأوروبية"، وليس فقط على أنهم ماضيها، تماما كما اكتشف [إليكسيس دو] توكفيل Alexis de Tocqueville فى الولايات المتحدة ليس طفولة ذلك البلد بل مستقبل أوروبا.

ويقدم "تقرير برودى" خليطا مثيرا من الريبورتاج القصصى والتعليق الفلسفى: الفلسفة السياسية من خلال السرد. وعلى هذا النحو، يرتدى اهتمام بورخيس بمسألة النظام فى المجتمع شكل نوع كلاسيكى. والآثار التى تركتها قراءته المنتجة لسويقت واضحة جدا إلى حد أنها تعيدنا إلى تراث الرحالة الفلاسفة، مع أنها تحذرننا من استعمالات بورخيس الخاصة لذلك التراث. وفى حين أن جاليفر غير مبهم فيما يتعلق بهؤلاء الياهو الذين فى روايته (لأنه يتخذ الهويهنهم كنقطة انطلاق للمقارنة)، يعطى الدكتور برودى حكما ملغزا على مسئولياته الخاصة: فى بداية التقرير يجرى النظر إليهم على أنهم ينتمون إلى عرق "متوحش" وفى النهاية على أنهم يمثلون، بطريقتهم الخاصة، "الحضارة"، لأنهم رغم طبيعتهم نجحوا فى بناء نظام، وهو ما يرقى إلى مستوى حل مشكلة سياسية. وكقراء للنص، نجد أنفسنا غير راضين عن آرائنا نحن عن هذا الشعب. وبعد الجدل، نتوقع أن نشعر فقط بالارتياح إزاء عودة الدكتور برودى إلى بلده، غير أن القارئ المدقق يواجه، بدلا من هذا، (كما كان من الممكن أن تواجه صاحبة الجلالة) مقارنة بين الياهو والأمم المسيحية. ويمكن أن يجد قراء سويقت سلاما وأمنا فى الدرس الأخلاقى الذى يلقيه الهويهنهم لجاليفر، غير أن قراء بورخيس لا يملكون نفس العزاء، لأنه لا وجود لخيول نبيلة فى بلاد الياهو الذين نلقاهم لديه. غير أنه يجرى تقديم درس فى التقرير، عن مختلف أنماط الحضارة ومختلف أنماط النظام

القائمة على القيم التي تبدو لأولئك الذين يؤمنون بها حقائق مطلقة، ولكن التي يمكن أن يثبت مراقبون مدققون، مثل الكثور برودي ، في النهاية أنها عارضة ونسبية. كما يوجه التقرير تحذيرا، وإن كان مبهما ومقحما تقريبا في السرد، عن الخطر الذي يهدد الأمم المتحضرة: البربرية التي تكمن داخلها، والتي كان بمستطاع برودي أن يلقاها في شوارع جلاسجو.

وأنا لا أزعـم أن هذا هو التفسير الوحيد الممكن للقصص الفانتازية التي بحثناها في هذا الفصل وفي الفصل السابق. لقد قرأناها بتركيز خاص على مبادئها البلاغية الإبداعية ووجدنا أن الأسئلة الفلسفية الأساسية ماثلة في صميم السلسلة المثالية الكمال للسرد. والحقيقة أن البحث عن النظام المثالي الكمال بصورة مستحيلة واليقين بأن كل نظام له عواقب مجهولة ومفرعة ماثلان في صميم كمال الحكمة ذاتها.

الهوامش

'Poema conjetural', *El otro, el mismo*, In *Obras completas*, Buenos Aires 1974, p.(١)
867. Translated by Anthony Kerrigan as 'Conjectural Poem', in J. L. Borges,
A Personal Anthology, New York 1967, pp. 192-3.

(٢) من المحتمل جدا على الأقل أن يكون بورخيس قد قرأ بندا Benda، لأن مجموعة مجلة سور *Sur*، التي
كان بورخيس ينتمى إليها كانت تنتظر إلى بندا على أنه نوع من المرشد guru الفكري.

Doctor Brodie's Report, Harmondsworth. 1976, pp. 11-12. (٣)

'Death and the Compass', *Labyrinths*, London 1970, p. 108. (٤)

'Deutsches Requiem', *Labyrinths*, p. 176. (٥)

Ibid., p. 178. (٦)

In *Doctor Brodie's Report*, pp. 91-100. (٧)

For these quotations, *ibid.*, pp. 99-100. (٨)

Ibid., p. 100. (٩)

القسم الثاني

الطليعة وبوينوس آيرس والحداثة

الفصل السابع

مغامرة مارتن فييرو : الطليعة والكريولية

يرتبط بورخيس ارتباطا وثيقا بثلاث مجلات أدبية فى العشرينيات: *Prisma*، *ma*، و*Proa*، ومارتن فييرو *Martín Fierro* ^(١)، وهى مجلات شجعت برامج الطليعة وكشفت بذلك الحدود الأيديولوجية والمؤسسية للطليعة فى الأرجنتين. وبين هذه المطبوعات الثلاث، تمتعت مارتن فييرو بأوسع جمهور وأعلى ظهور: تحديث المثقفين الشبان الذين بدأوا ينشرون فى العشرينيات وكانوا معروفين لدى الأصدقاء والأعداء على السواء باعتبارهم المارتنفييريستا *Martinfierrista* (المارتنفييريون نسبة إلى مارتن فييرو).

ومع ظهور مارتن فييرو فى فبراير ١٩٢٤، نشهد "قطيعة" جمالية حديثة بصورة نموذجية - تلك التى تميز الطليعة، والحقيقة أن الفضيحة التى جلبتها المجلة على نفسها لى تحقق اعترافا مباشرا وواسع النطاق، والحرية التى انتقدت بها الكتاب الحداثيين ("الموديرنيستا") *modernista* وأولئك المنتمين إلى جيل الثينتيناريو ^(٢) (الذكرى المئوية لاستقلال الأرجنتين) *Centenario*، والمساجلات مع الملتزمين اجتماعيا والأدب الإنسانى، والنغمة البارودية *parodic* التى تبنتها فى السخرية من اتجاهات سابقة عليها ومعاصرة لها، كل هذه المظاهر تجعل مارتن فييرو مسبار قياس للأعماق قام بترجييع أصداء التغيرات فى النسق النصى والمعارك المؤسسية التى خيضت فى ذلك الحين. وفى الوقت نفسه، اختلف توجه المجلة عن توجه الطليعات الأوروبية من نواح تبين حدودها ولكن أيضا أصالتها.

وإذا كانت الطليعة الأوروبية قد جمعت بين جماليات راديكالية وإحياء أخلاقى و"ولع بالتجريب الخطر"، فماذا يمكن أن يقال لتعريف الطليعة الأرجنتينية التى لعب

فيها بورخيس ذلك الدور القيادي؟ ولكي نشخص نوع الخروج الذي قامت به مارتن فييرو والمارتنفييريسستا، ونفسر النغمة المعتدلة إلى حد كبير لمداخلاتهم، يجب أن نبحث طبيعة المجال الثقافي في الأرجنتين بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٢٠ والواقع أن المثقفين، والنوآت *cénacles* الفنية الرائجة في زمن الشينتيناريو، قاموا بخلق الشروط الملائمة للإضفاء التدريجي لطابع الاحتراف على الكاتب وإرساء الممارسات الأيديولوجية والثقافية التي طمحت إلى الهيمنة الطويلة الأمد. وكان على المارتنفييريسستا الشبان أن يخوضوا معركة مع تلك الشروط والممارسات في سياق نضال في سبيل إرساء أسس تفوقهم الجمالي والمؤسسي.

والواقع أن مجلة تأسست في ١٩٠٧، وهي مجلة نوسوتروس *Nosotros* (نحن)، صارت الدورية الأوسع قبولا في ذلك الحين^(٣). وكانت تنشر أكثر من مائة صفحة من النصوص شهريا ولم تقم فقط بتغطية التطورات في الأدب الأرجنتيني والفنون التشكيلية بل قدمت أيضا أقساما إخبارية مكثفة من الخارج وترجمات لمقالات أجنبية. وكان مديرا نوسوتروس، روبرتو خيوستي *Roberto Giusti* وألفريدو بيانتشي *Alfredo Bianchi*، مروجين أدبيين نموذجيين في فترة شهدت تمايزا ضئيلا في المجال الفني، على وجه التحديد بسبب النطاق الصغير للمجال والافتقار إلى التعقيد. وكانت نوسوتروس بالتالي مطبوعة انتقائية أيديولوجيا وجماليا. وقد تمثل برنامج المجلة في تنظيم ونشر الإنتاج الفني والفكري وكانت تعتبر أنها تمثل المجال الثقافي بأكمله. وسعت الطليعة إلى كسر هذه الوحدة، وإلى تقسيم الجمهور، وإلى الجدل مع الكتاب المكرسين في ذلك الحين.

حاولت مارتن فييرو إحداث قطيعة مع مؤسسات وممارسات المجال الثقافي القائم، والذي كان تطوره قد خلق، في الواقع، الشروط الضرورية لتطور الطليعة ذاتها. وفي بداية العشرينيات، في السنتين أو الثلاث سنوات التي سبقت ظهور المجلات التي شارك فيها بورخيس وزملاؤه الكتاب (پريسما، وپروا، وإينيثيال *Inicial*، ومارتن فييرو)، بدا المجال الثقافي، تحت هيمنة نوسوتروس، موحدا نسبيا. وفي هذه السنوات، كان يُنظر إلى وحدة المجال على أنها شرط أساسي لتوطيده وتوسيعه. ولهذا السبب، ضم مديرا نوسوتروس كتابا أكثر شباهًا إلى صفحاتهم. ويمكن أن نجد الدليل على هذا في

واقع أنه تطور ، داخل نوسوتروس، أولئك الكتاب الذين قدر لهم أن يصيروا قادة أو أعضاء الطليعة ال أولترايستا Ultraista ^(٤) (التطرفية "الراديكالية") أو المارتتفيريستا. وفي ١٩٢١، نشرت نوسوتروس تصريحاً لخورخي لويس بورخيس، بعنوان "أولترايسمو" Ultraismo [التطرفية (=الراديكالية)] ، طور ما سيفدو في الحال المبادئ الجمالية الأساسية للطليعة، وتضمن خمس أو ست قصائد. وبعد ذلك بسنة تقريباً نشرت "منتخبات أولترايستا" بدون مقدمة، وطوال ١٩٢٣، نشرت أيضاً قصائد أولترايستا بوضوح لكل من إدواردو جونتاليث لانوثة Eduardo González La nuza وكوردوبا إتوربورو Córdova Iturburu (الذين سينضمّان كلاهما في الحال إلى صفوف المارتتفيريستا)، ومقالاً لبورخيس "معضلة بيركلي"، كان استباقاً لأفكار سيطورها في عقود لاحقة. ونشرت نوسوتروس المنتخبات الأولى لك أولترايسمو الأرجنتينية، بقصائد لبورخيس، وسيرخيو بينيرو Sergio Pinero، ونورا لانخي Norah Lange، وإدواردو جونتاليث لانوثة (الذين سيصيرون جميعاً، بعد ذلك بأشهر معدودة، أعضاء صاخبين وبارزين في جيريلاً Guerrilla الأدبية الطليعية). وفي ديسمبر ١٩٢٣، نشرت نوسوتروس مقالاً آخر لبورخيس ("حول أونامونو Unamuno، الشاعر")، وفي مارس ١٩٢٤، أعادت طبع تعليق بقلم دياث - كانيدو Diaz-Canedo، كان قد ظهر في إسبانيا، حول ديوان بورخيس وهج بوينوس آيرس Fervor de Buenos Aires. وكان هذا المقال آخر دليل على الانسجام بين القطاع الأكثر مؤسسية من المجال الثقافي وأولئك الذين سيصبحون، في الحال تقريباً، الطليعة. وعندما ظهرت مجلة أخرى للكتاب الشبان، إينيثيال، في أكتوبر ١٩٢٣، حيثها نوسوتروس بهجوم قاس. وبدورهم، بدأ المارتتفيريستا يجدون مكانهم الخاص في شبكة المؤسسات الثقافية.

خُلُق بيئة

أثر ظهور المجالات الطليعية، ومارتن فييرو بالذات، تأثيراً عميقاً في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية للمجال الثقافي. ومن ١٩٢٤ فصاعداً قامت الطليعة بمناوأة هياكل القواعد الأدبية المعيارية السائدة عن طريق شن الحرب على نوسوتروس،

والحدائث modernismo، وكتاب الثيتيتيناريو. وفي رأى مارتن فييرو فإن نوسوتروس نسخوا النظام الرسمى ومعاييره الجمالية بل حتى عملوا أدوات له.

وفى سلسلة من المقالات، أعلن محررو مارتن فييرو برنامجا لتغيير الأساليب التى تم بها، تقليديا، خلق پانتيون pantheon أدبى فى الأرجنتين. وبدأت المجلة تتنافس على الاعتراف الأدبى داخل هذه المؤسسات واشتركت فى نظام الجوائز الرسمية. وقبلت المجلة المؤسسات بوصفها آلية لتشجيع الفنانين الشبان واعترفت صراحة بالحق المشروع للدولة فى أن تتدخل كمنظم ومشجع للعلوم. وحتى رؤساء الجمهورية الذين حاولوا احتضان التطور الفنى كان بوسعهم أن يكونوا، وفقا للطليعة، "منصفين لكلا الطرفين". غير أن الطليعة حذرت بالفعل ضد خطر "سياسة العصا". فبدلا من دعم حركة فى سبيل التغيير الجمالى والمؤسسى، كانت "سياسة العصا" مبنية على أدوات توفيقية مثل نوسوتروس - أى، على شخصيات كانت ذات نفوذ فى العقد السابق. وكما أعلن محررو مارتن فييرو فإن السياسة الرسمية لم تعد "تنفع على البلاد". وفى هذا الجانب من جوانب برنامجهم، عمل المارتنفييرىستا فى سبيل إصلاح سلمى للمؤسسات الثقافية بدلا من تبنى نظرة راديكالية باعتبارهم مرفوضين refusés، على طريقة الطليعة الأوروبية.

وكان الخط المعتدل لـ مارتن فييرو (وخاصة لـ إيبار مينديث Evar Méndez ، رئيس تحريرها وكاتب هذه المقالات أو الروح المحرك وراءها)، قاصرا على شجب سياسة القنوت، والمطالبة بأن تتدخل الدولة لوضع حد للمحسوبية فى منح الجوائز الرسمية. وباقتراح أن تتبع الجوائز الأدبية وزارة التعليم العام، أبدت مارتن فييرو موافقتها على خط فى التفكير نلقاه بالفعل لدى كتاب أقدم كانت المجلة تحاول الإطاحة بهم: التزام الدولة بتقديم حماية اقتصادية لفنانين لم يكن بوسعهم أن يأملوا، فى مجتمع كالمجتمع الأرجنتينى وفى سوق أدبية فضل فيها جمهور من الطبقة المتوسطة الرواية الواقعية على التجريب المجدد، فى أن يعيشوا من إيرادات إنتاجهم. والحقيقة أن هذه الدعوة إلى رعاية الدولة، والتى نتجت إلى حد كبير عن الافتقار إلى التمايز فى المجال الثقافى، تعايشت لدى مارتن فييرو، ولدى الطليعة بوجه عام، مع رفض نخبوى لتلك المنتجات التى قدمتها صناعة نشر سريعة التطور لجمهور أعرض وبالبداهة أقل ثقافة.

وبالإضافة إلى التشديد على الحاجة إلى الدعم المؤسسى لتطور الفن والأدب، أكدت مارتن فييرو أيضا أن على الدولة التزامات بعينها فى مجال تنمية الثقافة، وبالأخص الالتزام باستعادة التوازن لصالح الكتاب الأحدث عمرا، فى مواجهة الشخصيات الأدبية ذات المكانة الوطيدة مثل "الشاعر القومى" ليوبولدو لوجونيس.^(٥) ورغم أنها اتخذت موقفا توفيقيا بوجه عام تجاه سلطة الدولة إلا أن المجلة تختار أعداء، مثل إنتندنتى *intendente* مدينة بوينوس آيرس (المثلة غير الفعالة والمحافظة للدولة)، أو نوسوتروس، التى قدمت كثيرين من أعضاء هيئات التحكيم لجوائز البلديات. لقد تحول التوتر العادى للبرجوازية للطليعة الأوروبية، فى بوينوس آيرس، إلى معارضة أكثر اعتدالا للفظاظة الجمالية وللافتقار إلى الذوق لدى البرجوازي العادى أو البيروقراطى الحكومى العادى.

وهذا الخط المعتدل استمر به مجلس تحرير مارتن فييرو من أول عدد إلى آخر عدد. وقد وصف إيبار مينديث وظيفة المجلة بأنها تتمثل "فى تكوين بيئة وفى إيقاظ الحياة الأدبية". وكان هذا يعنى فى الممارسة أن تساعد المجلة فى تغيير المجال الثقافى، وإنتاج نوع جديد من الجمهور، وخلق مواقف جديدة فى الحياة الأدبية، وتغيير الذوق. وكان هذا يمثل تغيرا عميقا ولكن ليس قطيعة عدمية أو مجابهة فوضوية مع النظام القائم.

ولهذا فإن مارتن فييرو، عندما قامت بتعريف وظيفتها، فعلت هذا فى إطار "تأسيس" أنشطة أدبية بعينها. وكان النشاط البالغ الأهمية بين هذه الأنشطة تأسيس دور نشر مرتبطة بـ مارتن فييرو و پروا، اللتين نشرتا إنتاج الكتاب الطليعيين وكان لهما برنامج صريح: إنهما ستكونان متحيزتين، وملتزمتين بالقضية، وهادفتين، وغير مهتمتين بالربح، ومراعيتين لحقوق المؤلفين وكل معايير التسويق الحديث للكتاب (الإعلان فى الشوارع، والأسعار التشجيعية، وأنواع خاصة من الخصم لباعة الكتب وهكذا...). وبكلمات أخرى كانت مارتن فييرو علامة على بداية النهاية للنظام الذى كان يعمل فى عقود سابقة، والذى كان المؤلفون يدفعون فى ظله من أجل نشر إنتاجهم.

وكان محررو المجلة أكثر اعتدالا بوضوح من بعض الأعضاء الأفراد فى المجموعة من بينهم بورخيس و أوليبريو خيروندو،^(٦) اللذين اقترحا قطيعة جمالية أكثر راديكالية. وكان هذا الاعتدال لا يعود فقط إلى حدودهم الأيديولوجية بل أيضا إلى حدود المجال الثقافى والمجتمع الأوسع. القمع الجنسى والمعنوى، واللاسياسية، والدعم المنضبط للأمة وحقوق وواجبات الدولة - كان كل هذا يشير إلى طليعة بالغة الارتباط بالأيديولوجيات التقليدية إلى حد أنها لم تستطع أن تسائل النظام الاجتماعى بأى طريقة عميقة. غير أنه إذا كانت مارتن فييرو لم تنتقد الأسرة، أو الأمة، أو السلطة، أو الدين، فقد غيرت التقاليد الأدبية بالفعل بصورة حاسمة. وقد أكد يولييسيس بيتيت دى مورات Ulyses Petit de Murat، أحد أعضاء المجموعة، أن "مارتن فييرو كانت تضم نساءً فى مقرها الأدبى وفى مآدبها وفى محاضراتها. وفى ذلك الوقت كان الأدب يسوده الرجال. وكانت نورا لانخى ركنا من أركان هذه الاجتماعات. وكانت تلقى الأحاديث واقفة فوق منضدة". والحقيقة أن كل روايات كتاب الطليعة عن ذكريات هذه الأعوام تجمع على الإشارة إلى هذه العلاقات الجديدة بين الكتاب. لقد بدا حقا أن مثل هذه الصلات الجديدة تحتاج إلى طاقة أكثر من الكتابة ذاتها. ويسجل ليوبولدو ماريتشال Leopoldo Marechal،^(٧) أحد أبرز أعضاء المجموعة، أنه: "كرست باقى وقتى <الحياة الأدبية> وكل ما كانت تقتضيه، وليس للإبداع الأدبى ... وكانت حركة مارتن فييرو عميقة الجذور فى الحياة ذاتها".

وكان لـ مارتن فييرو أصدقاؤها وحلفاؤها - واثنان على وجه الخصوص: ماثيدونيو فيرنانديث Macedonio Fernández^(٨) (الذى كان بورخيس يبجله باعتباره عجوزا كبيرا grand vieux) و ريكاردو جویرالديس.^(٩) ولكى يتم إبراز هؤلاء الكتاب كان من الضرورى للمارتنفييرىستا القيام بإصلاح النسق الأدبى الأرجنتينى. والحقيقة أن تغييرا فقط فى المجلة حول مسألة ماذا يجب أن يكون الأدب سمح بإنقاذ جویرالديس من عزله واكتشاف ماثيدونيو فيرنانديث. ويمثل نشر نصوصهم بادرة من أوضح البوادر الطليعية فى تاريخ هذه الدورية.

الأدب كسلعة

أصلحت الطليعة النسق الأدبي، وأنكرت التقاليد، وجينيالوجيا المجال الثقافي (عن طريق بناء جينيالوجيات بديلة)، فأحدثت انقساماً في الجمهور. واكتشفت أسلافاً كان قد جرى تركهم خارج القاعدة المعيارية السائدة. وجعلت هامشياً، مثل ماثيودونيو فيرنانديث، في مركز نسقها. وأكدت أن من لم يقرأوا الأدب بهذه الطريقة رجعيون جمالياً، غير قادرين على فهم ظاهرة "الجديد". وكما قام أبولينير Apollinaire بنشر مركيز دو ساد Marquis de Sade قام المارتيفيريستا بنشر ماثيودونيو فيرنانديث؛ إنهما هامشيان كبيران خارج المؤسسات ومجهولان من السوق ومن الجمهور. وكان هذان الهامشيان يتقاسمان وجهة نظر مشتركة: كانا يعارضان منطق وأخلاق السوق (كان منطق السوق، مبرر وجودها *raison d'être* الوحيد، يتمثل في الربح؛ من وجهة نظر الطليعة).

نظرت الطليعة إلى نفسها على أنها تجسد "حقيقة" جمالية كشفت، في معارضتها لـ "حقيقة" التجارة، عن الشروط الفعلية للإنتاج للسوق. غير أن معارضتهم كانت حادة جداً على وجه التحديد لأن الطليعة نفسها كانت أيضاً، بطريقة ما، أحد منتجات السوق. والحقيقة أن نظاماً لإنتاج سلع رمزية يتصور الجمهور على أن له مستويات مختلفة، ويربط نفسه بأحد هذه المستويات، يمكنه وحده أن يسمح بالتداول، في تعارض مع نفسه، لنصوص يمكن تعريفها مهما كان هذا بأسلوب وهمي بأنها خارج السوق ومتحررة من قيودها. غير أن هذا "الكون خارج" (السوق)، وهو تعريف للحظة من لحظات الطليعة، إنما هو فضاء للصراع. فالطليعة لا تفهم نفسها على أنها فضاء بديل في المجال الثقافي، بل بالأحرى على أنها الفضاء الوحيد الأخلاقي والصحيح جمالياً. وصراعها مع "صناعة الثقافة" ومع ثقافة "متوسطى الثقافة" و"ضئلي الثقافة" هو صراع جمالي وأخلاقي في أن معاً، غير أن لها أيضاً مغزى اجتماعياً أوسع. فالطليعة ممكنة فقط عندما يكون كل من المجال الثقافي والسوق قد وصلا إلى مرحلة معقدة وواسعة النطاق نسبياً من التطور. وبعبارة أخرى فإن الكاتب، عندما يحس في أن معاً بسحر ومنافسة السوق، يرفضها كفضاء معياري سائد، غير أنه يتلهف سرا على

الحكم الذى سوف تصدره السوق. ذلك أن المنافسة فى السوق وعلى الجمهور هى شكل حديث من المنافسة الجمالية. ويمكن أن يكون التوتر كبيرا جدا، أو يمكن أن تحس الطليعة بأنها ضعيفة جدا، إلى حد أن الانسحاب من السوق يمثل خيارا ممكنا للتنافس فى هذا العالم. وعندما تنكر الطليعة السوق فإنها تقسم الجمهور فى حين أنها فى الوقت نفسه تطالب لنصوصها بنوع من القراءة يمارسه، فى المحل الأول، الكتاب أنفسهم: قراءة بين أنداد.

وقد عاشت الطليعة الأرجنتينية هذا التوتر مع السوق ومع الجمهور: رفضت السوق وأعلنت الحاجة إلى تكوين نوع جديد من القارئ. ولهذه الغاية، سعت إلى إعادة تربية الذوق وإلى إيجاد طرق بديلة فى سوق الأدب. ويتقاطع محوران - محور ربح/ فن ومحور أرجنتيني/ مهاجر - فى موقف المارتتفيريستا تجاه الأدب كتجارة. وعلى هذا فإن جمع المال من الأدب إنما هو طموح مرتبط صراحة بالأصل الطبقي للكاتب. ولم تكن هناك أية استثناءات على هذه القاعدة من وجهة نظر مارتن فييرو.

والحقيقة أن صراع الطليعة الأرجنتينية مع "صناعة الثقافة" لم يكن ببساطة انعكاسا لأيديولوجيات أوروبية. فمنذ ١٩١٥ تقريبا، شهدت بوينوس آيرس نمو وازدهار أدب جرى إنتاجه من أجل قطاعات اجتماعية متوسطة ودنيا وكانت له أرقام توزيع أسبوعية مرتفعة نسبيا وكان يتم طبعه بأسعار فى المتناول. وفى بداية عشرينيات القرن العشرين، وبالإضافة إلى هذه المطبوعات الأسبوعية، التى شملت مسلسلات وروايات مغامرات، ظهرت هناك مجموعات من الكتب الرخيصة كانت تقدم ترجمات للقصة الأوروبية والمسرح. وشهد عام ١٩٢٢ طبع ما لعلها تكون أنجح مجموعة منها جميعا، وهى المسماة بصورة ذات مغزى "المفكرون" Los Pensadores^(١٠). وطابقت الطليعة هذه المجموعة مع الأدب "الاجتماعى"، واقعية المذهب الطبيعى والعاطفية السنتيمنتالية الرثة lumpen التى غرسها كتاب مجموعة أدبية معروفة باسم بويو Buedo وقد سميت المجموعة على اسم منطقة عمالية فى بوينوس آيرس كان قد عاش فيها بعض الكتاب، وكانت لدار النشر كلاريداد Claridad، التى نشرتها مكاتب فيها.

وفى رفضها للسوق، أدانت مارتن فييرو حافز الربح (وهذا لوم يمكن أن يوجه إلى ناشري المسلسلات العاطفية وقصص المغامرات) وانتقدت "إضفاء طابع الحضر على الفضيلة" على الأدب، وهو ما ربطته جماليا بالواقعية الاجتماعية التى كان جمهور قرائها ينتمون إلى الطبقة الوسطى الدنيا والفئات الاجتماعية الأفقر، وإذا كان تطور سوق للأعمال الأدبية يرجع إلى زيادة فى جمهور القراء، فإن مارتن فييرو كانت تواجه إذن مشكلة الطريقة التى يتم بها تقسيم هذا الجمهور، وكانت توجد مجالات مهمة لإنتاج الأدب الأرجنتيني فى العشرينيات أثرت هذه الدورية تجاهلها، لأنها كانت مرتبطة بصراحة زائدة عن الحد بالسوق، وبالتوسع، بجمهور دحضت الطليعة ذوقه زاعمة أنه غير مستتير، وإذا كان الهدف هو خلق جمهور جديد (وكان هذا هو البرنامج الصريح لـ مارتن فييرو)، فإنه كان ينبغي تدمير الذوق الراسخ للسوق، وقد بدا للمجلة أن الأدب المنشور بالآلاف النسخ، فى طباعات رخيصة، وفى كثير من الأحيان رديئة، شكل فاسد من المنافسة. ومن هنا النقد النخبوى لكتاب مجموعة بويديو، على أساس أنهم، بغض النظر عن انجذابهم للأدب الاجتماعى، كانوا يجعلون السوق همهم الأول.

وعلى هذا النحو، كان لهذا التناقض الصارخ بين الربح والفن فى المجال الثقافى مغزى سياسى أوسع. والحقيقة أن النغمة الأخلاقية التى تتبناها مارتن فييرو عندما تتحدث عن النجاح فى السوق، وهى نغمة لا يمكن النظر إليها على أنها غير أمينة بصورة خالصة، كمجرد تمثيل أيديولوجى، أو كإنكار رمزى، تغذيها الطبقة: تقول افتتاحية لـ مارتن فييرو: "نحن نعرف وجود تيار أدبى فرعى يغذى الشراة العديمة الضمير لدى الشركات التجارية التى أنشئت لإشباع الذوق الهابط لجمهور شبه أمي". كما أن الربط بين الطبيعة التجارية للنشر الشعبى والحساسية "المتدنية" لقرائه تعليق واضح على أصول الكاتب وعلى المال الذى يمكن أن يدره الأدب. وفى هذه الظروف أعلن المارتنفييريستا حقيقة الطليعة التى أدانت إضفاء الطابع التجارى على الفن.

ولهذا فإن إبداعيات (النظريات الإبداعية) poetics الأدب "الاجتماعى" لم تكن تتحدد بأيديولوجيته "اليسارية" أو "الإنسانية النزعة". وفيما يتعلق بالكتاب أنفسهم فإن مارتن فييرو كانت فى أقصى حالات تصلبها. وكان من المفترض أن يكون هذا الأدب مكتوبا بصورة مميزة من "تشويه النطق" مما كشف عن أصوله التى ترجع إلى

المهاجرين. ومرة أخرى تناولت المجلة موضوع النقاء اللغوي باعتباره السمة المميزة للأرجنتينيين من ذوى الأصل الإيسپانيو - كريولى القديم. وقد شغل مفهوم "النقاء اللغوي" بعض كتاب الثييتيناريو، الذين اعتبرتهم مارتن فييرو أعداء. غير أن المجلة شاركتهم أراهم فى سخرياتها اللاذعة من "الوطانة الفظة المغزوة بالخصائص اللغوية الإيطالية" التى خلقها أدب يفيض "بقصص أحياء الفقراء" التى ألفها كتاب "إيطالو - كريوليون". ولهذا كان هناك نمطان من الكتاب وجمهوران: أولئك الذين كانوا "أرجنتينيين دون مشقة"، لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى تمويه نبذة أجنبية، وأولئك الذين لم يكن بوسعهم بحكم أصلهم ولغتهم ادعاء أنهم جزء من أى تراث قومى طويل.

والواقع أن العنف الغاضب لهذا الهجوم (الذى لم يكن نموذجيا لنغمة المجلة التى كانت بصورة عامة يارودية وفكاهية) قد أوضح بجلاء حقيقة أن ما كان يجرى الجدل حوله يمثل مسألة أساسية من وجهتى نظر أيديولوجية وجمالية على السواء. وكان الجدل بين الربح والفن يتغذى على التناقض الاجتماعى بين الأرجنتينيين القدامى والمهاجرين. ويمكن أن نرى هذا فى التحية الذى توجهها مارتن فييرو للطبعة الأولى من پروا، المجلة العظيمة الأخرى للطليعة: كان يمكن توقع الكثير من أعضاء هذه المجموعة، كما أكدت مارتن فييرو، حيث إنهم كانوا "راسخى الجذور فى التراث، وتبين ألقابهم أنهم من عائلات أرجنتينية منذ عهد بعيد".

الأصول الطبقية، والعلاقة بالتراث القومى، ونقاء أو فساد اللغة، والموقف إزاء السوق الأدبية: كل هذه العناصر كانت تؤلف "بنية شعور" كانت تتقاسمها الطليعة الأرجنتينية التى كان ينتمى إليها بورخيس. وليس لكل عناصر هذه البنية، أو الأشكال الأدبية التى عبرت عنها، نفس الوزن. وفى بعض الأحيان أدت طبيعة الطليعة ذاتها إلى تآكل الأهمية التى كان يجرى إضفاؤها على التراث الثقافى والأمة. غير أنه يجرى التشديد باستمرار على السيطرة على اللغة والعلاقة بجمهور "الطبقات الدنيا". وهذا الجمهور المحروم من الثقافة الرفيعة، الذى احتفظت الطليعة بمسافة منه، لوّث اللغة، وفرض نطقا "مشوها"، وساعد فى تعزيز استعمال "غير مشروع" لمساكن الأحياء الفقيرة أو الكونيينتييوس conventillos فى الأدب الواقعى. (وسوف نرى بعد قليل كيف أن الكونيينتييوس، كان يمكن أن يكون لها استعمال "مشروع" فى الأدب). وكان الجمهور

الذى تقره الطليعة هم أولئك الذين أداروا ظهرهم للسوق. وكان هذا الجمهور، الذى كان يجرى تحديده بحساسيته نحو "الجديد"، يوضع بأكثر من طريقة فى مقابلة مع الجمهور الذى يقرأ الأعمال الواقعية لمجموعة بويو. ومن الناحية الاجتماعية، كان جمهور بويو من أحياء الضواحي ولم يكونوا من وسط المدينة. وكان هؤلاء قراء لم يكونوا على ثقة من لغتهم الأرجنتينية. ومن الناحية الجمالية، كانت أذواقهم تتجه بصورة رئيسية نحو القصص القصيرة والروايات، فى حين كان جمهور هارتن فييرو يقرأون الشعر والمقالات. ولدينا هنا جمهوران ونسقان أدبيان، نسقان من ترجمة الأدب الأجنبى ومجموعتان اتهمت كل منهما الأخرى بالنزعة الكوزموبوليتانية.

الطليعة والكربولية

ويحتاج الاسم الذى اتخذته أهم مجلة طليعية، هارتن فييرو إلى نظرة. والسؤال مهم لأن الاسم ذاته يشير إلى قيمة رئيسية، هى قيمة القومية.

فلماذا كان سؤال النزعة القومية الثقافية ملحا إلى هذا الحد فى الأرجنتين؟ وفى حوالى عام ١٩١٠، قام كتاب فى مثل مكانة ريكاردو روخاس Ricardo Rojas وليوبولدو لوجونيس بإعادة تفسير القصيدة الجاوتشية هارتن فييرو، التى كتبها خوسيه إيرنانديث فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، كتنويع وتركيب للقيم القومية. وتمثلت خلفية هذا الإلحاح فى وجود، أولا، مثقفين من خارج الطبقات العليا التقليدية يشكلون جزءاً من عملية عامة من نمو القطاعات الوسطى، ثانياً، قطاعات شعبية حضرية ذات أصول من المهاجرين. ولأول مرة يجرى طرح مسألة الهوية القومية بطريقة منهجية ودرامية، وكان السبب فى هذا هو وجود آلاف من المهاجرين فى بلد كان يُحتاج إليهم كقوة عمل غير أنه كان يخشاهم كقوة سياسية وثقافية. وقدم الكتاب ذوو النزعة القومية حلين مختلفين: اقترح بعضهم، مثل ريكاردو روخاس، انصهاراً للسكان الوطنيين، سواء أكانوا إسبانيين، أم كريوليين، أم محليين، مع المهاجرين والمنحدرين منهم؛ ورأى آخرون، مثل ليوبولدو لوجونيس، تهديداً للثقافة الأرجنتينية فى الضغوط اللغوية والعرقية والأيدولوجية التى مارسها القادمون الجدد.

ومن هذه النواحي، على الأقل، لم يتم حل الجدل في العشرينيات، وزعم محرر إينيثيال، وهي إحدى المجلات التحديثية لتلك الفترة، أنه في العشرينيات فقط بدأ المثقفون يناقشون مسألة الأمة. وهذه الملاحظة، وهي زائفة تاريخيا، حيث إن من الجلى أن كتاب الثينتيناريو أجروا مجادلات مماثلة قبل العشرينيات، تكشف مع هذا عن حقيقة أيديولوجية. وبالنسبة للطليعة صارت المجادلات غير الحاسمة عن الثقافة القومية مسألة أساسية أخرى ينبغي حلها كجزء من حركة واسعة من التجديد الثقافي. وأعلن العدد الأول من مارتن فييرو ظهورها تحت شعار، "عودة مارتن فييرو". وقد حملت هذه العبارة شحنة رمزية ثقيلة، تقوم في الواقع على بطل جاوتشو كان يُنظر إليه على أنه "جوهر قومي"، كان بوسع الطليعة أن تجسده مرة أخرى. ومن الجلى أن هذا الإلحاح على "جوهر الأرجنتين" Argentinidad (= الأرجنتينية أو الطابع الأرجنتيني) كان شرطا مسبقا ضروريا لقيام المجلة بتنفيذ التزامها بالتغيير. ويمثل قرار تأييد برنامج للإحياء الثقافي القومي تناقضا آخر من التناقضات التي تتخلل تاريخ المجلة. وفي البيان الذي نُشر في العدد ٤، يُوصف التراث الثقافي بأنه "ألبوم عائلي" لا يمكن إنكاره، ولكن لا يمكن في الوقت نفسه اتخاذه موضوعا للتبجيل الفيتيشي. غير أنه، في "البيان" نفسه، يجري إبراز هذه المسألة القومية باعتبارها إحدى السمات الجديدة للطليعة: النزعة القومية اللغوية، كما جرى التعبير عنها في عبارة "مارتن فييرو يثق بصوتياتنا phonetics".

وفي سجالها مع الأدب الاجتماعي - الواقعي لكتاب بويو، تمثلت إحدى الثيمات الرئيسية لمجلة مارتن فييرو في الاختلاف، من الناحية الأدبية، بين "الأرجنتينيين دون مشقة" (أعضاء التراث الإيسپانو - كيريولي) وأبناء المهاجرين. ويكمن مفتاح فهم هذا الاختلاف في العلاقة التي تربط كل مجموعة باللغة، وبصورة خاصة باللغة المنطوقة وتنويعاتها الصوتية. وتصف مارتن فييرو أدب بويو بأنه من إنتاج أولئك الذين لهم علاقة خارجية باللغة الإيسپانية ولهذا يحتاجون إلى إخفاء نطقهم الأجنبي. وكان يجري النظر إلى القرب من اللغة الشفاهية واكتسابها "الطبيعي" على أنهما شرط مسبق وضمانة للكتابة الأرجنتينية. وكان من شأن أي علاقة باللغة تقوم على قمع لغة أجنبية (جلبها المهاجرون معهم إلى البلاد) أن تنتج أدبا مطبوعا بطابع الأصول الزائفة

للكاتب. وكان من المفترض، بطبيعة الحال، أن اللغات الأجنبية "الرديئة" هي تلك التي يتكلمها المهاجرون، ذلك أنه كانت هناك أيضا لغات أجنبية "جيدة" - اللغات التي تعلمها الأرجنتينيون الإيسپانو - كريوليون عبر الثقافة والأدب.

وفى خطاب مارتن فييرو، يجرى النظر إلى القومية على أنها معطى. ولكن كيف يمكن أن يكون هذا "الجوهر القومى" مادة الأدب؟ وفى عرضه لديوان شعر بورخيس القمر المقابل *Luna de enfrente*،^(١١) يشير ليوبولدو ماريتشال إلى البلاغة على أنها عقبة أمام اللغة كما تُنطق وتُسمع: يكتب بورخيس شعره "بلغة محببة إلينا، لأنها اللغة التي نتكلمها حقا، غير مثقلة بزخارف البلاغة". كما يعتبر أوليبيرو خيروندو أن الهوية اللغوية معطى وأنها نتيجة لمباشرتها لا يمكن اكتسابها عبر "الجهد الذهني" أو أى عمل آخر يشترطه الاكتساب اللغوي بصورة مسبقة. وتعتبر مسألة الأصول الاجتماعية (التي كان يجرى النظر إليها على أنها مرتبطة بصورة وثيقة جدا بحافز الربح أو بالافتقار إلى الاهتمام بالفن) حاسمة فيما يتعلق باللغة. ومرة أخرى ضاعفت هذه الصراعات الأدبية وشوّهت صراعات نسق آخر: أعيد طرح الاختلاف بين الأرجنتينيين القدامى (أى أبناء الأسر التقليدية، الذين كانوا يحملون ألقابا كريولية أو أوروبية راسخة فى الأرجنتين على مدى عقود) و الجرينجو gringos (الذين كانت ألقابهم غير معروفة) فى مجادلات الطليعة.

ويمكن النظر إلى هذا الإلحاح على الفروق الدقيقة والتنويعات فى اللغة الشفاهية على أنه جزء من جدال طويل حول اللغة فى الأرجنتين: السمات الخاصة للغة الإسبانية المنطوقة فى إقليم نهر پلاتى. ومن الجيل الرومانسى الأول من الكتاب فصاعدا، نجد دفاعا متواصلا عن حق المثقفين الأرجنتينيين فى تجديد اللغة ومكافحة أية دعاوى هيمنة من جانب اللغة الإسبانية كما تنطق فى إسبانيا. وتضاعفت هذه الثيمة للاستقلال اللغوي فى مارتن فييرو، وكذلك فى رومانتيكس *Romantics* (رومانسيات)، مع إعلان الحق فى "تلويث" اللغة الأدبية باللغات الأجنبية ذات النفوذ اجتماعيا وثقافيا. كما أن المثل الأعلى للغة ذات الطابع الغالييسى باعتبارها اللغة الوحيدة الممكنة للأرجنتينيين، وهو المثل الأعلى الذى دافع عنه سارميينتو، والمثل الأعلى للتعدد اللغوي polyglot فى القرن التاسع عشر، عاود الظهور فى ردّ لاذع من مارتن فييرو على

لاجائيتا ليتيراريا (الجريدة الأدبية) *La Gaceta Literaria* فى مدريد. وكانت لاجائيتا قد اقترحت أن تصير مدريد، لى تجرى مكافحة الخطر المفترض للتفتت اللغوى فى الإيسپانو - أمريكا، "خط السمى الثقافى" *Intellectual meridian* للمنطقة. وقد ازدرى بورخيس هذا الادعاء للنقاء اللغوى موضحا بصورة تهكمية أن "مدريد مدينة يتمثل اختراعها الوحيد فى الغاليسية *Galicism*، وعلى الأقل فإنه ليس هناك أى مكان يجرى فيه الحديث عنها كثيرا إلى هذا الحد". وكان قصد بورخيس هو أنه رغم أن الإسپان *Spaniards* اتهموا الأرجنتيين بأنهم يتكلمون لغة غاليسية *Galicized* مشوهة، إلا أن نقاءهم اللغوى كان علامة على البلادة: كانوا يتحدثون كثيرا جدا عن الخصائص الغاليسية *Galicisms*، غير أنه لم يكن لديهم ما يكفى من الفطنة أو الذكاء لاستخدام الغاليسية بصورة منتجة.

يجيب خطاب مارتن فييرو عن السؤال المتعلق بمن هم الناس الذين يمكن، بحكم علاقتهم "الطبيعية" باللغة أن يكونوا متعددى اللغات *polygot*. والأرجنتيين المتعدد اللغات شخص تمثل إسپانية نهر پلاتى لغته الأم: فقط على الأساس المتين لهذه الأصول يمكن بناء تعددية لغوية *polyglotism* مشروعة. ويمكن أن يقرأ المرء، وأن يترجم، وحتى أن يكتب، بالفرنسية أو الإنجليزية، غير أن نطقه للإسپانية يحسم كل شىء. فقط عبر الصوتيات، التى ينبغى بكلمات أوليبيريو خيروندو أن تكون طبيعية تماما مثل "ربط أحذيتنا"، يمكن أن يقامر المرء مع اللغة وأن يفوز بالسيطرة عليها.

وتمثل مسألة اللغة فصلا واحدا فى جدال ضخم - واستحواذى، بالنسبة للمثقفين الأرجنتينيين - حول التراث الثقافى. وفى أول استبيان أدبى نظمته مارتن فييرو، كان التعريف الذى أعطى "للقومى" هو أنه من كانت له "حساسية وعقلية أرجنتينية". كما أن مسألة النزعة القومية الثقافية، وتوسيعا: مسألة الكوزموپوليتانية، قسمت المجال الثقافى على أسس طبقية متميزة. ونادرا ما طرح الكتاب الاجتماعيون لمجموعة بويو المسألة؛ وعندما كانوا يفعلون فقد كان ذلك ليتهموا الطليعة بأنهم حقا *extranjera* (متبعون للنماذج الأجنبية بلا أدنى اعتراض). كذلك فقد قام أعضاء مارتن فييرو، معلنين أنهم ورثة هذه الهوية الثقافية "الطبيعية"، بردّ الحجة إلى بويو، متهمين إياهم بأنهم أجانب لغويا وثقافيا.

والحقيقة أنه يجب قراءة مسألة الكوزموبوليتانية كتعريف لمختلف المواقع في مجال ثقافى متنازع عليه: الكوزموبوليتانى هو دائما الآخر. وفى حالة طليعة العشرينيات، كان الكوزموبوليتانيون هم أولئك الذين يترجمون كتباً مختلفة عن الكتب التى يترجمها ويقرأها كتاب مارتن فييرو.

تراث الطليعة

فى العدد ٢٢ من مارتن فييرو ظهرت مذكرة بتوقيع أوليبيريو خيروندو مطالبة بأن تلقى حملة لإقامة تمثال تذكارى لخوسيه إيرنانديث "دعم كل فنان دون تمييز". وقد تبنى محررو المجلة هذا الاقتراح بحماس وقاموا بتوسيع الحجة عن طريق طرح الأسس الرئيسية لتراث كتاب "لديهم أعمق الجذور القومية وسوف يبحث أرجنتينيون المستقبل فى إنتاجهم، ويكتشفون روحهم وأصلهم". وقد جرت مناقشة الأسماء التى تؤلف هذا التراث فى مناسبات عديدة. (اقترح بورخيس، على سبيل المثال، إدواردو ويلدى Eduardo Wilde، وهو كاتب قصة قصيرة وسياسى من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر).

غير أن حلقة مهمة فى هذا التراث، الكريولية Creollismo، تبدو مركزه الأيديولوجى والجمالى. وهناك كريولية مشروعة وكريولية زائفة، وكريولية ضرورية وكريولية "مبالغ فيها"، زائدة عن الحاجة من وجهة نظر اللغة الأدبية أو الحبكة. ويتمثل تراث أرجنتيني قومى تقريبا فى أن تصوير الكريولية مركز نزاع وفى أن يتم دعم شكل من الكريولية دعما صريحا ضد شكل آخر. ويوجز سيرخيو بينييرو، فى عرض بيليوجرافى لكتاب بورخيس استقصاءات *Inquisiciones*،^(١٢) المسألة بالفاظ أشبه بالالفاظ التى استخدمها بورخيس ذاته بعد ذلك بأعوام: "أعتقد أن من الضرورى الرجوع إلى اللاسو (حبل بأشوطة) lasso، أو إلى الروديو (رعى الماشية) rodeo، أو إلى فحول الخيل stallions، وكأنما تتجلى فيها روح الجاوتشو". والسؤال الذى يسأله المارتنفييريستا هو: ماذا يمكن أن يضمن "طابعا محليا حقيقيا"، وتوسيعا: مَنْ الذى يمكن أن يكتب أدبا لا يجرى فيه النظر ببساطة إلى الكريولية على أنها مسرفة فى الوصف الحى picturesque أو حافلة باللون المحلى.

واعتقدت الطليعة أن بوسعها أن "تنقى" الكريولية من هذه التجاوزات و، مقتفية أثر بورخيس، تخرع فضاءً جديداً: كريولية حضرية وليست ريفية، كريولية موقعة في الحواف، وفي ضواحي المدينة، في الأحياء البعيدة عن وسط المدينة، بمنازلها وباحاتها الرحبة، ومحلاتها التجارية، وبالوجود الخاطف للـ كومپادريتو عند باب المنزل. وقد أوجز بورخيس هذا البرنامج الجمالي في نواوينه الشعرية الثلاثة^(١٣) وفي القصة القصيرة "الرجال حاربوا" Hombres peleáron، التي نشرتها مارتن فييرو في ١٩٢٧.

مبادئ مارتن فييرو الجمالية

على مدى أربعين سنة بعد نهاية لحظة المارتنفييريسستا، وافق بعض أعضاء المجموعة على أن المجلة قدمت فضاءً لطليعة انتقائية. "كانت مارتن فييرو نوعاً من كوكتيل الجيل الجديد، ولم يكن هناك مجال واسع للاختيار، وكانت كل الاتجاهات ممثلة، غير أن المزاج السائد كان مزاج التهجم السطحي". كان هذا رأي براندان كارافا Brandán Caraffa، الذي كان يحرر أيضاً مجلة إينيثيال. ويضيف مشارك آخر، هو إرنستو بالاثيو Ernesto Palacio المؤرخ القومي ومترجم فيرجينيا وولف Virginia Woolf: "كان الأمر على هذا النحو إلى أن انضم ريكاردو جوهرالديس وأوليبيريو خيروندو: كان شيئاً ملتبساً، بدون أهداف عديدة. وكان هذان الكاتبان هما اللذان جلبا معها خميرة التجديد الأدبي وجعلا البحث أكثر منهجية". وقد تذكر ليوبولدو ماريتشال أنه لم يكن هناك أي مبدأ جمالي موحد بل بالأحرى "رغبة في التجديد، وحاجة إلى تحديث أدبنا وفننا".

غير أن مختلف اتجاهات الثقافة الأرجنتينية كان لها عدو مشترك: كان لوجونيس وأذئاب الحدائث مرفوضين بالإجماع. والحقيقة أن نظريات الإبداع الأدبي poetics الحدائث كان قد تم في الواقع إقصاؤها إلى قاع الآداب الأرجنتينية من جانب المارتنفييريسستا. وفي بيان مجلة پريسما، الذي كتبه بورخيس في ١٩٢١، كان العدو الأدبي موصوفاً بأنه "الوشم الأزرق لروبن داريو"، وبأنه "قمامة زخرفية"، وبأنه "نزعة حكائية ثرثارة". كل هذا ضد أدب كان ثورياً عندما قام روبن داريو بتدشين الحركة في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

ويفسر الفقر النظري للمجلة السبب في أن النقد في مارتن فييرو كان دائما أكثر بدائية من النصوص الأدبية. لقد كانت مجلة شعراء، وفقا للمشاركين فيها أنفسهم، وقد أثبت بورخيس وماثيدونيو فيرنانديث وحدهما دون غيرهما أنه كان بوسع الطليعة أن تعبر عن نفسها نثرا. وقد ردد نقد الكتب المبادئ الجوهرية للطليعة - أن الجمهور يجب أخيرا أن يفهم ويقبل الفن الحديث، وأن عليه أن يطور ذوقه، وأن يقر بالقيم الصحيحة، وأن يتبنى "حساسية جديدة" - كل هذا في أسلوب ودي حماسي مميز للمجلات التي وجهت مارتن فييرو إليها السباب والشتائم.

غير أن المجلة نسبت ادعاء عنيدا واحدا وحيدا لنفسها: أنها وحدها كانت تمثل اليسار الجمالي في المجال الثقافي، والقطاع الأكثر ثورية في الأدب الأرجنتيني. والحقيقة أن هذه المكانة كان ينازع عليها كتاب اجتماعيون أعلنوا أنهم على يسار لكل ألوان الطيف السياسي، غير أن مارتن فييرو رفضتهم معتبرة إياهم رجعيين أدبيين، مرتبطين بجماعات أوروبية مثل مجلة كلارتيه Clarte، التي كان يديرها هنري باربوس Henri Barbusse، تلك الجماعات التي كانت توصف بأنها تقدم "أسوأ التجليات الأدبية للرجعية".

وكانت بويو توضع بحزم على اليمين الجمالي منذ اعتمادها برنامجا يتبنى المذهب الطبيعي naturalism، الذي كان قد صار إلى ما فوق المذهب الطبيعي ultra-naturalism في أكثر مظاهره فجاجة وانحطاطا، محاولا أن يثير لدى القارئ ليس مجرد الانفعال، بل الرعب والاشمئزاز. وقد استخدمت مارتن فييرو الحجة القائلة بأن مثل هذه الكتابة تنتمي إلى "مبدأ جمالي لإدارة محفوظات": صار المذهب الطبيعي، نتيجة لموضوعيته، فاقد الإحساس بصورة كلية، وعلى النقيض فإن الأدب الجديد "كان عليه أن يخرج أحشاء دُمى المذهب الطبيعي، وأن يفتش في مصائر كل تلك الشخصيات التي يقدمها لنا كتاب المذهب الطبيعي بمثل هذه السطحية". ويقابل الأدب الجديد "نسخا جماليا" ب "جمالية الحساسية". غير أن المجلة لم تقدم أي نقد أو برنامج نصي يمكن حقا اعتباره بديلا راديكاليا. وفي مواجهة أدب المذهب ما فوق الطبيعي قدمت مارتن فييرو نصا استثنائيا واحدا فقط، "قصة بوليسية" Lyenda policial لخورخي لويس بورخيس، وهو نص - أصلي proto-text لقصته "رجل الناصية الوردية" Hombre de la esquina rosada .

أبطال معتدلون

كان بطل الطبيعة الأرجنتينية إسبانيا Spaniard : الكاتب ال أولترايسستا رامون جوميث دي لا سيرنا Ramón Gómez de la Serna . وكان الجريجيريا greguería ، وهو نوع من الأقوال الماثورة أو جوامع الكلم يقوم على الاستعارة، وكان من ابتكاره، يجرى استعماله بصورة منتجة من جانب المارتيفيريستا، وقد لقي جوميث دي لا سيرنا التشجيع من جانب الشعراء الرئيسيين للمجلة، بورخيس وأولبيرو خيروندو. وفي العدد ١٤، نشر بورخيس مقالا بعنوان "رامون وپومبو" (*) قارن فيه جوميث دي لا سيرنا بنصوص مختلفة ومؤلفين مختلفين. أولا، بواليت ويطمان: "عند ويطمان، كما عند جوميث دي لا سيرنا، نرى كل الحياة. لقد عبر ويطمان أيضا عن عرفان هائل للحجم، والطبيعة الملموسة، والألوان المتباينة للأشياء. غير أن عرفان والت كان يقنع بتعداده للأشياء التي تؤلف العالم، في حين أن عرفان الإسباني يجرى التعبير عنه في مجموعة من التعليقات المرحية والحماسية على الطابع الفريد لكل شيء". ومما له دلالة أن بورخيس هو الذي عقد هذه المقارنة: إنه في الحقيقة يقترح طريقته الخاصة في القراءة. وفي رأي بورخيس فإن جوميث دي لا سيرنا غير كاف، وإن كان جديرا بالإعجاب ككاتب، إلى أن يؤخذ إلى خارج سياقه ويوضع في شبكة عمل جديدة من القراءات التي تشمل ويطمان ولكن أيضا لا ثيليستينا La Celestina، و [فرانسوا] رابليه [François] Rabelais، و تشريح الكآبة Anatomy of Melancholy ل [روبرت] بيرتون [Robert] Burton . كما قدم بورخيس القراءات الأكثر تعقيدا لكتاب أوروبيين، في مجلة نشرت كما هو متوقع في الحقيقة [جيوم] أبولينير [Guillaume] Apollinaire، و [بول] فاليري [Paul] Valéry، و [فاليري] لاربو [Valéry] Larbaud، و [جول] سبيرفيل [Jules] Super-vielle، و [جان] جيرودو [Jean] Giraudoux .

(*) كان پومبو Pombo من أسماء تدليل جوميث دي لاسيرنا .

والحقيقة أن سمة مهمة لمجلة مارتن فييرو تمثلت فى إهمالها لحركات الطليعة الأوروبية الأكثر راديكالية. وقد ترجموا پول إيلوار Paul Eluard للمرة الأولى عندما كانت المجلة توشك على الإغلاق، فى ١٩٢٨ . أما السوربالية، التى صدر بيانها الأول فى نفس العام الذى تأسست فيه مارتن فييرو، فلم تلق سوى إشارة موجزة فى ملاحظات قليلة وفى مقال مكثف جدا حول [فيليب] سوبو [Philippe] Soupault . وجنبا إلى جنب مع الـ أولترايسمو وجوميث دى لا سيرنا، كان القائد الحقيقى للطليعة، إذا حكمنا بالمساحة الممنوحة له فى المجلة، هو [فيليبو توماسو] مارينيتى [Fi-ippo Tomaso] Marinetti، الذى كان يُحتفى به باعتباره "رجل عمل وفكر عظيمًا". ولم يشارك بورخيس مطلقا فى هذا الرأى.

كما أن الطبيعة المعتدلة للطليعة الأرجنتينية مسئولة عن هذه المواقف. ذلك أن حواجز أيديولوجية قد منعتها من اكتساب طابع راديكالى وفرضت العديد من الأفكار الثابتة Idées fixes التى كانت معتدلة بصورة مماثلة. وفى المقام الأول، رفضت هذه الطليعة أى شكل من أشكال العدمية nihilism . وقد جرى تقديم معارضة العدمية بطرق مختلفة فى نصوص أساسية عديدة. غير أنه "كان لا معنى للانضمام إلى صفوف دعاة تحطيم المؤسسات التقليدية". وعلى هذا النحو، كان على الأدباء الشباب، فيما كانوا يؤكدون، أن يسعوا إلى إزاحة الأجيال السابقة غير أنه كان عليهم واجب أن يذهبوا "المثل العليا الجديدة" مكانها. ثانيا، كانت هذه الطليعة مهتمة بإرساء أسس جينايولوجيا قومية فى مجال الثقافة، وهى أجندة سمحت لهم بأن يهاجموا بشراسة بعض الحداثيين، غير أنها أجزتهم على قبول فكرة الاستمرارية الثقافية. وأخيرا، قاد هذا الموقف المعتدل إلى أن يعبر نقدهم للنفور اللفظ وغير المستنير من الثقافة الرفيعة لدى البرجوازية عن نواح جمالية على وجه الحصر: إنهم لم يمسوا الجلافة الأخلاقية، والنفاق الاجتماعى، والقمع الجنىسى والأخلاقى والأيدىولوجى لمجتمعهم. كما كان من الواضح أن هذا الموقف الممتثل bien- pensant مرتبط بالحدود الأيدىولوجية للمجتمع الأرجنتينى ومكانة النخبة الثقافية داخل ذلك المجتمع. وكانت مارتن فييرو طليعة متواضعة الراديكالية لأنها لم تتبن موقفا راديكاليا فيما يتعلق بالمؤسسات الاجتماعية والعادات والأعراف، والحقيقة أن برنامجها - الذى كان يتمثل فى خلق بيئة أدبية وتطوير الحساسية - لم يؤثر فى شروط وجود المثقف ذاتها.

ونرى هذا الاعتدال في قراءاتهم للطليعات الأوروبية وفي النسق الذي أنشأوه من هذه القراءات. وهناك إغراء بأن نقارن هذه القراءة بالقراءة التي قام بها في نفس الأعوام الماركسي البيروفي خوسيه كارلوس مارياتيغي José Carlos Mariátegui . وإذا كان مارييتي وجوميث دي لا سيرنا هما بطلا الطليعة الأرجنتينية، فقد اعتقد مارياتيغي أن المستقبلية هي "الطليعة المزعومة التي كانت مشبعة بعناصر محافظة وأقاليمية". أما السورالية، التي تجاهلتها مارتن فييرو عمليا، كما رأينا منذ قليل، فقد نظر إليها مارياتيغي على أنها الطليعة الحقيقية بلا منازع par excellence، المساوية واليائسة في آن معا. وعلى هذا فإن الأرجنتينيين شاركوا ال أولترايسمو الإسبانية عدم ثقتها بالحركات الطليعية التاريخية وابتعادها عنها.

التركيب والتوترات

غير أنه إنما في مارتن فييرو جرى تطوير صيغة أدبية، جمعت بطريقتها الخاصة بين العناصر، وكانت متميزة من ال أولترايسمو حتى وإن كانت قد عكست بعض مظاهر تلك الحركة. وقد جرى التعبير عن هذه الصيغة في نصوص بورخيس، غير أننا يمكن أن نقرأها عند خيروندو، ويمكن أن نجد بعض آثارها في بعض المقالات الرئيسية التي نشرت بدون توقيع. وهنا جرى انصهار بين ميراثين: ميراث جوميث دي لا سيرنا وميراث إيباريسكو كارييجو (الشاعر الشعبي، المحلي، المغمو، الذي سوف يخصص بورخيس له كتابا في وقت لاحق). ويمكن أن نجد هذا الانصهار حتى في التقريظات التي كانت توجهها مارتن فييرو لبعض الكتاب. ويقدم العدد ١٧ تقریظا لكارييجو، والعدد ١٩ تقریظا لجوميث دي لا سيرنا. وفي مقاله "حول وصول رامون" Concerning Ramón's Arrival، يصور بورخيس هذا التركيب.

اكتشف كارييجو الكونبيتتيو conventillos . وبارتولوميه جالينديث Bar-tolomé Galindez الروسداد el Rosedad، واكتشفت أنا نواصى شوارع باليرمو عند الغروب. و لانوثا، كل الطيور... غير أن أمريكا كلها لا يزال ينبغي اكتشافها، والمكتشف الآن هو رامون.... وسوف نعرف كل شيء من

خلاله. من خلاله سوف نعرف أن الصليب الجنوبي Southern Cross العظيم ليس أكثر من بقعة فقيرة للباريو [الضواحي barrios] (سوف يخبرك بالمعجزة التي ستكون قد رأتها حبيبك لأن لها مثل هاتين العينين الجميلتين) ومن خلاله سوف نعرف أن إيبوليتو يريجوين Hipólito Yri-goyen سوف يصير رئيسا للجمهورية مرة أخرى لأنه منشغل ليس فقط بناس بوينوس آيرس بل أيضا بأشائها. كل هذا وأكثر منه سوف يكشفه لنا رامون؛ رامون ذو العينين المشعتين والمستبدتين اللتين لا يمكن مقارنتهما إلا بعيني ذلك الفاتح الآخر لأمريكا هذه: دون خوان مانويل دي روساس don Juan Manuel de Rosas .

وبصورة مماثلة نجد، في عرض كتبه بورخيس لـ كالكومانياس Calcomanías (*) (أوليبيريو خيروندو، هذين المؤثرين يأتيان معا مرة أخرى، واليوم يمكن أن نرى أن هذا كان يمثل الإسهام الحقيقي للطليعة في الأدب الأرجنتيني. ويرجع واقع أن بورخيس طرح هذه المقدمة بصورة أكثر منهجية من الباقين إلى كثافة نظام قراءاته. الـ أولترايسمو ووالد ويتمان، ولكن أيضا الأب جورج بيركلي و ألف ليلة وليلة؛ هذه هي النقاط المرجعية التي تبتعد به جزئيا، ولكن ليس تماما، عن النسق المؤلف للطليعة. وتتمثل نقاط أخرى في اكتشافه ماثيودونيو فيرنانديث وإبداعه الأدبي المبكر لأساطير أرجنتينية.

غير أن التعايش في مارتن فييرو بين عناصر من مختلف الأصول يكشف أيضا عن توتر يشوه الكثير من نصوصها. ويمكن أيضا أن نرى هذا التوتر بين المساهمين في المجلة؛ على جانب كان المحررون، وبصورة خاصة إيبير مينديث، في حين كان على الجانب الآخر بورخيس، و أوليبيريو خيروندو، و ماثيودونيو فيرنانديث. وكان خطاب المارتنفيريستا غير متجانس، وكان يقوم على مجموعة من التعارضات والتذبذبات التي

(*) = Decalcomania بالإنجليزية : فن نقل الرسوم إلى الزجاج والخشب ، إلخ . (المترجم)

لم يتم حلها مطلقاً. ويربط أحد التوترات اسم المجلة، بطل في الشعر الجاوتشي التقليدي، ببرنامج للتجديد الجمالي: النزعة القومية الثقافية والطليعة. ويمكن أن تكون الاقتراحات غير المتجانسة التي تُولف هذا البرنامج قد أعطت المجلة أصالتها، غير أن هذه الاقتراحات أوجدت أيضاً سلسلة من التناقضات غير القابلة للحل. ومن جهة كان هناك الموضوع القومي، مارتن فييرو الجاوتشي، ومن جهة أخرى المبادئ والأسس الجوهرية الأوروبية والكوزموبوليتانية للتجديد الثقافي. ومن الصحيح دون شك أن جزءاً من عمل بورخيس كان ينصبّ على حل هذه التناقضات، وفي نهاية المطاف تغلب بورخيس على هذه التوترات الماثلة في مارتن فييرو عن طريق إنتاج مجموع من الإنتاج الذي يمكن تعريفه بأنه "الكرىولية الحضرية الطليعية".

تأكيد "الجديد" بالاقتران مع انتماء إلى تراث ثقافي قائم؛ وحملة من أجل ما هو "أرجنتيني كسمة مميزة"، بالاقتران مع وجهة نظر كوزموبوليتانية؛ هذان هما العنصران اللذان يؤلفان المزيج الأيديولوجي - الجمالي للطليعة في عشرينيات القرن العشرين. ويمكن تقريباً النظر إلى التوتر بين الكرىولية والحدائثة أو بين النزعة القومية والكوزموبوليتانية على أنه أحد الثوابت في الثقافة الأرجنتينية في القرن العشرين. وكانت كل المجادلات الكبرى منظمة حول هذه التوترات ولا يزال من الممكن أن نجد هذه التناقضات في النصوص الرئيسية للأدب المعاصر.

الهوامش

- (١) نشرت مجلة پريسما عديدين، فى ديسمبر ١٩٢١، ومارس ١٩٢٢ وقد اتخذت المجلة شكل ملصق " بوستر" كان يُعرض على جدران بوينوس آيرس، وكانت تشتمل على قصائد ليورخيس. وظهرت مجلة پروا، التى كان من بين محرريها بورخيس وريكاردو جويرالديس بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٦ (الأعداد من ١ إلى ١٥ ، ونشرت مجلة مارتن فييرو، أكثر مجلات الطليعة نجاحا وأيضا أكثرها عدم ثبات، خمسة وأربعين عددا بين فبراير ١٩٢٤ و نوفمبر ١٩٢١) .
- (٢) كان "جيل الثينتيناريو Centenario (المئوية) "جماعة من الكتاب الذين جاؤا إلى الصدارة نحو ١٩١٠، مئوية استقلال الأرجنتين عن التاج الإسباني. ومن بين هؤلاء كان كاتب المقالات ريكاردو روخاس، الذى كتب أول تاريخ للأدب الأرجنتيني، وأعضاء مجلة نوسوتروس، الذين ساعدوا فى تحديث المجال الثقافى.
- (٣) وصفت مجلة نوسوتروس، التى أسسها فى ١٩٠٧ روبرتو خيوستى وألفريدو بياتتشى، نفسها بأنها "مطبوعة شهرية للأدب والفنون والتاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية". وقد نشرت ثلاثمائة عدد، ظهر العدد الأخير منها فى ديسمبر ١٩٢٤ .
- (٤) قاد الحركة ال أولترايسستا فى إسبانيا، منذ عشرينيات القرن العشرين، رامون جوميث دى لا سيرنا. وقد أكد برنامجها الصورة image باعتبارها العنصر الأساسى فى الشعر، وإلغاء الصلات المنطقية والنحوية، وإيجاز القصيدة كبرهان شكلى على تكثيف المعنى . وقد نظم رامون جوميث دى لا سيرنا نوعا خاصا من جوامع الكلم أو الأقوال الماثورة الفكاهية، يسمى جريجيريا greguería ، نقل هذه المبادئ إلى النثر.
- (٥) ليوبولدو لوجونيس (١٨٧٤-١٩٢٨) أعظم شاعر هدائي أرجنتيني. وقد أحس بورخيس وكتاب الطليعة بأنهم مجبرون على الجدل مع لوجونيس حول الأمور الشعرية والجمالية وطرحوا للنقاش تأثيره المسيطر فى تلك الفترة. ومن المهم أن نتذكر أن الهدائية، فى أمريكا اللاتينية، حركة جرت فى أواخر القرن التاسع عشر، مستلهمة البارناسية Pamassianism والرمزية الفرنسية. حول ليوبولدو لوجونيس والهدائية فى الأرجنتين، انظر الفصل الثالث.
- (٦) قدم أوليبيرو خيروندو (١٨٩١-١٩٦٧) إسهاماته إلى كل مجلات الطليعة الأرجنتينية. وقد تناول شعره، الذى كان مختلفا جدا عن شعر بورخيس، بصورة مباشرة، ثيمات مستمدة من المدينة الحديثة والتغيرات فى العادات والحياة اليومية. وفى ١٩٢٥، نشر ديوانى شعر: عشرون قصيدة للقراءة فى الترام Veinte

كبيراً، مختلطاً بفضيحة. *poemas para ser leídos en el tranvía* و *Calcomanías* اللذين لقياً نجاحاً كبيراً، مختلطاً بفضيحة.

(٧) كان ليوبولدو ماريتشال (١٩٠٠ - ١٩٧٠) شاعراً وروائياً. وفي روايته *Adán Buenosayres*، المنشورة في ١٩٤٨، سخر ماريتشال من كتاب العشرينيات والثلاثينيات بما فيهم بورخيس.

(٨) كان ماثيونيرو فيرناندس (١٨٧٤ - ١٩٥٢) هو العجوز الكبير *grand vieux* للطلبة للأرجنتين. وحتى العشرينيات، كان ماثيونيرو، كما كان معروفاً، كاتباً هامشياً ومغموراً، غير أن كُتبه الأصلية للغاية بدأ يجرى نشرها بعد ذلك جنباً إلى جنب مع كتب الكتاب الأكبر سناً. ويمزج إنتاجه، المفكك الشكل والغريب حقاً، القصة والمقالات والشعر دون أي مراعاة للحدود التقليدية بين الأنواع الأدبية. وولاء بورخيس لـ ماثيونيرو معروف جداً.

(٩) شارك ريكاردو جويزالديس (١٨٨٦ - ١٩٢٦) مع بورخيس في تأسيس مجلة *هيرا* وكان في صدارة التحديث الجمالي منذ ما قبل ١٩٢٠. وفي كُتبه المبكرة حاول التغلب على جماليات الحداثة ولوجونيس. ويمثل عمله الأشهر، *بون سيغونو سومبرا*، رواية تكوين شخصية *Bildungsroman* كرواية مكتوبة من وجهة نظر الحركات الأدبية الجديدة. وقد عوضه نجاحها الفوري عن سنوات النبذ الثقافي.

(١٠) ضمت هذه المجموعة أعمالاً لـ [ماكسيم] جوركي [Maxim] Gorky، و [ليونيد نيكولايفيتش] أندرييف [Leonid Nikolayevich] Andreyev، و [تولستوي]، و [ف. إ.] لينين [V. I.] Lenin، و [نيكولاي إيفانوفيتش] بوخارين [Nikolai Ivanovich] Bukharin.

(١١) منشور في بوينوس آيرس في ١٩٢٥.

(١٢) كتاب يضم مقالات منشورة في بوينوس آيرس في ١٩٢٥.

(١٣) *Fervor de Buenos Aires* (1925), *Cuaderno San Martín* (1929)

الفصل الثامن

اليوتوبيا والطبيعة

الجديد كأساس

"الاشتياق العذب" لا يبهج أرواحنا ونحب أن نرى كل الأشياء في أول إزهار لها. وأثناء التجوال عبر هذه الليلة الفريدة المتألقة، بآلهتها الرائعة التي هي انعكاسات سامية للأنوار الذهبية، مثل جان سليمان، الحبس في مقام زجاجية، نحب أن نحس بأن كل شيء في الليل جديد وأن ذلك القمر الذي يطلع الآن خلف مبنى أزرق ليس الساحة الدائرية التي أدى عليها الموتى تمارين بلاغية كثيرة جدا، بل قمر جديد، عذرى، جديد كالفجر.

بورخيس

"على هامش المبدأ الجمالي الحديث"

رغم أسلوبه المميز لنهاية القرن fin-de-siècle (التاسع عشر)، يعبر هذا الإعلان الغريب لبورخيس، المنشور في المجلة الإسبانية جريثيا Grecia في ١٩٢٠، عن شيء من روح التجديد الذي سرعان ما سوف ينعكس في مجلات باريس، وبرا، ومارتن فييرو. وإذا كانت كل حركة أدبية تتطور في علاقة مع سياق جمالي وأيديولوجي يضيف عليها الشرعية (على سبيل المثال، عبر التراث، القومية، ما هو اجتماعي، مفهوم الجمال كقوة مستقلة ذاتيا)، فقد جعل الكتاب الشباب من "الجديد" الأساس لأدبهم وللآراء التي كونوها عن سبقوهم وعن معاصريهم.

وكان روح "الجديد" مركز الأيديولوجية الأدبية، كما أنه حدد الحالة الجمالية، للطليعة الأرجنتينية. والحقيقة أن هذه الرغبة في أن تُرى مختلفة قد أبعدتها، كما رأينا من قبل، ليس فقط عن ليوبولدو لوجونيس والحداثة، أو عن الواقعية، بل أيضا عن هيكل وتنظيم المؤسسات الفكرية في بداية العشرينيات. وعندما عاد بورخيس إلى بوينوس آيرس، وعندما نشر خيروندو عشرون قصيدة للقراءة في الترام *Veinte poemas para ser leídos en el tranvía*، يمكن تلخيص حالة المجال الثقافي في يأس جويرالديس، الذي تجاهل النقاد تماما كتبه، التي تقوم على جماليات رمزية. وقد نظرت النخبة الاجتماعية (التي كان ينتمى إليها جويرالديس) إلى إنتاجه على أنه بالغ التعميق وينقصه الذوق الراقى. وتبين نظرة سريعة في لا فاشيون، الصحيفة اليومية الأكثر أهمية في تلك الفترة، أن عمليات التحديث الثقافي، وبصورة خاصة في الأرجنتين، لا تلقى سوى ذكر ضئيل على صفحاتها. ولا يمكن النظر إلى الإشارات إلى الكتب وإلى الفن، والتي تظهر بصورة متواترة، على أنها خطاب نقدي متماسك. إنها، بدلا من هذا، ملاحظات تمهيدية قصيرة تتضمن استشهادات أو قصائد كاملة من الكتب التي تجرى مناقشتها؛ تقارير *comptes-rendus* عن المعارض التي تقام في بوينوس آيرس؛ وتعليقات على الثقافة المحلية أو الأوروبية المعاصرة، مع الإبراز على وجه التحديد لأولئك الكتاب والجماعات الذين ازدرتهم الطليعة. وإنما في قسم السينما نجد بعض التعليقات التي تدل على وعى بالتجديد الثقافي (إشارات إلى [د. و.] جريفيث [D. W.] Griffith و [ج. و.] پابست [G. W.] Pabst، مقالات عن تصميم مواقع التصوير السينمائي أو عن العلاقة بين السينما والسياسة). ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن الإشارات المتعلقة بالمسرح الأجنبي، التي كان يكتبها بصورة رئيسية [أ. ف.] لوجنى - پو [A. F.] Lugne-Poe و زاكونى Zacconi. وهذه المعلومات المفككة للغاية مسجلة على الموجة الطويلة، التي يمكن أن تلتقط أصواتا جديدة قليلة جدا من أوروبا.

بعد ذلك بعشرة أعوام، وصف نيسطور إيبارا Nestor Ibarra، وهو رفيق سفر للكتاب الشبان، هذه الفترة المبكرة:

عاد خورخى لويس بورخيس إلى بلده في ١٩٢١. فماذا يمكن أن أقول عن حالة الشعر في ذلك الحين؟ لاشيء كان يمكن أن يكون أكثر حيادية

أو بلادة، لاشيء كان يمكن أن يكون أقرب إلى الانحطاط والموت. كان لوجونيس العظيم قد أعطى بالفعل، قبل ذلك باثني عشر عاما، أفضل إنتاجه. وقدم إنريكي بانتشس Enrique Banchs في ١٩١١ كلمته الأخيرة تقريبا في *La urna*، الذي يشتمل على بعض أقوى السونيتات في لغتنا: تجديدية في موضوعاتها وأبدية في حساسيتها. وكان قد تم نسخ وتخفيف كارييجو مرات عديدة؛ وكان الاسم الأشهر هو اسم الشاعر السينثيستا sencillista (*) الغزير الإنتاج والثانوى [ثيسار] فيرنانديث مورينو [cé-sar] Fernández Moreno. غير أن هذه القيم كان يجرى إما قبولها وإما تجاهلها، فلم تكن تبحث أو تناقش مطلقا تقريبا؛ وكان الشعر والفن والأدب بوجه عام المظهر الأكثر إملالا وعرضية لحياة البلد. (١).

وقد وصف إيبارا، وهو قارئ ذكى لبورخيس وناقد معتدل لك أولترايسمو، المشكلات التي يواجهها ما سماه "الحديث" the modern في المجال الثقافي الأرجنتيني. ويتفق تفسيره مع تعليقات هارتن فييرو على المؤسسات الثقافية، ونظام الجوائز الأدبية، والمسرح التجارى، والنقد فى الصحف. وقد شمل الإحساس بالسخط مجالات عديدة: صدارة الكتاب الذين كانوا قد وصلوا إلى نهاية قدراتهم الإبداعية قرب فترة الثينتيناريو (الثنوية)؛ وقصر النظر لدى النقاد الذين كانوا غير مرحبين بالاتجاهات الجديدة؛ وانتقائية المجالات الثقافية، وفى المحل الأول نوسوتروس؛ الطريقة التى كانت المؤسسات الثقافية منظمه بها؛ وعادات القراءة وتفضيلات الجمهور.

جرى التعبير عن روح التجديد هذا عبر سلسلة من الشكاوى والاحتجاجات. وقد هاجم الكتاب الشباب المواقع التى شغلها كبار الكتاب عند منطف القرن، ونظريات الإبداع الأدبى التى دافعوا عنها، والسلطة التى أنيطت بهم. كما هاجموا أسلوب

(*) يشير تعبير sencillista و sencillismo إلى الشعر الذى حاول أن يتشبث بنغمة لغة الحديث وأن يعمل على الموضوعات اليومية فى مقابل غرائبية الحداثة.

المجلات والصحف اليومية التي كانت تشكل أذواق جمهور القراء. ويتفق السياق الجمالي الذي وصفه إيبارا مع الربع الأول من القرن العشرين. وفي معارضة لهذا الموقف نشأت حركة أدبية منتشرة إلى حد ما ولكن قوية بصورة كافية وقد أدت هذه الحركة إلى تغيير مهم في إطار العمل المؤسسي، بما في ذلك الصحف اليومية الرئيسية.

وكان من الضروري إحداث قطيعة مع انتقائية مجلة نوسوتروس، التي ظلت تصدر بصورة متواصلة على مدى نحو عشرين عاما، ومع لا ناثيون. وقد حل التعصب والروح العدوانية محل التسامح والتآلف اللذين ظلّا يميزان العلاقة بين المثقفين إلى ذلك الحين. وأحدثت رياح التغيير انقسامات وسجلات: كان هذا أسلوب الطليعة الذي ميزها باعتبارها مختلفة بجلاء عن نوسوتروس. وكان كل الفاعلين في المجال الثقافي مرغمين على اتخاذ مواقف جديدة، لأن هيمنتهم كانت تطرح بجدية للنقاش ولأن البروز المتنامي لكتاب الطليعة هددت بالإطاحة بالنظام القائم: لقد انتهى "الجديد" إلى الإقران بنظام الهيراركيات الثقافية. وفي ١٩٣٠، كان بوسع إيبارا أن يبرز مارتن فييرو باعتبارها القوة الدافعة وراء هذه الحركة.

نتيجة للنشاط الذي لا ينقطع والفوضى، والجسارة والاستقلال، بدون أي نظام وبدون أي رصانة، سوف تبقى مارتن فييرو إلى الأبد شاهدا على فترة أدبية عظيمة في الأرجنتين.... وبفضل مارتن فييرو، يتمتع الأدب باستقلال ذاتي أكبر، ويحظى باحترام أعلى، ويعمل في مجال أقل جحودا عن ذي قبل (٢).

وعندما يتحدث المعاصرون عن ال مارتنتفيريسمو (المارتنتفيرية) Martinfierismo فإنهم يشيرون إلى مجموعة من مجلات الفترة، تمثلها مارتن فييرو أفضل تمثيل، حيث قدمت تلك المجلة التعبير الأكمل عن القطيعة التي أحدثتها الطليعة. غير أن إيبارا يذهب إلى ما هو أبعد، مؤكدا أن مارتن فييرو أكملت عملية جعل المجال الجمالي مستقلا ذاتيا، وهذه العملية مشروع بدأ مع الحداثة، غير أنه لم ينته في أعوام الجدالات القومية الثقافية الأولى، حوالي ١٩١٠. ومن المثير أن نلاحظ ما هي القيم التي تشكل أساس

هذه العملية من الاستقلال الذاتى المتزايد. وقد دافعت الطبيعة عن الاستقلال الذاتى ليس فقط باسم الجمال بل بصورة أخص باسم "الجديد": استطاع "الجديد" أن يحسم مسألة الشرعية. والحقيقة أنه لم يكن جزءاً ثانوياً من برنامجهم، بل كان مبدأه المنظم. ولأن "الجديد" كان عنيداً، أكدت الطبيعة موقفاً متطرفاً.

وكان مفهوم "الجديد" كافياً فى حد ذاته لرسم خطوط القتال فى المجال الفكرى، غير أنه لم يكن الجانب الوحيد لبرنامج الطبيعة. وكما رأينا فى الفصل السابق، فإن المحتوى القومى - الكريولى للطبيعة واعتدالها الأخلاقى كانا يميزانها عن الحركات المعاصرة الأخرى فى أمريكا اللاتينية. غير أن النزعة القومية، فى هذه الفترة، كان يتم تنقيتها عبر عدسة "الجديد". وفى كثير من الأحيان يناقش يورخيس طبيعة الكريولية المقبولة وغير المقبولة، والطريقة التى تكون بها أشكال بعينها، فى تشبثها باللون المحلى، منتجات للماضى، فى حين تعتبر أشكال أخرى، فى رفضها لمثل هذه "المحلية"، ابتكارات شكلية - جمالية تجد أساسها فى "الجديد". ذلك أن الكريولية الحسنة والسيئة يمكن التمييز بينهما وفقاً لقيم جمالية.

و"الجديد" أيضاً حكم بشأن الجمهور الذى قسمته الطبيعة عن قصد، على العكس من مجلات مثل نوسوتروس التى كانت تسعى دائماً إلى تحقيق تجانس ووحدة جمهور القراء. وقد أهانت مارتى فيرو الجمهور "الخرتيتى" و"المحترم"، محددين لأنفسهم حيزاً خاصاً بهم وحدهم بعيداً عن نوسوتروس المجلة الجامعة. وقد نشرت مجلة الشعر Poesía رسالة من ماثيودونيو فيرنانديث إلى المحرر، تطرح مبدأ جمالياً للسلب (النفى)، كان مناوئاً للمتعة ومناوئاً - بالتوسيع - لجمهور القراء:

لهذا السبب فإننى أطلق اسم "المطبخى" culinary على أى فن يستخدم صوراً حسية فى سبيل مجرد المتعة ذاتها وليس كوسيلة نحو التعبير عن عواطف بعينها. وعلى هذا فإن كل نظم للشعر إنما هو مطبخى فى إيقاعه، وفى هارمونيته، وفى المحاكاة الصوتية فى ألفاظه onomatopoeia، وفى الطبيعة الصوتية لكلماته وإيقاع نبراته (٣).

ويعرض ماثيدونيو فيرنانديث بوضوح تلك العناصر من برنامج الطليعة التي سوف تقضى إلى تفتيت الجمهور. وفي حين أن الحداثة وحركة الرمزيين المنحطين dec-adent استخدمتا بشدة ما هو حسي فقد سعت الطليعة إلى تدميره. وحيثما سعت الحداثة إلى زيادة جمهور القراء، قامت الطليعة عن عمد بتضييق المجال ونظرت إلى قابلية الفهم على أنها قيمة سلبية. وقد أثرت هذه الإستراتيجيات الجمالية على الإنتاج الأدبي وأيضاً على تلقى القراء وتوقعاتهم.

وفي نص طويل ظهر كمقدمة لديوانه الشعري البساطة *Simplismo* (= مذهب البساطة) ، طرح ألبرتو إيدالجو Alberto Idalgo ، وهو شاعر بيروفي لعب دوراً فعالاً في مصادمات الطليعة الأرجنتينية، عدداً من طرق الكتابة التي تفترض مسبقاً (أو تتطلب) جمهوراً مستعداً للانشغال بمسائل معقدة تماماً، في تناقض ملحوظ مع "عقوبة" قراءة الأعمال الحداثية modernista وما بعد الحداثية postmodernista . وقد طور إيدالجو نظريات إبداع أدبي poetics لل "وقفات" pauses، مع عنصر إرشادي قوي، حيث تحدد هذه الوقفات معنى القصيدة حتى أكثر من الكلمات ذاتها.

في البساطة simplismo، تكون للوقفات أهمية غير متوقعة. فالوقفات تغدو شيئاً أشبه بالاستراحات ولا يمكن أن يستغنى المرء عنها في القراءة إن شاء أن يعاني بصورة كاملة اللحظة الشعرية التي تتدفق من كل بيت شعر مستقلاً عن الانسجام الهارموني الكلي للقصيدة. فالوقفة ليست وسيلة طباعية بل هي بالأحرى حالة سيكولوجية. وهي في بعض الأحيان أهم من بيت الشعر الذي يسبقه (٤) .

ولنتصور هذا الجمهور الذي يجري تحذيره بأن يبقى بعيداً عن الكتاب لأنه لا يحتوي على إثارات رخيصة؛ والذي يجري اعتبار أذواقه جزءاً من المطبخ، وهذا بُعد ضد - فنى من أبعاد الأدب؛ والذي يُطلب منه أن يسخر من لوجونيس، كما يفعل بورخيس باللعبة في مناسبات عديدة؛ والذي يقال له كيف يقرأ، ويقال له إن المساحات البيضاء (الفارغة) على صفحة أكثر أهمية من الكلمات: إننا نتعامل، بطبيعة الحال، مع

جمهور في المستقبل، جمهور كان لا يزال ينبغي بناؤه عن طريق إحدى أنجح عمليات الثقافة الأرجنتينية في القرن العشرين.

وبهذا المعنى، كانت الطليعة راديكالية ومتفائلة. فهي لم تشاطر الأمانى الاجتماعية لكتاب النزعة الإنسانية الخيرية أو لكتاب اليسار؛ وكان تفاؤلها يقوم على ما أسماه [ت. ف.] أدورنو [T. W.] Adorno "المحتم تاريخياً". وكان اليسار يتطلع إلى جمهور كان لا يزال يتعين تعليمه، أو كان يبشر بجمهور كان يمكن أن يصيروا من القراء عبر تطورهم الاجتماعي الخاص. ويؤكد راؤول جوثاليت تونيون أنه: "إذا كان العمال لا يستطيعون بعد أن يقرأونا، فهناك المثقفون، والفنانون، والصحفيون، والمصورون، والمعلمون، والطلبة، الذين يرغبون في تحويل المجتمع".^(٥) وكان كلا هذين الموقفين محاولتين لإرساء الأسس الفكرية اليسارية. وقد شاركت الطليعة الرغبة في معارضة غير المستنيرين (وهو تعبير استخدمته مارتن فييرو في كثير من الأحيان)، والمتحذلقين pomplers، والتراثيين الذين كانوا لا يريدون أى فن لا يفيض بالمشاعر. غير أنه كان يحدوها الأمل في ظهور قراء جدد يشاركون في خيال كتابهم المختارين. ولم تكن طليعة العشرينيات مهتمة بالبيداجوجيا: بدلا من التعليم، وكانت تسعى إلى أن تبرهن، وأن تصدر إعلانات، وأن تحرض.

وبالنسبة للطليعة، كان "الجديد" يكمن في الحاضر؛ وبالنسبة لليसार، كان "الجديد" وعدا للمستقبل. وعلى هذا فإن نسقي القيم لديهما كانا مختلفين: في حين اعتقد اليسار أن التحولات الاجتماعية أو الثورة الاجتماعية تمثل الأعمدة الرئيسية لممارستهم الفنية، اعتبرت الطليعة أنها تجسد قيما جديدة يمكنها أن تحددها وتنفذها. وقد عمل اليسار البيداجوجي على الرؤية الطويلة، في حين وضع اليسار الراديكالي نفسه في مدار الدورة الثورية. أما الطليعة فكانت يوتوبيا قامت بتحويل العلاقات الجمالية القائمة: طرحت التأسيس المستنير والفوري "للجديد".

والحقيقة أن هذا يفسر السبب وراء أن الطليعة كانت منخرطة بكل ذلك النشاط في تحويل السياق الثقافي، والسبب وراء أن تكتيكاتها ظهرت متطرفة إلى ذلك الحد. وقد جابهت الطليعة أقساما أخرى في المجال الفكري وأقاموا ما اعتبروه خط تقسيم

بين القديم والجديد. وفي المقدمات التي كتبوها لـ فهرس الشعر الأمريكي الجديد *Indice de la nueva poesía americana* (*) ، اعتبر إيدالجو، و [بيثينتي] أويديرو [Vicente] Huidobro ، وبورخيس، أنفسهم على الجانب الآخر من الخط، عند نقطة صفرية في تاريخ الشعر. وقد خصص أويديرو مقدمته، في ادعاء مميز كرره في كل بيان من بياناته، لإعلان أهميته هو كمبدع طبيعي. وأعلن بورخيس موت ودفن الحداثة: "أخيراً، وبحمد الله، تم استنفاد الروبينية Rubenism". وكرر إيدالجو الهجوم على الحداثة، واجدا القيمة في خوسيه ماريّا إيدالجو José María Idalgo فقط، الذي بعده "لم يحدث أي شيء مهم إلى أن ظهر أويديرو" كمؤسس لـ أولترايسمو. وقبل ذلك بعام، وفي مقدمة لـ للبساطة، عرض إيدالجو تقسيمه الخاص لمراحل تاريخ الشعر. وقد أقام "عصر سكان كهوف" a troglodyte era بين هوميروس وفيكتور هيجو، شمل داريو، الذي تبعه بعد انقطاع [أرتور] رامبو [Arthur] Rimbaud ، الذي تبعته الطليعة التي يمكن تلخيصها، منطقياً، في إنتاجه هو. والحقيقة أن هذه اللحظات الهاذية جزء لا يتجزأ من القوة الدافعة التأسيسية للطليعة، ومن قوة وإقناع برنامجها الذي وضع الجديد في مركزه.

ويجب أن نقرأ فهرس الشعر الأمريكي الجديد باعتباره تجلياً، تحت قناع أنثولوجيا (منتخبات)، لليوتوبيا الطليعية: هذه كانت النصوص التي غيرت الحالة الجمالية. ويمكن الجدل حول ما إذا كانت أو لم تكن كلها جزءاً من برنامج متجانس. وربما لم تكن، رغم الطريقة الثقيلة اليد التي تعامل بها إيدالجو مع أولئك الكتاب الذين استبعدهم. وعلى سبيل المثال، لم يتم إدراج خيروندو في الأنثولوجيا، لأن إيدالجو يعلن أنه استبعد أي مقلدين لـ جوميث دي لا سيرنا. ولأنه متعسف وإلى حد ما غريب الشأن، يمكن قراءة الـ فهرس كإعلان عن فن الشعر وكذلك كتحقيق لرغبة: الاستبعادات والإدراجات تشكل معا خريطة أدبية تقيم شرعيتها في وجه التراث، وتحاول في الوقت نفسه استبعاد هذا التراث. والحقيقة أنه غير علاقات أدبية، وعزز مبادئ جمالية، وقدم أمثلة لما ينبغي أن تكون عليه الكتابة منذ ذلك الحين فصاعداً. وفي الأنثولوجيا هناك

(*) *Index of the New American Poetry, 1926*

كتاب يجب، وفقا لتعبير بورخيس، أن يقوموا أولا بعمل التدمير: "قبل أن نبدا أى تفسير للمبدأ الجمالى الأحداث، من الضرورى أن ننزع القناع عن وجه داريوويات Darl-oisms (*) وحكاية anecdotalism الممارسات الأدبية الراهنة التى تسعى، كشعراء أولترايست، إلى كشفها والقضاء عليها".

كذلك فإن ال فهرس تعبیر عن هذا المبدأ الجمالى الطليعى فى التشديد الذى يضعه على ثيمتين متكاملتين: الحداثة modernity الحضريّة واستعادة بوينوس آيرس سابقة أو متخيلة. وقد طور إدواردو جونتاليث لاثوئا أولى هاتين الثيمتين ليس فقط فى عنوان القصائد التى أوردها - "قورى"، "قصيدة السيارة"، "قصيدة المصعد" (التي كتب عنها إيدالجو أيضا) - بل أيضا فى النظرة التى قدمها للمشهد الحضري. وفى "هناك أماكن بعيدة على بعد خمسين مترا"، نرى المدينة الحديثة تبدل خبرة المكان، فى صور تحدث أيضا فى التصوير painting: "مناظر طبيعية منزوعة من أماكنها/ تفرّ هاربة فى الأركان". ويجرى تعديل المكان لأن السرعة تغدو مبدأ النسق الإدراكي والتمثيل. ويصدق الشيء نفسه على الضوضاء، التى لم تظهر فى الشعر الأسبق عهدا: "كلمات تتدلى من الكابلات/ أبواق، زعيق، أصوات"، وموسيقى الجاز ثيمة رئيسية: "عندما تقوم فرقة جاز الملائكة/ بعزف موسيقى رقصة فوكستروت يوم القيامة....". تفتيت تكعيبى للمتصل الحضري، وتأثير الحداثة على نسق وأشكال الإدراك الحسى، وتدمير السياق "الطبيعى" بين الإنسان والبيئة المحيطة به، وبناء صور جديدة من هذا الخليط من الحكايات الرمزية الناقصة - كل هذه ثيمات للشعر الجديد.

وتتمثل ثيمة أخرى فى ثيمة المدينة المفقودة، التى يقوم أدب تلك الفترة، وبصورة خاصة إنتاج بورخيس، باختراعها أو إعادة بنائها. وقد عاد بورخيس إلى بوينوس آيرس حاملا الأنباء الطيبة عن ال أولترايستمو؛ وكان فى الوقت نفسه يبحث كلا المظهرين الأدبي والعاطفى للماضى. وكان شعره جزءا من مبدأ جمالى، وحساسية، ومشهد حضري يمر بعملية سريعة من التغيير. وقد ربطه نسق إدراكاته الحسية وذكرياته بالماضى؛ وكان مشروعه الشعرى، من جهة أخرى، مرتبطا ب "الجديد". وقد

(*) الداريووية = الروبئية المذكورة فى الفقرة السابقة ، نسبة إلى روبن داريو فى الحالتين . (المترجم)

عمل تحت تأثير كل من التجديد الجمالى والتحديث الحضري لينتج ميثولوجيا احتوت على عناصر قبل حداثة غير أنه كان يجرى تفقيتها عبر مبادئ طليعية جمالية ونظرية. ومن الناحية الطوبوغرافية، أتى بالأطراف إلى مركز النظام الثقافى الأرجنتينى وأقام مجموعة جديدة من العلاقات بين ثيمات وأشكال الشعر. كما أنه أدخل الاستخدام الطليعى للغة الشفاهية فى الأرجنتين، وهى لغة كانت تمثلها فى تلك الأعوام صور ال أولترايسمو. لقد قام بتأسيس مركزية الأطراف.

وتبرز القصائد المطبوعة فى ال فهرس مختلف الاتجاهات الطليعية فى العشرينيات، ليس فقط لأنها تستخدم النسق البلاغى للتكميلية و ال أولترايسمو، بل أيضا لأنها، كمجموع أعمال تثبت قوة ال أيديولوجيمات Ideologèmes الجديدة للتحديث الحضري والتجديد الجمالى فى أقصى حالات عنادها. غير أن الطليعة الأرجنتينية، على النقيض من أويديورو أو البرازيليين، لم تضع التجريب فى بؤرة اهتماماتها. وقد تمثل تدخلها الرئيسى فى المجال الجمالى فى تأكيد اختلافها عن الحداثة، كما أن أصالتها ماثلة فى مزيج ال أولترايسمو والشعر الحضري.

وكان نشر فهرس الشعر الأمريكى الجديد يمثل إحدى المجابهات الثقافية الرئيسية فى العشرينيات. وتمثل القصائد الإثبات العملى لصراع كان لا يمكن حله عبر وسائل عملية فقط. وقد تم إيجاز الخطوط العريضة لجدة newness الطليعة (التي تشمل طبعتها الجديدة المتمثلة فى الكريولية) فى برامج وبيانات متعاقبة. ويفسر هذا مداخلات بورخيس اللاذعة فى مجلتى مارتن فييرو و پروا، وعدوانية جونتاليث لانوئا، وهجمات ليوبولدو ماريتشال على القوافى والإيقاعات، ومراشى ريكاردو جويرالديس حول ماضيه المنعزل وصداقته الرقيقة مع الكتاب الشبان، ومنزلة العبادة التى حظى بها ماثيودونيو فيرنانديث، ونضالية أوليبيريو خيروندو، وحيوية نورا لانخى.

وفى هذه الأعوام وكما لم يحدث من قبل، أنتج الكتاب الأرجنتينيون نصوصا تفسيرية وسجالية كثيرة يمكن النظر إليها، فى الإجماع النسبى لثيماتها ونظرتها، على أنها برنامج "الجديد". ويمكن أن نجد الخطوط العريضة الرئيسية لهذا البرنامج عند إيدالجو، وماثيودونيو، وبورخيس، وجونتاليث لانوئا، وفى التعليقات غير الموقعة التى

نشرتها المجلات الصغرى. وهذه هي أعوام الهجمات على المؤسسة الأدبية: هناك مناقشات كثيرة بشأن نسق قيم الآخرين، الشيوخ، أتباع لوجونيس أو روبن داريو، وما بعد الرومانسيين. وهناك أيضا عرض لنسق قيم الشعر الجديد.

وقد ترابطت لدى جماعات المجال الثقافى فى هذه الفترة أفكار مختلفة سوف تصير الاهتمامات الرئيسية لأعوام لاحقة: طورت الثلاثينيات اتجاهات العشرينيات. وكانت الاهتمامات الفكرية أكثر تعقيدا وتنوعا من العدد الصغير نسبيا من المسائل التى ناقشتها المجموعات القومية الثقافية الأولى لجيل الثينتيناريو. ومن كل من وجهة النظر الأيديولوجية والجمالية، أرسى الكتاب أسسا أدبية جديدة. وفيما يتعلق بمسألة الهوية الثقافية، التى كانت قد استحوذت للغاية على أجيال سابقة، اعتبرت المجموعات الطليعية أن مفهوم "الجديد" قوى بما يكفى لتأكيد هيمنته. على أنها فى الوقت نفسه، ومن وجهة نظر "الجديد"، عبرت عن نزعة قومية ثقافية مختلفة. وترتبط التغيرات الكبرى فى الثقافة فى هذه الفترة بالتغيرات فى أسس نظام القيم، أى فى مختلف الإجابات عن السؤال التالى: "ما الذى يضيفى الشرعية على ممارسة ثقافية، جاعلا إياها أسمى أو أفضل من ممارسات أخرى؟"

وفى ١٩٣٠، عندما قدم إيبارا وصفا نقديا ومتوازنا بوضوح لك أولترائيسمو (مانحا بورخيس دورا رئيسيا فى هذه الحركة)، أضاف تعليقا على المزيج الأيديولوجى - الجمالى الذى سبق أن سميت "الكريولية الطليعية الحضرية":

هذه النزعة القومية الفنية حديثة جدا - ربما المظهر الوحيد الحديث حقا لروحنا.... وهذه النزعة القومية الثقافية المتنامية والمنظمة لها تأثير كبير على كتابنا الشباب، والمبشر العظيم بالـ كريولية هو، كما نعرف، خورخى لويس بورخيس. وكريولية بورخيس، وهو الكاتب الوحيد الذى يقوم بتعريفها بطريقة منهجية وغير لفظية، تعريف لكـ كريولية الأدبية بوجه عام: لا يستطيع لوجونيس، أو كارلوس دى لا پوا Carlos de la Púa، أو خيخينا سانتشيث Jigena Sánchez، أن يقدم أى حجة أو أى عمل فنى للرد عليه^(١).

ويأتى هذا الاختراع لبورخيس بمظهر مهم "للجديد" إلى اللعبة؛ وهو يقدم أيضا إعادة قراءة للتراث كان ما جعلها ممكنة هو قيام بورخيس بمزج الطليعة مع إعادة تأكيد أهمية الآداب الأجنبية.

غير أنه كان يتم تداول ونقاش تعاريف أخرى "للجديد" فى بوينوس آيرس، ومع إنتاج أويديرو، قدمت الطليعة موقفا "ضد - المحتوى" غير قابل للتفكير بأى طريقة أخرى. ذلك أن الجدة newness، كما لم يمل أويديرو من التكرار مطلقا، كانت لا تكمن فى الثيمة "بل فى الطريقة التى يجرى بها إنتاج هذه الثيمة".^(٧) والجدة شكلية، كما رأى بورخيس عندما أيد إحلال مبدأ جمالى للانكسار محل مبدأ جمالى للمحاكاة. ولهذا فإن هناك مبدأين جماليين فقط: المبدأ الجمالى السلبي للمرايا والمبدأ الجمالى الفعال للموشورات".^(٨) وقد قبل ماثيودونيو تعريفا واحدا صحيحا للأدب: "حالة الجمال الأدبى لا ينبغى أن تحتوى على : ١: أى عناصر أو معلومات تثقيفية ، ٢: أى مظاهر حسية ، ٣: أى هدف آخر سوى ذاتها". ويشغل ماثيودونيو النقطة الأكثر تطرفا فى هذه المناقشة، نتيجة لموقفه الفلسفى المعادى للمذهب الطبيعى، وفكرته القائلة إن "العاطفة" بنية ذهنية كليا مجردة من أى مفاهيم عن اللذة فى حد ذاتها كهدف أو غاية.

وعبر مثل هذه المقاومة لمواقع الشعر الرومانسى وما بعد الرومانسى، تغدو كتابة الشعر عملية شكلية. وبهذا المعنى كانت الطليعة ضد - سيكولوجية وضد - تعبيرية. ويعبر بورخيس عن هذا، مستبقا صياغته اللاحقة لل "أنا" الشعرى كنسيج من أصوات مختلفة، كما يلى:

لم يقم الشعر الغنائى، إلى الآن، إلا بالتذبذب بين البحث عن النتائج السمعية والبصرية والإلحاح على شخصية مبدعه، وأول هذين الشئتين ينبغى أن يكون اهتمام التصوير أو الموسيقى، ويقوم ثانيهما على خطأ سيكولوجى، حيث إن الشخصية، "الأنا"، ليست سوى تعبير جمعى واسع يشمل تعددية كل حالات الوعي على اختلافها. وأية حالة جديدة تضاف إلى

الحالات الأخرى تصير جزءاً جوهرياً من هذا الأنا، وتعبّر عنه سواء فردياً أم بصورة عامة. وأى حدث، أو أى إدراك حسي، أو أى فكرة، يُعبّر عنها بقوة متساوية، يمكن أن يضاف إلينا ومتغلبة على هذه الرغبة غير المجدية والعنيدة في أن تثبت في كلمات "أنا" سافلاً، يتحول في كل ثانية، تتبنى ال أولترائيسمو المبدأ الرئيسى لكل شعر: تحويل الواقع المحسوس للعالم إلى واقع داخلي وعاطفي.

ومن حيث البرنامج، تحركت الحجة بطريقتين: فهي تعارض المظاهر الحسية للحدائث والمنحطين decadents، وتعارض الطابع العاطفي للرومانسية المتأخرة والنزعة السيكلوجية للواقعيين والسذج naïfs. ويمتزج تعريف ماثي دونيو للفن باعتباره ضد المذهب الطبيعي بمفهوم الفن كعملية. وقد ظهرت كل هذه التعاريف في كل بيانات تلك الفترة ومنحها بورخيس كثافة نظرية في الأعداد الأولى من المجلة الأدبية سور، في أوائل الثلاثينيات.

وكبرامج، يمكن جزئياً تعديل نظريات الطبيعة في الممارسة. ومع هذا فإن صياغاتها تحدد عالم ما هو مرغوب فيه: إنها تعمل كيوتوبيات حقيقية، مُدخلة، في المجال الأدبي، الماضي، الذي يجب أن يُحدثوا قطيعة معه، والحاضر، الذي يجب إعادة بنائه بصورة كلية، والأفق المستقبلي "الجديد"، تحقيق كل ما شغل قواهم الأيديولوجية والجمالية. وقد وجدت الممارسات الأدبية معنى للمستقبل في هذه البرامج المتطرفة والسجالية: لقد قدمت أسساً للتحويل.

وكان ليوتوبيا الطبيعة قوة لم تكن أدبية فقط. وقد أثارت البيانات والسجلات رد فعل قوياً من جانب أعضاء المجموعات الأخرى في المجال الفكري. وهذه البيانات هي الطبيعة ذاتها، تماماً كالقصائد ذاتها، لأنها توضح الطابع الإطلاقي وضد التوفيقى لحركة التجديد الجمالي في العشرينيات. وتعلن هذ البيانات: "نحن، الكتاب الشبان، نؤيد فقط «الجديد» ولن نسمح لقطاعات أخرى من المجتمع بأن تحدد معايير عملنا".

وعلى هذا النحو التزم هؤلاء الكتاب بطريقة جذرية بمفهوم الاستقلال الذاتى، معلنين أن أساس عملهم ماثل فى العمل ذاته، حتى فى العمل الذى لم يكتب بعد. وقد بدا أنهم يضعون أنفسهم خارج المجتمع، ومع هذا كان المجتمع ومكانهم بداخله، هو ما جعل برنامجهم ممكنا. وقد دافع عن التجديد على وجه التحديد أولئك الذين كانوا واثقين بماضيهم، الذين كان بوسعهم الرجوع إلى التراث وإعادة تأكيده وكأنه ألبوم عائلى. ولم يكن أولئك الذين أيدوا الجديد قادمين جددا إلى البلاد. وكان هناك إحساس بأن القادمين الجدد دافعوا عن مبادئ أخلاقية أو أيديولوجية خارج عوالم الأدب وكانوا بحاجة إلى إرساء الأسس الضرورية التى تجعلهم مقبولين كمتقنين شرعيين.

والحقيقة أن اليوتوبيا التى يمكن أن نقرأها فى هذه البرامج تقوم بوظيفتها ككل اليوتوبيات: إنها توسع حدود الممكن، متحدية الشرعية الجمالية والمؤسسية لأولئك الذين لا يمكن أن يفكروا خارج حدود موصوفة بالتفصيل. ورغم سعيهم إلى تحرير الأدب من حدوده الاجتماعية – الأيديولوجية فقد تبنى هؤلاء الكتاب الطليعيين فى العشرينيات موقفا بعيدا تماما عن المشروع السوريالى، الذى حمل الفن إلى حدود الحياة ذاتها. وعلى النقيض فإن هذه الطليعة فصلت بين الحياة والأدب، حتى وإن كان من الممكن قراءة طبعة جديدة من المسألة القومية فى نصوصهم.

حالة مجلة پروا

فى أغسطس ١٩٢٤، أعيد إصدار مجلة پروا فى قطع جديد. وفى ٧ سبتمبر، أشارت لا ناثيون إلى هذه الواقعة بغياب مدير أو غير مدير للتعليق. فقد أعادت طبع جزء من افتتاحية پروا وأوردت قائمة بأسماء المحررين والمساهمين. وعندما علقت لا ناثيون على كتب بأقلام كتاب شبان أولترايستا، اكتفت بإعلان أنه تم نشرها، وأعادت طبع مقتطفات منها. ومن الجلى أن پروا مثلت صعوبات لهذه الصحيفة لأنها قدمت نفسها كصوت يسعى إلى أن يسمعه ويفهمه أُنْداده ومعاصروه.

والنص الجماعي الذي يظهر على الصفحة الأولى من العدد الأول من المجلة فوق توقيعات المحررين، بورخيس، ويراندان كارافا، وجويرالديس، و [پابلو] روخاس پاث [Pablo] Rojas Paz، تعريف بصورتهم، ومقترحاتهم، وتحالفاتهم، وآمالهم. وهذا النص الجماعي إعلان لقاعدة معيارية تحدد برنامج المجلة للتجديد الجمالي. ومدرسة لحالتها كجيل، أعلنت المجلة أن كتابها لم تكن لهم صلة بالأساتذة القدامى، وأشارت إلى أن الحرب العالمية الأولى قد قلبت كل الهياكل والمؤسسات القديمة رأسا على عقب. فقد جعلت الحرب "من الممكن لأول مرة في البلاد تكوين جيل على أطراف المؤسسات المعيارية السائدة للمجتمع".^(٩) وسوف يؤثر هذا الموقف بعمق في الطريقة التي سوف يتم بها الحكم على القيمة الأدبية، نظرا لأن المجلة لم تناشد الأسماء الكبيرة للجيل الأسبق إضفاء الشرعية على الكتاب الجدد. وربما لأول مرة في التاريخ الثقافي للأرجنتين، سوف يجرى الإدلاء بمثل هذه الأحكام فيما بين الأنداد. وعلى هذا النحو جرى تقسيم المجال الثقافي بين أولئك الذين أيدوا التغيير وأولئك الذين تشبثوا باستمرار بالنظام القديم. ولم تكن لدى أولى هذه الجماعات قوة كبيرة إلى أن ظهرت پريسما، و إينيثيال، و مارتن فييرو، و پروا. وقد أدت هذه المجالات وأنشطة المساهمين فيها إلى ظهور ما سماه خيروندو "الجبهة المتحدة"، التي كانت مركزا لمبادرات ثقافية كانت تطمح بدورها إلى التأثير في تيارات أوسع في أمريكا اللاتينية:

في الآونة الأخيرة أخذ أوليبيرو خيروندو معه الثمار الأولى لجهدنا. وقد أمكن حل كل الصراعات التي كانت تفصل من قبل بين المجالات الصغيرة الرئيسية وتكوين جبهة متحدة. وقد ذهب خيروندو كسفير ليحاول تعزيز التبادل الثقافي وزيارة المراكز الرئيسية للثقافة في أمريكا اللاتينية^(١٠).

ولم يقدم أسلوب عرض پروا أى شىء جديد: استخدمت صيفا طقسية للهوية الجماعية، غير أن أحد مظاهر هذا العدد الأول يبدو أكثر إثارة. ذلك أننا نجد في پروا مؤثرات جمالية وأيديولوجية لا تظهر في مارتن فييرو: هذه المؤثرات هي آثار روح

لا يزال متأثراً بالأرييلية Ariellism (*) وبالأخلاق الجديدة فى صفوف الشباب الذين أتوا من الإصلاح الجامعى، تلك الحركة الطلابية الضخمة التى فرضت فى ١٩١٨ تغييرات هائلة على النظام التعليمى وإدارة الجامعة. (١١) وينظر محررو پروا إلى نشرهم على أنه جزء من "واجب جماعى" ملقى على عاتق جيل كانت الحرب قد حررتهم من معلمهم وكانوا يسعون إلى توسيع "ذلك الشعاع من الاستتارة، الإصلاح الجامعى".

وكان لدى پروا، إلى حد كبير مثل حركة الإصلاح، نظرة تميزت بالروحانية، وبروح التجديد والنزعة الشبابية. وهى تختلف عن هارتن فييرو فى أنه لا يوجد أى خصومات أدبية على صفحاتها. وقد تميزت پروا بنغمة تفسيرية ومنطقية، رغم أن إسهامات بورخيس تعرض فى كثير من الأحيان أفكاراً راديكالية ولاذعة. ويرتبط الأسلوب المعتدل عند پروا بالمغزى الإصلاحى لتقدمه: تسعى المجلة إلى أن تقدم حيزاً عاماً، غير انقسامى non-sectarian .

نحن لا نحاول أن نكون معاً مجموعات متباينة، لتقويض اتجاهات مختلفة وخلق شخصيات مختلفة. بل تتمثل رغبتنا فى أن نقدم إلى الكتاب الشباب منبراً هادئاً رصيناً وغير متعصب سوف يجمع بين مظاهر مختلفة من العمل الذهنى ليست صحفية بصورة خالصة.

إن مجلتنا ينبغي أن تكون من نوع خاص : لا أدبية بصورة خالصة ولا فلسفية بصورة خالصة. ولا يملك شبابنا الأذكىاء مثل هذا المنبر، المفتوح وبدون حواجز. وكبوتقة انصهار للكتاب الشباب الذين يعجبون بالبطولة المبهمة واليومية، سوف تحاول پروا توحيد الطاقات المبعثرة لجيل لا يشعر بالخصومة فى شكل مجتمع ثقافى (١٢) .

(*) الأرييلية Ariellism : تسبى الحركة الروحية spiritualist التى نمت فى نهر پلاتى خلال العقدين الأولين من القرن العشرين ضد الوضعىة بالأرييلية بعد المقال المهم للكاتب الأوروغوايى خوسيه إنريكي رودو José Enrique Rodó ، المنشور فى ١٩٠٠ ، مستخدماً التعارض بين شخصيتى شكسبير : أرييل Ariel وكاليبان Caliban ، حيث انتقد مادىة النخب المحلية واقترح تجديداً أخلاقياً وثقافياً بالاعتماد فى جانب لا يستهان به على الشباب المثقف فى القارة .

وكان لهذا النص الأول من نصوص پروا أصداء وانعكاسات أرييلية؛ بحماسها، وإيجابيتها الأخلاقية، وجدية محاولتها، ووحدة أمانيتها، نظرت المجلة إلى نفسها على أنها "مزيج نقي من الأحلام والرغبات". وقد أفضى هذا الخطاب الأرييلي، في ارتباطه الوثيق بأفكار من الإصلاح الجامعي، إلى مجموعة من الإغراءات والرغبات التي شكلت، في ١٩٢٤، ميراثا مشتركا كان من الممكن أن يشارك فيه كثير من المجددين الجماليين.

وقد وجدت هذه النغمة كثيرا من الملاحظات والتعليقات في المجلة. ونشبت معركة لفرض "قيم الروح" في بلد كان كبار رجاله لا يفهمون هذه القيم. وكان أبطال هذا النضال شبانا كان يحذوهم الأمل في "مجتمع مستقبلي تجد فيه هذه القيم مكانا لها" (١٣).

وقد جرى الاحتفاظ بهذا الروح نفسه في الأعداد اللاحقة. وفي العدد ٨٠، خصصت پروا ثلاث صفحات للأنباء الخاصة بأن الاتحاد الأمريكي اللاتيني كان يجري تأسيسه. ولم يكن من المعتاد نشر مثل هذه الإشارات بشأن أمور مؤسسية من هذا النوع، خاصة بشأن السياسة، في پروا. وكان الاتحاد الأمريكي اللاتيني محاولة لحمل روح الإصلاح الجامعي إلى حلبة القارة. وكان مؤسسو الاتحاد كتابا وسياسيين من الشباب. وتعطينا مقتطفات من هذا الإعلان، الذي كان خارج الشواغل المعتادة لمجلة پروا، فكرة ما عن المناخ الذي ظهرت فيه المجلة. فالاتحاد يسعى :

إلى أن يطور لدى شعوب أمريكا اللاتينية وعيا جديدا بالمصالح القومية والقارية، مؤيدا كل مظاهر التجديد الأيديولوجي الذي يفضى إلى الممارسة الفعلية للسيادة الشعبية، ومحاربا أي ديكتاتورية قد تقف في طريق الإصلاحات الاقتصادية التي تلهمها الرغبة في العدالة الاجتماعية.... معارضة أية سياسات مالية تساوم في السيادة القومية، وبصورة خاصة الحصول على أي قرض يمكن أن يسمح ب أو ييسر التدخل العنيف للرأسماليين الأجانب.... تأميم مصادر الثروة وإلغاء الامتيازات الاقتصادية. النضال ضد أي تأثير للكنيسة في الحياة العامة وفي التعليم.... توسيع التعليم الإلزامي الحر العلماني وإصلاح جامعي متكامل. (١٤)

وكان مزيج من النزعة القومية والنزعة الروحانية كاسحا في أمريكا اللاتينية. فإلى أي درجة يمكن اعتبار پروا جزءاً من هذا المناخ؟ والحقيقة أن نشر هذه الوثيقة عن تأسيس الاتحاد الأمريكى اللاتينى ليس كافياً لحسم هذه النقطة. غير أن ما يعنيه فعلاً هو الإشارة إلى حسن النية نحو، والاعتراف ب، تيارات الفكر اليسارى - الديمقراطى والمعادى للإمبريالية، التى كانت پروا تشارك فى مظاهرها الأرييلية، والروحانية، والشبابية. غير أن هذه ليست القصة كلها. فمن جهة، عبرت المجلة عن رغبة فى أن تنظم مجالاً فكرياً مشتركاً يشمل كل مظاهر الطليعة. وكانت پروا ملتزمة بهذا فى المجال الفنى، فى حين أنها كانت تعترف بأنه توجد مجالات أخرى كانت مشروعة أيضاً. وقد أثبتت تجربة الأعوام الأولى للطليعة الحاجة إلى غزو أماكن عامة؛ ولهذا كان من الممكن الاعتراف بهذه الحاجة نفسها فى المعترك السياسى. وشاركت پروا حركة الإصلاح وحركة الجامعة الأمريكية اللاتينية Pan-Latin Americana الرغبة فى الوصول إلى جمهور مستمر: كان لرحلات أوليبيريو خيروندو، والأنثولوجيات، ونشاط السنوات الأولى للدورية الأدبية سور، جميعاً، نفس الغاية. وعلاوة على هذا فإن الشبان ذوى الارتباطات السياسية اتجهوا إلى التسلل إلى المجال الفكرى، وكانت الولاءات تميل إلى التغير. أما حركة التجديد الجمالى فلم تكن قد صارت بعد مستقطبة أو حبيسة فى مواقف أيديولوجية غير قابلة للتوفيق. وعلى العكس، ففي هذا النصف الأول من العشرينيات، اصطف "الشباب" ضد مواقع المثقفين التقليديين ذوى المراكز الوطيدة. وكانت لا تزال حركة أجيال. وفى نهاية الأمر فإن ما تدل عليه هذه الولاءات المتشابكة إنما هو مجال فكرى صغير كانت الانقسامات فيه بين "اليمن" و"اليسار" أقل أهمية من تلك الانقسامات بين "القديم" و"الجديد". وكانت هناك طريقة مشتركة لرؤية، وبنية مشتركة للشعور ب، المشروع الذى يسعى إلى غزو المجتمع وتغييره جمالياً، أو أخلاقياً، أو سياسياً. ويمكن أن نلاحظ هذا فى كل الافتتاحيات المنشورة فى پروا. وقد حاولت المجلة التعويض عن عزلتها فى عالم من الصحف اليومية الكبرى والمؤسسات التقليدية عن طريق دعوة الكتاب والمثقفين إلى دعم قضايا وأفكار مختلفة. وشهد العدد ١١ نشر رسالة ، بتوقيع بورخيس، وبراندان، وجويرالديس، طالبت بدعم كل الكتاب الذين وافقوا على التغيرات الأيديولوجية والثقافية الهائلة التى كانت تنطلق من عقالها:

كان أملنا، منذ البداية، أن تصير پروا Proa (كلمة تعنى: مقدّم السفينة) ، كما يليق باسمها، نقطة حشد للنضال، عبر العمل الجاد وليس عبر المساجلات. إننا نعمل فى الجزء الأكثر حرية ولكن الأكثر صعوبة من السفينة، فى الوقت الذى تنام فيه البورجوازية الأدبية فى الكابينات، ومن الموقع الذى اخترناه، سوف نفتح دروبا جديدة، فى حين أنهم سوف يبقون فى الخلف. دعوهم يصفوننا بالمجانين والمغالين، إنهم فى صميم قلوبهم مروضون وسوف يفعلون كل شئ إلا أن يقاتلونا من أجل الحق فى العمل والمغامرة. وعلينا أن نكون متحدين على هذا الجانب غير المستقر من الصنعة، الجانب الذى يحدد الطريق. ومقدّم السفينة أصغر من الهيكل الرئيسى للسفينة لأنها النقطة التى تتقارب عندها كل الطاقات. ونحن نضحك من أولئك الذين يستبد بهم الغضب، إذ إنهم يعرفون أنهم مولودون ليقتفوا أثر الآخرين. ولا يمكن أن تؤثر فينا هجماتهم لأنهم خائفون. وتعيش پروا فى اتصال مباشر مع الحياة. لقد عركها الصراع مع الأمواج وصارت منتعشة بالتفاؤل وبرغبتها فى غزو آفاق المدى. وهى تتمنى اليوم أن تواصل نموها. وهذا هو السبب فى أننا نكتب إليكم. امنحونا دعمكم القوى لمساعدتنا فى هذا النمو.

ومن المؤكد تقريبا أن جويرالديس مسئول عن النغمة الروحية لمثل هذه الإعلانات. وكان للمشاركة الشباب فى الحركة الإصلاحية علاقات حميمة (وأحيانا عائلية) مع كتاب پروا، أما الاشتراكيون الكريوليون المتعلمون الذين وقعوا ببيان الاتحاد الأمريكى اللاتينى فإنهم لم يحملوا سوى شبه ضئيل بالمناضلين اليساريين الكثيفى الشعور المنحدرين من أصول من المهاجرين. وكانت الطليعة تضع فى صلب برنامجها نزعة قومية ثقافية من طراز جديد. وقد أعطاهما بورخيس شكلها ونغمتها. وتشارك مقالات أخرى كثيرة منشورة فى پروا فى هذه المشاعر غير أن رسالة أعلن فيها المحررون أنهم مستعدون لمغادرة السفينة ربما كانت النموذج الأسلوبى الأكثر لفتا للنظر للمزج بين الطليعة والكريولية. وكانت الرسالة مرسله من بورخيس، إلى براندان كارافا وريكاردو

جويرالديس، وهى تنقل الاستعارة من البحر إلى اليابسة، إلى الحواف. وحكمها الأخير هو الكريولو باعتباره فردوسها:

... سوف نلتقى من جديد ونبدأ تجمعا أدبيا حيا، ومحادثة خالدة دون احتفال أو تعجل. إن آباء الكنيسة لا يقولون لنا سوى القليل عن تلك الصداقات فى نهاية العالم، غير أننا نعتقد أن واجبنا السعيد يتمثل فى أن نمضى إلى الأمام نحو هذه الغاية، وأن نستبق تدابير الرب. ولا أستطيع أن أفكر فى مسعى أفضل ملائمة لهذا الغرض من يروا.

ما أروع محادثاتنا ومناقشاتنا! جويرالديس: من خلال مشط قيثارك المتقشف، من خلال ذلك الثقب الأسود، أو النافذة السوداء، الذى يمكن من خلاله أن نلمح بكل تأكيد سان أنطونيو دى أريكو San Antonio de Areco (*)، ومن بعيد جدا تحدثنا الأماكن بكل فصاحة. ويبدو براندان صغيرا، ولكن هذا لأنه يقف دائما على الجانب الآخر من أحد أبيات شعره التى غمرته بالنشوة قبل أن تغمر بها بقيتنا. ماثيدونيو، خلف سحابة من دخان السجائر، نصف الإله الكريولى الطيب ذاك، يعرف كيف يخترع عالما بين تقديمين لشاي الماتيه maté (**). ثم يقوم بتفريغه من جديد فى الحال. روخاس پاٲ، و [لويس فرانثيسكو] بيرنانديث [Luis Francisco Bernádez]، وماريشال، يشعلون الحريق تقريبا فى المائدة باستعاراتهم. [بيدرو لياندرو] إنيپوتشى [Pedro Leandro] Ipuche يتكلم بصوت عميق وهو رسول مأمون اليد وراسخ القدم، جالبا أسرارا عاجلة من الغابات فى أوروغواى. راموس، القادم حديثا (***) the Recently-Arrived والذى يتم إنذاره مسبقا دائما the Always-Forewarned يحتل أيضا مكان

(*) المنزل الريفى لجويرالديس وهو نموذج الإطار المكانى لروايته نون سيجونى سومبرا .

(**) فى أغلب الأحيان يتم شرب شاي الماتيه جماعة ، ويجرى تحرير القرعة المجوفة على حلقة من الأصدقاء .

(***) يلعب بورخيس هنا بصفات مركبة بأسلوب ماثيدونيو .

الصدارة، وهناك عصابة من التشيليين الرائعين الذين انقضوا عبر أراض
رطبة رملية بعيدة، تجتاحها، أحيانا - ربح سوداء، "الريح السوداء"
ل كينتوس أوراثيو Quintos Horacio، ذلك الذي يلون السماء. وهناك
عشرة، عشرون، ثلاثون منا يؤمنون بإمكان الفن والصدقة. ما أروع
محادثاتنا! ومع هذا هناك حق مقدس للغاية في هذا العالم: حقنا في
أن نفشل، وأن نسير وحدنا، وأن نعاني وأنا أريد أن أخبركم أنني
أغادر پروا وأنني أغادر تاجي الورقي على المشجب. أكثر من مائة من
الشوارع في الحواف تنتظرنى بقمرها وعزلتها وبالجرعة الصغيرة الباقية
من الروم. وأعرف أن الرياح التي تهب من سهول الپامپا تنادى ريكاردو وأن
جبال كوردوبا {قرطبة} تستدعي برندان. إلى اللقاء أيتها الجبهة المتحدة،
وداعا يا شارع سولدير Clao Solder، وداعا للجميع. وأنت يا أديلينا Adelina،
بتلك الرقة الحامية التي تملكينها، أعطيني معطفي وعصاي، لأنني ذاهب. (١٥)

ومن المستحيل بالطبع إيراد مراجع كريولية Criollista أكثر من هذه على صفحة
واحدة. وتصل پروا إلى نهايتها، ويكتب بورخيس أحد إعلاناتها الختامية - ويحمل
نظرياتها في الإبداع الأدبي poetics إلى أقصى حدودها بطريقة پارودية تقريبا. ومن
الجلي أن نغمة فكاهية تسود في هذه الرسالة، غير أن من المهم أيضا أن نتساءل عن
مدى الحقيقة التي تقولها عن پروا. ومرة أخرى تتمثل سميتها الأكثر لفتا للنظر فيما
أسميناه الكريولية الطليعية avant-garde criollismo . وعندما كتب بورخيس، في
العدد ١ من پروا، عن موشورات Prismas جونثاليت لانوثا، فقد اعتنى بالتمييز بين
نظريات الإبداع الأدبي الأرجنتينية الجديدة والـ أولترائيسمو الإسبانية. وكان الاختلاف
يكمن في نسق القراءة (الذي حرقه بورخيس كالعادة)، وفي المكان الذي كانت تتم فيه
القراءة: تحت "نجوم الضواحي". وإنما هناك، على وجه التحديد، وضع بورخيس عندئذ
برنامج الأدبي:

إننا نؤمن بأشياء مختلفة: بأن الپامپا مكان مقدس؛ بأن أول رجل ريفي
هو رجل حقا وصدقا؛ بقوة الـ ماليبوس malevos (المقاتلين
بالسكاكين)؛ بالسخاء الطو للضاحية arrabal . ومن بين كل ثروات العالم
التي لا تحد فإن ما يخصنا حقا هما الضاحية arrabal والپامپا (١٦).

وكان قد تم نفي التانجو من العالم الذي خلقتة "الإرادة الإلهية" في الضواحي. ولم تستطع الطليعة الكريولية أن تجد نفسها في موسيقاها وكلمات الأغاني التي كانت لا تزال موصومة بالجريمة أو بيت الدعارة. ولهذا السبب تمحورت إعادة قراءة بورخيس حول كارييجو (السلف الحقيقي لموسيقى التانجو التي ستأتي) وحول الأدب الجاوتشي. كما أنه أبرز الابتكارية الكريولية لدى ماثيدونيو ومن الصحيح دون شك أن مفارقات ماثيدونيو، وأسلوبه الفطن التلميحى *conceptismo* وصيغ الجمع عنده (*) كانت قريبة النسب بالطابع الابتكاري لك *payador* (الشاعر الفروسي الجوال)، *troubadour* الجاوتشو.

على أن طبعة بورخيس من الكريولية لم تكن تمثل البرنامج الوحيد لمجلة *پروا*. ومجلة "الجبهة المتحدة"، قامت *پروا* بعمل في "البيداجوجيا" عن طريق نشر مختلف اتجاهات الطليعة الأوروبية. وقد قامت بهذا بصورة رئيسية من خلال سلسلة مقالات طويلة بقلم جييرمو دي تورى *Guillermo de Torre* الذي سوف يتزوج، بعد هذا مباشرة، من الفنانة نورا بورخيس *Norah Borges*، أخت لويس بورخيس، التي قامت بإعداد رسومات بعض أعداد *پروا*. ومثل مقالات كثيرة لجويرالديس، كانت مقالات دي تورى حديثة بصورة موسوعية ولكن مكتوبة بنغمة بدت أكاديمية بصورة غريبة في هذا العالم من كتاب المقالات الأدبية. وإشاراته تفسيرية وتميل إلى إرشاد القارئ عبر مبادئ جمالية جديدة، بدلا من التصوير بقوة لمجال جديد يتألف من أصدقاء وحلفاء. ولأن مقالات جييرمو دي تورى تعليمية وإلى حد ما متحذقة فقد كانت بمثابة كتيب جيب *vademecum* تفسيري، أو بمثابة دليل *a Baedeker* للأرفف الأدبية. ويوضح العرض الفطن لجويرالديس لكتاب دي تورى *الآداب الأوروبية الطليعية - Literaturas eu-ropéas de vanguardia* أن الكتاب يختلف في الأسلوب والذوق عن إنتاج جويرالديس وعن إنتاج بورخيس:

(*) استعمل ماثيدونيو أسماء المعانى *abstract nouns* في صيغة الجمع، وهو استعمال ليس شائعا جداً في اللغة الإسبانية، غير أنه يمكن أن نجدها في أغنية "المبارزات" في قصيدة مارتن فييرو.

يُبرز جييرمو مجموعات وعقائد credos مجموعات، دارسا الشخصيات المعنية داخل هذه الفئات العريضة وتاركا جانبا إلى حد ما الأفراد المنعزلين الذين ليست لهم أهمية سجالية كبيرة جدا. وقد لا يكون هذا معيارا مشتركا من جانب آخرين فضلوا أن يدرسوا الأعمال باعتبارها قبل كل شيء إبداعات أفراد، تاركين جانبا السياق التاريخي للأدب ومركزين على طبيعتها الأدبية بصورة نوعية (١٧).

وينطوى عرض جويرالديس على التناقض الكلاسيكي بين التاريخ الأدبي والأدب، بين القراءة الجمالية المنتجة والطابع البارد للنقد. والحقيقة أن مقالات جويرالديس نفسه مقالات شخصية للغاية وغير أكاديمية، وهي في العادة تعليقات على الرمزية وما بعد الرمزية الفرنسيين. وفي أحد هذه المقالات، عن كتاب *A. P. Barnabooth* لغاليري لاربو، يقدم جويرالديس نظرات نافذة لافتة للنظر إلى الطريقة التي قام بها بتكوين مكتبته الأدبية. وحتى بالنسبة لرجل له خلفية اجتماعية متميزة مثله، كان ذلك مغامرة شاقة. وهذه هي الثيمة الرئيسية للمقال: كيف، في ١٩١٩، أخبره صديق عائد من أوروبا عن كتاب لاربو، الذي لم يحصل عليه إلا بصعوبة كبيرة؛ وكيف أنه أقام بعد ذلك صداقة شخصية وأدبية مع لاربو؛ وكيف وجد أن من الضروري كسر الحلقة الشريرة للحدائق، والإطاحة بهيمنتها الجمالية عن طريق تقييم مبادئ جمالية أخرى، ومناصرة الشعراء الفرنسيين بتفضيلهم على داريو ولوجونيس. وحتى بالنسبة لجويرالديس، اقتضت هذه المهمة إرادة حازمة وكثيرا من التفاني:

هناك وقت كان يمثل فيه حصول المزم (في بوينوس آيرس) على كتاب، أو حتى على قصيدة، للرمزيين، عميلا بطوليا. على أن حفنة من القراء الشباب، بتشجيع من التوجسات التي كانت لدينا، ومدفوعين بعناد ثوري، نجحوا في القيام بهذه الرحلة إلى منطقة محظورة. وفي حالتنا أنا، قبل أن يبدأ الناس في الضحك على إنتاجي، اعتدت عليهم يضحكون على اختياراتي للقراءة... ولهذا كان الرمزيون أساتذتنا.

كان رامبو وحيدا إلى حد أن عظمته كانت صاعقة.

وألقى [ستيفان] مالارمييه [Stéphane] Mallarmé إلينا بأفكار نيرة.
وبدا لنا [جول] لافورج [Jules] Laforgue الشخص الذى كان قبل كل
الباقيين قد عاش حالة من الجمال الشعري.
وكان [تريستان] كوربيير [Tristan] Corbière مختلفا إلى حد ما: أدب
ضد الأدب، تعبير خارجي عن حساسية شرسة مجروحة بالألم.
وكانت لدينا نسخة واحدة من إيزيدور دوكاس Isidore Ducasse كنا
نلقى بها إلى روس بعضنا البعض الآخر، ليخيف كل منا الآخر.
أما [بول] كلوديل [Paul] Claudel، و[إميل] فيرايران [Emile] Verhaeren، هاتان
الشخصيتان الكبيرتان للرمزية الجديدة (دعونا نسميها هكذا) فإنهما
لم يأسرانا. الدين، والوطن الأم. لقد أردنا الأدب قبل كل شيء آخر. وكان
على الكاتب أن يثبت لنا أن الفن هو لب الحياة (١٨).
كان هذا هو وضع الأمور قبل ١٩٢٠: عزلة فكرية، كما يوجزها جويرالديس،
والبحث عن أدب جديد، يقوم بصورة جوهريّة على مبدأ جمالي للتجديد. وكاتبنا عن
الثينتيناريو، كان لوجونيس قد أشبع فضاء الوطنية، وجويرالديس محق في حدسه بأن
هذه التغيرات سوف تؤثر أيضا على النزعة القومية الثقافية. كانت هذه عتبة إرساء
أسس أيديولوجيات "الجديد". وكان من الضروري استيراد كتاب أوروبيين يمكن أن
يساعدوا في الإجابة على الأسئلة التي تطرحها الحركات الجمالية الجديدة والاستقلال
المتنامي للفن عن الضوابط الاجتماعية. وقد أدى طابع هذا الاستيراد إلى الصراع مع
الحدائين، ولهذا السبب أعطت پروا مساحة وقيمة إستراتيجيتين لنشر المؤلفين
الأجانب. وكانت هذه المساحة مختلفة اختلافا كبيرا عن القسم الكلاسيكي "الأدب
الأوروبي"، الذي كانت فوسوتروس تنشره بكفاءة ولكن بطريقة إخبارية أكثر منها
برنامجية. وقد أحدثت پروا قطيعة جذرية مع مثل هذه النزعة التقليدية عن طريق تقديم،
ليس أرفف لأحدث المطبوعات، بل بالأحرى لنسق لفهم "الجديد". ولم تعط معلومات
بشأن كل المؤلفين أو كل النصوص: بدلا من هذا أعطت الأدب الأوروبي وظيفة جديدة
في سياق طليعة نهر پلاتي.

وفى الفنون البصرية جرى اقتراح هدف مماثل. ومثل مارتن فييرو، نظرت پروا إلى فنون الجرافيك على أنها مهمة، غير أنها تبنت أسلوبا كان أقل علوً صوت بكثير من أسلوب مارتن فييرو، وأكثر احتفاظا بنغماتها الجادة. وقد استفادت فنون جرافيك فى پروا بشدة من النقوش الصغيرة vignettes، عدد كبير منها لنورا لانخى وقليل منها من [بيدرو] فيجارى [Pedro] Figari. ونسخ العدد ٤ رسومات لجوستاف كليمت Gustav Klimt. وملأت النقوش الصغيرة المساحات الفارغة فى أسفل الصفحة، واستخدم التوضيب المكانى للمجلة الحروف الطباعية المسبوكة الانسيابية، والمؤطرة بسطور هندسية كانت تتناقض بحدة مع النقوش الصغيرة الزخرفية والزركشات الفنية لمجلة پروا فى فترتها الأولى. وعلى هذا النحو كانت المجلة تُرى فى نفس الإطار الجمالى الذى كانت تقرأ فيه.

وعلاوة على هذا فقد كان الكتاب والفنانون التشكيليون، فى هذه السنوات، قريبين من بعضهم البعض. وقد دافعت مختلف المطبوعات الطليعية ببسالة عن إنتاج الفنانين فيجارى و[إميليو] بيتوريتى [Emilio] Perutti، وفنون الجرافيك أشبه بالترجمة: إنها إيضاح بصرى لوجهة نظر المجلة، من اللحظة التى يقوم فيها القراء لأول مرة بتصفح النص. وقد غيرت مارتن فييرو القطع التقليدى للصفحة، فى حين أثبتت پروا التزامها بمبادئ حداثة جمالية أكثر اعتدالا. ولم يكن الكتاب الطليعيون يعتقدون أن فنون الجرافيك مساحة مفتتحة يجب ملؤها تماما بالكتابة؛ إنهم لم يكونوا مقتصدين، والواقع أنه لم يكن لديهم سبب ليكونوا كذلك.

وإذا كانت هناك سياسة إزاء فن الجرافيك، فقد كان هناك أيضا تحرك لبدء ما يسميه بورخيس "سياسة لغوية".^(١٩) فماذا كانت تعنى هذه السياسة اللغوية؟ ولماذا كانت ضرورية؟ وكان كل من بورخيس وجونثاليث لاثوتا فى هذه السنوات قد قاما بالتجريب فى قواعد الإملاء.^(٢٠) وكان بيان - إعلان پريسما مكتوبا وفقا للقواعد الجديدة التى سوف يستخدمها بورخيس فى كتبه الأولى. ويمكن النظر إلى الإصلاح الهجائى على أنه يلعب دورا مهماً فى مشروع الطليعة حتى وإن كان كاتبان فقط قد تبنياه بصورة عابرة. ذلك أنه كان ينطوى على قطيعة مع المعايير الأكاديمية وكان يشعل الجدل بين الطليعة وإسبانيا ذلك الجدل الذى اندلع فى مارتن فييرو، كما سبق

أن رأينا، عندما كان يجرى اقتراح أن تكون مدريد هي "خط السميت الثقافي" لأمريكا اللاتينية وقد حطم بورخيس هذه الفكرة في رده على أميريكو كاسترو Américo Castro. غير أن الأهم هو واقع أن هذا الهجاء البوينوس آيرسى porteño كان دحضا للمعايير اللغوية يوازى دحض الشعر لمعايير العروض. وكانت له دلالات أيديولوجية وجمالية لأنه كان يمثل - من ناحية فنون الجرافيك - اللغة الشفاهية الحضرية لنهر پلاتى، التى كان يعمل عليها بورخيس فى ذلك الحين. وقد صار فى الحال عملا بارزا معترفا به: كان كافيا أن يراها المرء فى شكلها الجرافيكى. وعلاوة على هذا فإن هذا المشروع قام بتنفيذه كتاب كانوا واثقين بصوتياتهم مثلما كانوا واثقين بأصولهم. ولم يكن لمثل هذا السلوك أن يكون قابلا للتفكير بين القادمين حديثا إلى المشهد الثقافى، الذين كانوا غير واثقين بهجائهم، أو بين أولئك الذين كان اكتساب اللغة بالنسبة لهم عملية حديثة ومؤلمة. وكما فى إنتاج سارميينتو فإن إصلاح الهجاء يوتوبى وراديكالى، مما يدل على عمق ومدى تغيرات أخرى فى الأسلوب، والشكل، والعروض. وهو لم يقدم تدوينا قائما على محاكاة اللغة الشفاهية، بل بالأحرى دحضا للمعايير على كل المستويات.

وكانت مشكلة اللغة أساسية بالنسبة للطليعة الأرجنتينية، فى المحل الأول لأنها كانت مشكلة أساسية من مشكلات المجتمع الأوسع: بدت اللغة غير موثوقة ليس لأسباب تتعلق بالنقاء اللغوى الزائد بل لأن بوينوس آيرس كانت قد صارت فى العقود الأخيرة مينا حرا للمهاجرين إلى الأرجنتين. وحتى المجال الثقافى كان يتألف من أصوات لا تشارك فى السجل اللغوى، المكتسب على مرّ سنين عديدة، للكريولو القدامى. وكانت هناك تغيرات صرفية صوتية أخرى مزاحمة للمساحة ومفسدة للأدب. وكان بورخيس مجادلا تهكميا فى هذا الجدل مع دعاة النقاء اللغوى، لأنه أيضا عارض، بطريقته الخاصة، اللونفاريو (العامية الحضرية) lunfardo، التى نظر إليها على أنها هجين من الضواحي والهجرة إلى الأرجنتين:

غير أنه من الضرورى أن نميز بين الثروات الخارجية والجوهرية. فالمرء يستعمل التعبير الصحيح اللاتينى prostituta (مومس). ويسقط المعجم على

رأسه، مُسَكَّتَا إِيَاهُ بكلمات مثل meretriz و buscona (*) وسوف يضيف بلطجي الحى كلمات مثل yiro، yiradora، turra، mina، mllonga (**). وهذا لا يثبت غنى لغتنا. إنه، بالأحرى، استعراض مبهرج - إذ إن مقلب الزبالة هذا لا يساعد على الإحساس أو التفكير (٢١).

وبدل هذا النص لبورخيس على استعماله الخاص للغة، أحد الاختراعات العظيمة لتلك الفترة: se le viene encima ("يسقط على رأسه")، le tapa la boca ("يُسكته")، حرفيا "يُقلل فمه")، farolería ("استعراض مبهرج")، cambalache ("مقلب زبالة") كلها كلمات وتعابير مأخوذة من لغة الحديث الإسبانية لنهر پلاتى. ويقوم بورخيس هنا بإضفاء الطابع الكريولى، وهو أحد أكثر المشروعات الممكنة مخاطرة إذا أخذنا فى الاعتبار المحاولات الرامية إلى خلق الأدب الكريولى الملحوظة من قبل فى الأرجنتين، و"إضفاء الطابع الكريولى" من جانب بورخيس يدفع باستمرار إلى الحدود القصوى: إنه يُدخل تغييرات معجمية lexical ونحوية syntactical، ولكنه قبل كل شئ يؤثر فى إيقاع نقطة الوقف والجملة، ومن الجلى أنه ليس مشروعاً معجمياً، لأن بورخيس يتفادى اللونفاردو (العامية الحضرية) والتعبيرات الجاوتشية، ويختار بدلا منها مجموعة من الكلمات ذات خطوط خارجية غير واضحة المعالم، وتعبيرات يمكن الرجوع بها أحيانا إلى الجاوتشية ولكن يمكن دائما تقريبا أن نجدها فى لغة حديث الكريولو الحضريين منذ عهد طويل. وهى مجموعة مألوفة وذكورية، ولكنها ليست أبدا عامية أو سوقية.

وتقوم سياسة اللغة على أساس الاقتناع بأن هذه اللغة أداة تاريخية ومتغيرة ولهذا يمكن فى آن معا أن تقاوم النسق وأن تقدم قماشة توضع عليها بصمات حساسية وأمة :

(*) كلمتان "أديبتان" بمعنى بغي أو مومس .

(**) كلمات لونفاردو (عامية حضرية) lunfardo بمعنى "المشى فى الشوارع"، "التي تمشى فى الشوارع"، "التي تستلقى بسهولة"، "دمية"، "ميلونجا" (شكل أغنية ورقصة) .

ما أتمنى أن أقوم به هو أن أوقف لدى كل كاتب إدراك أن الإمكانيات الكامنة في اللغات نادرا ما تنفلق. وأن مجدنا وواجبنا جميعا يكمن في مضاعفتها وتنويعها. وكل جيل أدبي واع فهم هذه الحقيقة (٢٢) .

والحقيقة أن الخيال اللغوي تغلغل في هذه الأعمال لبورخيس ووجه قراءاته للأدب الجاوتشي، التي ظهرت في بروا وفيما بعد في سُرور. وكان ما امتلكه خيالا في مقابل التقاليد المعقدة للحدثيين إزاء الحرفية literalness اللا – إبداعية anti-poetic في لغة الكتاب الإنسانيين اليساريين. وقد قفز هذا الخيال اللغوي إلى الوراء وبالعرض بحرية. كان في استطاعة الطليعة فقط إنتاجها: تجاه الجاوتشية، وتجاه التقاليد الكريولية القديمة، وتجاه التغيرات الصرفية للغة الشفاهية البسيطة والتافهة. وعلى هذا النحو منحت طليعة العشرينيات النزعة القومية الثقافية تعريفا شكليا وجماليا جديدا. والحقيقة أن الخيال الأدبي، الذي تحرر أخيرا من العداثة، أعاد تعريف فضاء الآداب الأرجنتينية.

الهوامش

- (١) Néstor Ibarra, *La nueva poesía argentina*, Buenos Aires 1930, pp. 15-16.
- (٢) *Ibid.*, p. 21.
- (٣) *Poesía*, 1-2, 1933, p. 43.
- (٤) *Simplismo: poemas inventados por Alberto Hidalgo*, Buenos Aires 1925, p. 13.
- (٥) Prologue to *La roas blindada* (1936), quoted in the *Horizonte* edition, Buenos Aires 1962.
- (٦) *La nueva poesía argentina*, p. 127.
- (٧) Vicente Huidobro, *Obras completas*, Santiago de Chile 1964, p. 686. On Huidobro, see George Yúdice, *Vicente Huidobro y la motivación del lenguaje*, Buenos Aires 1978.
- (٨) *Anatomía de mi Ultra*, text of 1921, quoted in César Fernández Moreno, *La realidad y los papeles*, Madrid 1967, p. 493.
- (٩) *Proa*, 1, p. 40.
- (١٠) *Ibid.*, pp. 4-5.
- (١١) يشير راؤول كريسافيو Raúl Crisafio إلى أن: "نظريات الإبداع الأدبي poetics الجديدة كانت تتعارض بعنف مع المجتمع «التجاري». وقد عارضت هذا المجتمع بالاستخدام، في أكثر من مناسبة، لأفكار ومشاعر كانت ماثلة في «الإصلاح الجامعي» في ١٩١٨ طالبت بتدمير مؤسسات تقليدية وطفيلية بالية وأدانت رخص السكّان للروتين اليومي والرفض بالتالي لأي شيء جديد." -Buedo- "Florida e la letteratura argentina degli anni venti", *Materiali Critici* (Geneva), 2, 1981, p. 374. وتشير ماريا لويزا باستوس أيضا إلى هذه الآثار الأسلوبية في إينيثيال: انظر بحثها *Borges ante la Crítica argentina 1923-1960*, Buenos Aires 1974, pp. 24, 25 and 38.

Proa, 1, pp. 4-6 (١٢)

(١٣) تعليق غير موقع. *Proa*, 1, p. 28. على جمعية "أصدقاء الفن" "Amigos del Arte".

Proa, 10, pp. 65-6. (١٤)

(١٥) رسالة بتاريخ ١ يوليو ١٩٢٥ ومنشورة في *Proa*, 15, pp. 26-7.

(١٦) "La pampa y el suburbio son dioses", *Proa*, no. 15.

Proa, 8, p. 15. (١٧)

"Un libro", *Proa*, 3, pp. 35-6. (١٨)

"El idioma infinito", *Proa*, no. 12. (١٩)

(٢٠) حذف "d" في نهاية كلمة ؛ استعمال "i" بدلا من "y" في أدوات العطف وفي نهاية كلمة تحتوي على اجتماع صوتي حركة في النطق a diphthong ؛ استعمال غير منتظم ولكن لا يُرَاعَى دائما لـ "j" بدلا من "g". . . .

"El idioma infinito", p. 43. (٢١)

Ibid., p. 46. (٢٢)

المراجع

Dates correspond to first editions.

- 1923 *Fervor de Buenos Aires*, Buenos Aires.
- 1925 *Luna de enfrente*, Buenos Aires.
- 1925 *Inquisiciones*, Buenos Aires.
- 1926 *El tamaño de mi esperanza*, Buenos Aires.
- 1928 *El idioma de los argentinos*, Buenos Aires.
- 1929 *Cuaderno San Martín*, Buenos Aires.
- 1930 *Evaristo Carriego*, Buenos Aires.
- 1932 *Discusión*, Buenos Aires.
- 1935 *Historia universal de la infamia*, Buenos Aires.
- 1936 *Historia de la eternidad*, Buenos Aires.
- 1940 *Antología de la literatura fantástica* (with Silvina Ocampo and Adolfo Bioy Casares), Buenos Aires.
- 1941 *El jardín de los senderos que se bifurcan*, Buenos Aires.
- 1942 *Seis problemas para don Isidro Parodi* (with A. Bioy Casares), Buenos Aires.
- 1943 *Poemas 1922-1943*, Buenos Aires.
- 1944 *Artificios*, Buenos Aires.
- 1944 *Ficciones (1935-1944)*, Buenos Aires.
- 1949 *El Aleph*, Buenos Aires.
- 1951 *La muerte y la brújula*, Buenos Aires.
- 1952 *Otras inquisiciones*, Buenos Aires.
- 1953 *El 'Martín Fierro'*, Buenos Aires.
- 1958 *Poemas (1923-1958)*, Buenos Aires.
- 1960 *El hacedor*, Buenos Aires.
- 1963 *El lenguaje de Buenos Aires*, Buenos Aires.
- 1964 *El otro, el mismo*, Buenos Aires.

- 1964 *Obra poética (1923-1964)*, Buenos Aires.
- 1965 *Para las seis cuerdas*, Buenos Aires.
- 1967 *Crónicas de Bustos Domecq* (with A. Bioy Casares), Buenos Aires.
- 1969 *Elogio de la sombra*, Buenos Aires.
- 1970 *El informe de Brodie*, Buenos Aires.
- 1972 *El oro de los tigres*, Buenos Aires.
- 1974 *Obras completas, 1923-1972*, Buenos Aires.
- 1975 *El libro de arena*, Buenos Aires.
- 1975 *La rosa profunda*, Buenos Aires.
- 1975 *Prólogos. Con un prólogo de prólogos*, Buenos Aires.
- 1976 *La moneda de hierro*, Buenos Aires.
- 1976 *Cosmogonías*, Buenos Aires.
- 1977 *Rosa y azul*, Barcelona.
- 1977 *Historia de la noche*, Buenos Aires.
- 1978 *El libro de los seres imaginarios*, Buenos Aires.
- 1979 *Borges oral*, Buenos Aires.
- 1980 *Siete noches*, Mexico City.
- 1981 *La cifra*, Buenos Aires.
- 1982 *Nueve ensayos dantescos*, Madrid.
- 1985 *Los conjurados*, Madrid.
- 1986 *Atlas*, Barcelona.
- 1986 *Textos cautivos* (edited by E. Sacerio Gari and E. Rodríguez Monegal), Barcelona.

English Translations

Publication details are taken from Jason Wilson, *An A to Z of Modern Latin American Literature in English Translation*, Institute of Latin American Studies, London, 1989, pp. 20-22.

Labyrinths: Selected Stories and Other Writings, New York 1962; Harmondsworth 1970.

Ficciones, New York 1962; London, 1962; also published as *Fictions*, London 1965.

Other Inquisitions, Austin (Texas) 1964; New York 1965; London 1973.

Dreamtigers, Univ. of Texas Press: Austin (Texas) 1964; London, 1973.

A Personal Anthology, New York 1967; London 1968.

The Book of Imaginary Beings (with Margarita Guerrero), New York 1969; London, 1970.

The Aleph and Other Stories, 1933-1969, New York 1970; London 1971.

Extraordinary Tales (with Adolfo Bioy Casares), New York 1971; London 1973.

An Introduction to American Literature (with Esther Zemborain de Torres), Lexington (Kentucky) 1971.

Selected Poems (1923-1967), New York 1972; Harmondsworth 1972.

A Universal History of Infamy, New York 1972; London 1973.

Doctor Brodie's Report, New York 1972; Harmondsworth 1974.

The Congress London, 1973.

In Praise of Darkness, New York 1974; London 1975.

Introduction to English Literature (with Maria Esther Vázquez), London 1975.

Chronicles of Bustos Domecq (with Adolfo Bioy Casares), New York 1976; London 1982.

The Gold of the Tigers: Selected Later Poems, New York 1977.

The Book of Sand, New York 1977; London 1979.

Six Problems for Don Isidro Parodi (with Adolfo Bioy Casares), New York 1981; London 1981.

Borges: A Reader. A Selection from the Writings of Jorge Luis Borges, New York 1981.

Evaristo Carriego, New York 1984.

Seven Nights, New York 1984; London 1986.

Arlus (with María Kodoma), New York 1985; London 1986.

Selected Works on J.L. Borges

- Jaimé Alazraki, *La prosa narrativa de Jorge Luis Borges*, Madrid 1968.
- *Jorge Luis Borges*, New York 1971.
- *Versiones, inversiones, reversiones*, Madrid 1977.
- (ed.) *Critical Essays on Jorge Luis Borges*, Boston 1987.
- Daniel Balderston, *El precursor velado: R.L. Stevenson en la obra de Borges*, Buenos Aires 1985.
- *The Literary Universe of Jorge Luis Borges*, New York 1986.
- Ana María Barrenechea, *La expresión de la irrealidad en la obra de Jorge Luis Borges*, Buenos Aires 1967.
- Willis Barnstone, *Borges at Eighty: Conversations*, Bloomington (Indiana) 1982.
- María Luisa Bastos, *Borges ante la crítica argentina*, Buenos Aires 1974.
- Gene Bell-Villada, *Borges and His Fiction: A Guide to His Mind and Art*, Chapel Hill (N. Carolina) 1981.
- Harold Bloom, ed., *Jorge Luis Borges*, New York 1986.
- Richard Burgin, *Conversations with Jorge Luis Borges*, New York 1970.
- Roger Caillois, 'Postface du traducteur', in Jorge Luis Borges, *Histoire de l'infamie/Histoire de l'éternité*, Paris 1964.
- Michael Capobianco, 'Mathematics in the "Ficciones" of Jorge Luis Borges', *International Fiction Review*, Winter 1982.
- Cleon Wade Capsus, *The Poetry of Jorge Luis Borges*, New Mexico 1964.
- Serge Champeau, *Borges et la métaphysique*, Paris 1990.
- Georges Charbonnier, *Entretiens avec J.L. Borges*, Paris 1967.
- Ronald Christ, *The Narrow Act: Borges' Art of Allusion*, New York 1969.
- David Cohen, *An Introduction to Borges' Labyrinths*, Boston 1970.
- John Alexander Coleman, 'Notes on Borges and American Literature', *Tri-Quarterly*, no. 25, 1972.
- Edgardo Cozarinsky, *Borges y el cine*, Buenos Aires 1974.
- Cuarenta inquisiciones sobre Borges*, *Revista Iberoamericana*, special issue, vol. 43, no. 100-101, 1977.
- Giovanna De Garayalde, *Jorge Luis Borges: Sources and Illumination*, London 1979.
- Albert Devran, *Borges et la Kabbale*, Brussels 1967.
- Arturo Echegarria, *Lengua y literatura de Borges*, Barcelona 1983.
- César Fernández Moreno, *Esquema de Borges*, Buenos Aires 1957.

- Osvaldo Ferrari, *Libro de diálogos*, Buenos Aires 1986.
- Angel Flores, ed., *Expliquemos a Borges como poeta*, Mexico City 1984.
- David William Foster, *Jorge Luis Borges. An Annotated Primary and Secondary Bibliography*, New York 1984.
- Zunilda Gertel, *Borges y su retorno a la poesía*, New York 1967.
- Gerardo Goloboff, *Leer Borges*, Buenos Aires 1978.
- Cristina Grau, *Borges y la arquitectura*, Madrid 1989.
- Rafael Gutiérrez Girardot, *Jorge Luis Borges: ensayo de interpretación*, Madrid 1959.
- James Irby, 'Borges and the Idea of Utopia', *Books Abroad*, vol. 45, no. 3, 1971.
- 'Introduction', *Labyrinths*, Harmondsworth 1970.
- *The Structure of the Stories of J.L. Borges*, Michigan 1963.
- James Irby, Napoleón Murat, Carlos Peralta, *Encuentro con Borges*, Buenos Aires 1968.
- Alicia Jurado, *Genio y figura de Jorge Luis Borges*, Buenos Aires 1964.
- John King, 'A Curiously Colonial Performance': The Eccentric Vision of V.S. Naipaul and J.L. Borges', *The Yearbook of English Studies*, vol. 13, 1983.
- L'Herne*, special issue on Jorge Luis Borges, Paris 1964.
- Robert Lima, ed., *Borges the Labyrinth Maker*, New York 1965.
- Gabriela Massuh, *Borges: una estética del silencio*, Buenos Aires 1980.
- Blas Matamoros, *Jorge Luis Borges o el juego trascendente*, Buenos Aires 1980.
- Jean de Milleret, *Entretiens avec J.L. Borges*, Paris 1967.
- Sylvia Molloy, *Las letras de Borges*, Buenos Aires 1979.
- Juan Nuño, *La filosofía de Borges*, Mexico City 1987.
- Victoria Ocampo, *Diálogo con Borges*, Buenos Aires 1969.
- Roberto Paoli, *Borges. Percorsi di significato*, Florence 1977.
- Alberto Julián Pérez, *Poética de la prosa de J.L. Borges*, Madrid 1986.
- Enrique Pezzoni, *El texto y sus voces*, Buenos Aires 1989.
- Adolfo Prieto, *Borges y la nueva generación*, Buenos Aires 1954.
- *Prose for Borges*, Evanston (Illinois) 1974.
- Jaime Rest, *El laberinto del universo*, Buenos Aires 1976.
- Emir Rodríguez Monegal, *Borges: hacia una interpretación*, Madrid 1976.
- *Borges par lui-même*, Paris 1970.
- *Jorge Luis Borges: A Literary Biography*, New York 1978.
- Martin Stabb, *Jorge Luis Borges*, New York 1970.
- Saúl Sosnowski, *Borges y la cábala: la búsqueda del verbo*, Buenos Aires 1976.

John Sturrock, *Paper Tigers: The Ideal Fictions of Jorge Luis Borges*, Oxford 1977.
Maria Esther Vázquez, *Borges: imágenes, memorias, diálogos*, Caracas 1977.
Cesco Vian, *Invito alla lettura di Jorge Luis Borges*, Milan 1980.
Carter Wheelock, *The Mythmaker: A Study of Motif and Symbol in the Short Stories
of Jorge Luis Borges*, Austin (Texas) 1969.
Saul Yurkievich, *Fundadores de la nueva poesía latinoamericana*, Barcelona 1971.

المؤلفة فى سطور :

بياتريث سارلو

أستاذة الأدب الأرجنتيني بجامعة بوينوس آيرس. عملت أستاذة زائرة فى العديد من الجامعات فى الولايات المتحدة، ثم أستاذة كرسى سيمون بوليفار للدراسات الأمريكية اللاتينية بجامعة كامبردج. تدير المجلة الثقافية "وجهة نظر" ، منذ ١٩٧٨ ، وهى أهم مجلة للنظرية الاشتراكية فى الأرجنتين. ألقت العديد من الكتب والأبحاث والمقالات البالغة الأهمية عن الأدب الأرجنتيني والثقافة الأرجنتينية.

المترجم فى سطور :

خليل كلفت

كاتب ومترجم مصرى. كتب العديد من مقالات النقد الأدبى وقليلًا جدًا من القصص القصيرة فى النصف الثانى من الستينيات. وفى النصف الثانى من السبعينيات كتب (باسم قلم) العديد من المقالات والكتب فى مختلف مجالات السياسة المصرية والعربية والعالمية والمسألة الزراعية فى مصر ومسألة القومية العربية وغيرها. يعمل منذ بداية الثمانينيات فى مجال إعداد المعاجم والترجمة عن الإنجليزية والفرنسية حيث ترجم العديد من الكتب فى مجالات الأدب والنقد الأدبى والسياسة والفكر، كما نشر العديد من المقالات والدراسات السياسية والثقافية واللغوية. صدرت له مؤخرًا (بالاشتراك مع على كلفت) ترجمة لكتاب "عالم جديد" لمؤلفيه فيديريكو مايور و جيروم بانديه.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١	اللفة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادمو يانيكار	ت : أحمد فزاد بليغ
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريستكوفا	ت : أحمد الحضري
٥	ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إيفيتش	ت : سعد مصلوح ورفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد منتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١	مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب عروب
١٤	التحليل النفسي للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦	أثنية السوداء (ج١)	مارتن برنال	ت : ياشرافد أحمد عثمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨	الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سلفريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمني طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الدين
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادمو يانيكار	ت : أحمد فزاد بليغ
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كايين	ت : عبد الستار الطلوجي وعبد الوهاب عروب
٣٢	الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣	التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فزاد بليغ
٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	بول. ب. ديكسون	ت : خليل كلفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتين	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٢٨	نقد الحداثة	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣	اللهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	الدوس مكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥	التراث المقدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يرادة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى
٥١	مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. توفاليس وس . روجسيفيتز	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
		ودوجر بيل	
٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢	لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨	نقاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبرجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش

٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبونسكى	ت : سعيد الفانمى وناصر حلاوى
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الفمرى
٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صادق	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨	الابتلاء بالتقرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتوني جيندنز	ت : أحمد زايد ومحمد محبى الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دى ثريانس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	بارير الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	اساليب ومضامين المسرح الإسباني الأمريكي	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
	المعاصر		
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بايخو	ت : سرى محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساطة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحنو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسي
١٠٣	قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	جيرارچينيت	ت : عبد العزيز شيبيل
١٠٦	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعوير
١٠٧	صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان

١١٤	مسرحتنا حصاد كونجى وسكان المستنقع	رول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦	امراة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف: روف عباس
١٢٠	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل ألكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤	الفجر الكاذب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
١٢٥	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحة الخولى
١٢٦	فعل القراءة	فولفغانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧	إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعى
١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيث	ت : أميرة حسن نورية
١٢٩	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروت	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندز فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢	ثقافة العمالة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣	الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥	المفترار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨	عالم التلفزيون بين الجمال والعنف	إيفيلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩	پارسيغال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠	حيث تلتقى الأنهار	فريبرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : هدى السمرى
١٤٤	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولونى	ت : سلامة محمد سليمان
١٤٥	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليس	ت : على عبدالرؤف البمبى
١٤٧	خطبة الإدانة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبدالقفار مكاوى
١٤٨	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إثريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم منوفى
١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وألنيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢	عدالة الهند وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطايبى

١٥٣	غرام الفراغة	فيولين فاتويك	ت : قاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرمى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال والآن وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكتوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : يشير السباعى
١٥٩	الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦	العلاقات بين المتنبيين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميفيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	قرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطايبى
١٧٣	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت: حمزة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدي إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوة	وب. بيتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت: فتحى العشرى
١٨٤	القاهرة... حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوى	ت: محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الأدب	الفين كرنان	ت: بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	بول دى مان	ت: سعيد الغانمى
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت: محسن سيد قرجانى
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد

١٩٢	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت:ماهر شفيق فريد
١٩٥	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧	الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت:جلال السعيد الحفناوى
١٩٨	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمري وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندائوى	ت:جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
٢٠٠	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت:فخرى لبيب
٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت:أحمد الأنصارى
٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤)	رينيه ويليك	ت:مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣	الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالى	ت:جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت:أحمد محمود هويدى
٢٠٥	الجيئات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت:أحمد مستجير
٢٠٦	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت:على يوسف على
٢٠٧	ليل أفريقى	رامون خوتاسنديز	ت:محمد أبو العطا
٢٠٨	شخصية العريس فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت:محمد أحمد صالح
٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت:أشرف الصباغ
٢١٠	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت:يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١	فريدينان دوسوسير	جوناثان كلار	ت:محمود حمدي عبد الفنى
٢١٢	قصص الأمير مرزيان	مرزيان بن رستم بن شروين	ت:يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣	مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت:سيد أحمد على الناصرى
٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيندز	ت:محمد محمود محى الدين
٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت:أشرف الصباغ
٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	ه. بيكيت	ت:نادية البنهاوى
٢١٨	لعبة العجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت:على إبراهيم منوفى
٢١٩	بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت:طلعت الشايب
٢٢٠	الهيولية فى الكون	بأرى باركر	ت:على يوسف على
٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت:رفعت سلام
٢٢٢	قرانز كافكا	رونالد جراى	ت:نسيم مجلى
٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابتر	ت:السيد محمد نفادى
٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت:منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥	حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت:السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت:طاهر محمد على البربرى
٢٢٧	المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى مارييا ديف بوركى	ت:السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:منى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت:أمير إبراهيم العمري
٢٣٠	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت:مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١	الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢	ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمينجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥	ديوان شمس تبريزي (ج١)	مولانا جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧	مصر أرض الوادي	روين فيرين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨	العولة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جاد الله وعربي مديولى أحمد
٢٣٩	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارفر - رايمو	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١	في انتظار البرابرة	ج. م. كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وايام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبي
٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤف البمبي
٢٤٤	الغليان	لاورا إسكييل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦	مختارات قصصية	جابريل جارتيا ماركث	ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والعدالة في مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشوقاوى
٢٤٨	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباطة
٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردين مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت: حسن بيومي
٢٥٤	الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥	أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦	ديكارت	ديف روينسون وكريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وايم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨	الفجر	سير أنجوس فريزر	ت: عبادة كحيلة
٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (ج٣)	جوردين مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١	رحلة في فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢	مدينة المعجزات	إدوارد منوثا	ت: محمد أبو العطا
٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت: على يوسف على
٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	ت: لويس عوض
٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عروكي
٢٦٨	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	ت: إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وايم جيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفورد بالجريف	ت: هبيري محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقي جلال
٢٧٢	الأييرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت: هنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومواو جلاجوس	ت: محمود على مكى
٢٧٥	ت. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الحيئات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف. س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الطيم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤	هرقل مجنونًا	يوريبيدس	ت: أحمد عثمان
٢٨٥	رحلة الفواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين الراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعملة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وآخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ديوان منجوهري الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج موانان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	المسرح الإشباني فى القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢	المسرح الإشباني فى القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	يوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر قفاوالبويه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	أسطورة برونشوس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء جامين وإيزابيل كمال
٣٠١	أسطورة برونشوس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجشتين	جون هيتون وجوى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب ويورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالايارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعير	ديفيد بايينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ت: معلوح عبد المنعم أحمد

٢٠٩	الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي	ت: جمال الجزيري
٢١٠	يونيغ	ناجي هيد	ت: محيي الدين محمد حسن
٢١١	مقال في المنهج الفلسفي	كولتجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٢١٢	روح الشعب الأسود	وليم دي بويز	ت: أسعد حليم
٢١٣	أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت: عبدالله الجعدي
٢١٤	الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعي
٢١٥	جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروتيني	ت: كاميليا صبحي
٢١٦	محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلي
٢١٧	بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٢١٨	الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٢١٩	صور دريدا	جايتو ياسييفاك وكريستوفر نوريس	ت: حسام نابل
٢٢٠	لمعة السراج في حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٢١	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٢٢٢	وجهات غربية حديثة في تاريخ الفن	دبليو بوجين كلينباور	ت: خالد مفلح حمزة
٢٢٣	فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت: هانم سليمان
٢٢٤	اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت: محمود سلامة علاوي
٢٢٥	عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كريستين يوسف
٢٢٦	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٢٢٧	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	ت: توليق على منصور
٢٢٨	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٢٢٩	رسائل عيد الميلاد	تد هيويز	ت: محمد عيد إبراهيم
٢٣٠	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامي صلاح
٢٣١	عندما جاء السردين	ستيفن جراي	ت: سامية دياب
٢٣٢	القصة القصيرة في إسبانيا	نخبة	ت: علي إبراهيم منوفي
٢٣٣	الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس
٢٣٤	لقطات من المستقبل	أرثرس كلارك	ت: مصطفى فهمي
٢٣٥	عصر الشك	ناتالي ساروت	ت: فتحي العشري
٢٣٦	متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٢٣٧	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصاري
٢٣٨	نظرات حائرة (واقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوي
٢٣٩	تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)	علي أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٤٠	اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيريروجلو	ت: فخرى لبيب
٢٤١	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمي
٢٤٢	سلامان وأيسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٢٤٣	العالم البرجوازي الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٢٤٤	الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٢٤٥	الركض خلف الزمن	يوته ندائشي	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦	سحر مصر	رشاد رشدي	ت: جمال الجزيري
٢٤٧	الصبيبة الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو

٢٤٨	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	محمد فؤاد كوبريلي	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٢٥٠	باتوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٢٥١	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٢٥٢	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٢٥٣	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٢٥٤	الفن الإسلامي في الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٢٥٥	التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٥٦	الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٢٥٧	متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٢٥٨	أمثال الهوسا العامة	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٥٩	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٢٦٠	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشريينى
٢٦١	التصحر: التهديد والمجابهة	ألان جرينجر	ت: عاطف معتمد وأمال شاوور
٢٦٢	تلميذ بابنبرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٢٦٣	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: مبرى محمد حسن
٢٦٤	حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٢٦٥	سام باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٢٦٦	نساء يركضن مع الذئب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٢٦٧	القلم الجرىء	نخبة	ت: البراق عبدالهادى رضا
٢٦٨	المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٢٦٩	المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٢٧٠	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٢٧١	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	محمد فؤاد كوبريلي	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢	عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم منوفى
٢٧٤	اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٢٧٥	الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٢٧٦	الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٢٧٧	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٧٨	المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٧٩	ملك في الحديقة	سنيل بات	ت: جمال عبدالرحمن
٢٨٠	حديث عن الخسارة	جوتتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٢٨١	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٢٨٣	هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤	القصص التي يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٢٨٥	مشتري العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦	دفاعاً عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

٣٨٧ أغنيات وسوناتات	جون دن	ت: بهاء چاهين
٣٨٨ مواظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ من الادب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد ابراهيم
٣٩٠ الارشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ الحافلة الليكسية	مايف بيتشى	ت: منى الدروبي
٣٩٢ مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت: عبداللطيف عبداللطيم
٣٩٣ فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٣٩٥ الام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٣٩٦ السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٣٩٧ نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨ سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩ كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠ مومو	مسيانيل إنده	ت: باهر الجوهري
٤٠١ الرياضيات	زيادون ساربر	ت: معدوح عبد المنعم
٤٠٢ هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: معدوح عبد المنعم
٤٠٣ ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: حماد حسن بكر
٤٠٤ تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥ إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة ابراهيم
٤٠٦ المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال عبد الرحمن
٤٠٧ الادب الإشباني المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨ معجم تاريخ مصر	جوان فوشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩ انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة
٤١٠ خلاصة القرن	كارل بوبر	ت: الزواوى بغودة
٤١١ همس من الماضى	جينيوفر أكرمان	ت: أحمد مستجير
٤١٢ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣ أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت: محمد البخارى
٤١٤ الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوف	ت: أمل الصبان
٤١٥ صورة كوكب	فريدريش نورنيمات	ت: أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦ مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. وتشاردز	ت: مصطفى بدوى
٤١٧ تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج ٥)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨ سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت: عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠ مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١ الولاء والقيادة	روى متحدة	ت: أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ١)	نخبة	ت: عبدالله عبدالرازق ابراهيم
٤٢٣ إسرءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤ لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت: محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمود سلامة علاوى

٤٢٦	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧	بانديراس الطاغية	باي إنكلان	ت: ثريا شلبي
٤٢٨	الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافي
٤٢٩	هيجل	ليود سبنسر وأندرجي كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠	كانط	كريستوفر وانت وأندرجي كيموفسكي	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢	ماكياثلي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣	جويس	ديفيد نوريس وكارل قلنت	ت: حمدي الجابري
٤٣٤	الرومانسية	لونكان هيث وجون بورهام	ت: عصام حجازي
٤٣٥	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيرج	ت: ناجي رشوان
٤٣٦	تاريخ الفلسفة (مج ١)	فريدريك كويلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧	رحالة هندي في بلاد الشرق	شبلو النعماني	ت: جلال السعيد الحفناوي
٤٣٨	بطولات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت: عايدة سيف الدولة
٤٣٩	موت المرابي	صدر الدين عيني	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروسناد	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤١	رب الأشياء الصغيرة	أونداتي روي	ت: فخرى لبيب
٤٤٢	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتي
٤٤٣	اللغة العربية	كيس فرستينغ	ت: محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لوريت سيجورنه	ت: صالح علماني
٤٤٥	حول وزن الشعر	برويز نائل خانلري	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيثنوي	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩	الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيري
٤٥٠	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	ت: جمال الجزيري
٤٥١	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتري وأوسكار زاريت	ت: محيي الدين مزيد
٤٥٣	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فريدريك كويلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦	لا تنسني	مريم جعفري	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان مولر أوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨	الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١	لكأن	داريان ليدر وجودي جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢	طه حسين من الأزهر إلى السوريين	عبدالرشيد الصادق محمودي	ت: عبدالرشيد الصادق محمودي
٤٦٣	الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤	ديمقراطية القلة	ميكايل بارنتي	ت: حمزة إبراهيم المنيف
٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزيرج	ت: جمال الرفاعي
٤٦٦	حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود

٤٦٧ التفكير السياسى	ستيفين ديلى	ت: ربيع وهبة
٤٦٨ روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٤٦٩ جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠ الاراضى والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد الننة
٤٧١ رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
٤٧٢ دون كيكوتى (القسم الاول)	ميجيل دى ثرياتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣ دون كيكوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثرياتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤ الادب والنسوية	بام موريس	ت: منهام عبدالسلام
٤٧٥ صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عنانى
٤٧٦ أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسي	مارلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧ تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨ الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج ولى شى لونج	ت: عبد العزيز حمدي
٤٧٩ المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدي
٤٨٠ تساي ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت: عبد العزيز حمدي
٤٨١ عبادة النبى	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢ موسوعة الاساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣ النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت: أحمد الشامى
٤٨٤ جمالية التلقى	هانسن روبرت يانس	ت: رشيد بتحنو
٤٨٥ التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦ الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبد الحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧ الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨ الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩ مُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً	مُسْرل	ت: محمود رجب
٤٩٠ أسرار البيغاء	محمد قاسرى	ت: عبد الوهاب علوب
٤٩١ نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت: سمير عبد ربه
٤٩٢ محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣ خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤ كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت: شريف الصيلى
٤٩٥ اللوى	إدوارد تيفان	ت: حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولى	ت: نخبة
٤٩٧ العلمانية والنوع والنوع فى الشرق الأوسط	نانية العلى	ت: مصطفى رياض
٤٩٨ النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت: أحمد على بدوى
٤٩٩ تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠ فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز روكى	ت: طلعت الشايب
٥٠١ تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولدمامر	ت: سحر فراج
٥٠٢ أصوات بديلة	هدى الصندة	ت: هالة كمال
٥٠٣ مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤ كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٥ كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق

٥٠٦	ربما كان قديسًا	أن تيلر	ت: عبد الحميد فهمي الجمال
٥٠٧	سيدة الماضي الجميل	بيتر شيفر	ت: شوقي فهمي
٥٠٨	المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبد الباقي جلبنارلي	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩	الفقر والإحسان في عهد سلاطين المماليك	أدم صبرة	ت: قاسم عبده قاسم
٥١٠	الأرملة الماكرة	كارلو جولونوني	ت: عبدالرازق عيد
٥١١	كوكب مرثع	أن تيلر	ت: عبد الحميد فهمي الجمال
٥١٢	كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريغان	ت: جمال عبد الناصر
٥١٣	العلم الجسور	تيد أنتون	ت: مصطفى إبراهيم فهمي
٥١٤	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت: مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى ماطي دوجلاس	ت: فدوى ماطي دوجلاس
٥١٦	إرادة الإنسان في شفاء الإدمان	أرنولد واشنطن وودونا باوندي	ت: صبري محمد حسن
٥١٧	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت: هاشم أحمد محمد
٥١٩	محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصاري
٥٢٠	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٥٢١	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	ت: عبدالوهاب بكر
٥٢٢	إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	ت: علي إبراهيم منوفي
٥٢٣	الفن الطليطي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت: علي إبراهيم منوفي
٥٢٤	الملك لير	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوي
٥٢٥	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت: نادية رفعت
٥٢٦	علم السياسة البيئية	ستيفن كروول ووليم رانكين	ت: محيي الدين مزيد
٥٢٧	كالكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت: جمال الجزيري
٥٢٨	تروتسكي والماركسية	طارق علي وفل إيفانز	ت: جمال الجزيري
٥٢٩	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني	محمد إقبال	ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
٥٣٠	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت: عمر المقاروق عمر
٥٣١	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	ت: صفاء فتحي
٥٣٢	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	ت: بشير السباعي
٥٣٣	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت: محمد الشرقاوي
٥٣٤	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	ت: حمادة إبراهيم
٥٣٥	مخزن الأسرار	نظامي الكنجوي	ت: عبدالعزيز بقوش
٥٣٦	الثقافات رقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت: شوقي جلال
٥٣٧	للحب والحرية	نخبة	ت: عبدالغفار مكاوي
٥٣٨	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييلز	ت: محمد الحديدي
٥٣٩	خمسة مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت: محسن مصباحي
٥٤٠	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	ت: روف عباس
٥٤١	في تنخيل وفلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت: مروة رزق
٥٤٢	قصص مختارة من الأديب اليرباني الحديث	نخبة	ت: نعيم عطية
٥٤٣	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤	ميلاني كلاين	نخبة	ت: حمدي الجابري

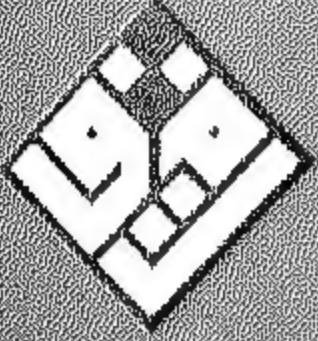
٥٤٥	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦	ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق على منصور
٥٤٧	بارت	فيليب ثودي وأن كورس	ت: جمال الجزيري
٥٤٨	علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرن وبورن فان لون	ت: حمدي الجابري
٥٤٩	علم العلامات	بول كويلي وليتاجانز	ت: جمال الجزيري
٥٥٠	شكسبير	نيك جروم وييرو	ت: حمدي الجابري
٥٥١	الموسيقى والعولة	سايمون ماندي	ت: سمحة الخولي
٥٥٢	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	ت: علي عبد الرحوف البمبي
٥٥٣	مدخل الشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولى أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٥٦	جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيقتك	ت: حمدي الجابري
٥٥٧	الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨	الدراسات الثقافية	زيودين سارداروبورين فان لون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩	الماس الزائف	تشا تشاجي	ت: عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠	صلصلة الجرس	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوي
٥٦١	جناح جبريل	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢	بلايين وبلايين	كارل ساچان	ت: عزت عامر
٥٦٣	ورود الخريف	خاينيتو بينابيتتي	ت: صبرى محمدي التهامي
٥٦٤	عش القريب	خاينيتو بينابيتتي	ت: صبرى محمدي التهامي
٥٦٥	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا، ج. جيرنر	ت: أحمد عبدالصعيد أحمد
٥٦٦	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت: علي السيد علي
٥٦٧	الوطن المقتصب	مايكل رايس	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	ت: عبد السلام حيدر
٥٦٩	موقع الثقافة	هومي. ك. بابا	ت: ثائر ديب
٥٧٠	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	ت: يوسف الشاروني
٥٧١	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	ت: السيد عبد الظاهر
٥٧٢	الطب في زمن الفراعنة	برونو أليوا	ت: كمال السيد
٥٧٣	فرويد	ريتشارد ايجنانس وأسكار زارتي	ت: جمال الجزيري
٥٧٤	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت: علاء الدين عبد العزيز السباعي
٥٧٥	الاقتصاد السياسي للعولة	نجير وودز	ت: أحمد محمود
٥٧٦	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ت: ناهد العشري محمد
٥٧٧	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	ت: محمد قدرى عمارة
٥٧٨	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	ت: محمد إبراهيم وعصام عبد الرحوف
٥٧٩	تشومسكي	جون ماهر وجودي جروغز	ت: محي الدين مزيد
٥٨٠	دائرة المعارف النولية	جون فيزر ويول سترجز	ت: محمد فتحى عبدالهادي
٥٨١	الحققي يموتون	ماريو بونز	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢	مرايا الذات	هوشنك كلشيري	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣	الجيران	أحمد محمود	ت: سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٤	سفر	محمود دولت آبادى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥	الأمير احتجاب	هوشنگ كلشيري	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمز	ت: سهام عبد السلام
٥٨٧	تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	ت: عبدالعزيز حمدى
٥٨٨	أمنحتب الثالث	أنيس كابرول	ت: ماهر جويجاتى
٥٨٩	تعبكت العجبية	فيلكس ديواه	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	ت: محمود مهدى عبدالله
٥٩١	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	ت: على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢	الثروة المصرية	محمد صبرى السوربونى	ت: مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣	قصائد ساحرة	بول فاليري	ت: بكر الحلو
٥٩٤	القلب السمين	سوزانا تامارو	ت: أماني فوزى
٥٩٥	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج٢)	إكوانو بانولى	ت: نخبة
٥٩٦	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	ت: إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	ت: جمال عبدالرحمن
٥٩٨	مصر وكنعان وإسرائيل	نونالد ريدفورد	ت: بيومى على قنديل
٥٩٩	فلسفة الشرق	هرداد مهريز	ت: محمود سلامة علاوى
٦٠٠	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	ت: مدحت طه
٦٠١	النسوية والمواطنة	ريان فوت	ت: أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢	ليوتان: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	ت: إيمان عبدالعزيز
٦٠٣	النقد الثقافى	أرثر أيزابرجر	ت: ولاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤	الكوارث الطبيعية (ج١)	باتريك ل. أبوت	ت: توفيق على منصور
٦٠٥	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	ت: محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيلبى	ت: صبرى محمد حسن
٦٠٨	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيلبى	ت: صبرى محمد حسن
٦٠٩	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	ت: شوقى جلال
٦١٠	العمارة المنجزة	رفائيل لويث جوثمان	ت: على إبراهيم منوفى
٦١١	النقد والأبديولوجية	تيرى إيجلتون	ت: فخرى صالح
٦١٢	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	ت: محمد محمد يونس

٦٢٣	نوادير جحا الإيرانية	سعيد قانعى	ت: يوسف عبدالفتاح
٦٢٤	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق
٦٢٥	الجرح السرى	جان جينيه	ت: محمد برادة
٦٢٦	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٦٢٧	حكايات إيرانية	نخبة	ت: عبدالوهاب علوب
٦٢٨	أصل الأنواع	تشارلس داروين	ت: مجدى محمود المليجى
٦٢٩	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	ت: عزة الخميسى
٦٣٠	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	ت: صبرى محمد حسن
٦٣١	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	ت: بإشراف: حسن طلب
٦٣٢	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دواورس برامون	ت: رانيا محمد
٦٣٣	الحب وفنونه	نخبة	ت: حمادة إبراهيم
٦٣٤	مكتبة الإسكندرية	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	ت: مصطفى البهنسارى
٦٣٥	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	ت: سمير كريم
٦٣٦	حج يواندة	جناب شهاب الدين	ت: سامية محمد جلال
٦٣٧	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتز	ت: بدر الرفاعى
٦٣٨	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ودين	ت: فؤاد عبد المطلب
٦٣٩	فندق الأرق	تشارلز سيميك	ت: أحمد شافعى
٦٤٠	الكسياد	الأميرة أناكومينا	ت: حسن حبشى
٦٤١	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	ت: محمد قدرى عماره
٦٤٢	داروين والتطور	جوناثان ميلر وورين فان لون	ت: ممنوح عبد المنعم
٦٤٣	سفرنامه حجاز .	عبد الماجد الدرايادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤	العلوم عند المسلمين	هوارد د. تيرنر	ت: فتح الله الشيخ
٦٤٥	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٦	قصة الثورة الإيرانية	سپهر نبيح	ت: عبد الوهاب علوب
٦٤٧	رسائل من مصر	جون نينه	ت: فتحى العشرى
٦٤٨	بورخيس	بياتريث سارلو	ت: خليل كلفت

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣٠١٩ / ٢٠٠٤



بورخيس كاتب على الحافة

يدور هذا الكتاب حول فكرة مؤداها أن أدب بورخيس أدب عالمي وفي الوقت نفسه أدب قومي أرجنتيني، من داخل وضد التراث الأرجنتيني والثقافة الأرجنتينية. وهو بهذا يتحدى الطريقة التي يجرى بها تقديم بورخيس في المناخ الأوروبي الراهن، أي بورخيس الذي تفسره الثقافة الغربية (ويفسرها في الوقت نفسه) وكذلك التفسير التي تقدمها هذه الثقافة أيضا للشرق، وليس أيضا بورخيس الذي تفسره الثقافة الأرجنتينية (ويفسرها)، وبصورة خاصة ثقافة بوينوس آيرس. وعلى هذا النحو فإن هذه القراءات "العالمية الطابع" تدع مظاهر حيوية لكتابات بورخيس جانبا، خاصة صلات إنتاجه بالتاريخ الأرجنتيني في القرن التاسع عشر، وبتطور الحداثة الثقافية في الأرجنتين في العقود الأولى من القرن العشرين. والحقيقة أن بورخيس يكتب عند مفترق الطرق الذي تلتقى عنده الثقافة الأوروبية والثقافة الأرجنتينية. ويثبت إنتاجه مدى عظمة الأدب الذي يمكن إنتاجه في أمة طرفية هامشية ثقافيا، على حافة الثقافة الغربية. غير أن هدف سارلو لا يتمثل في تفضيل قراءة واحدة لبورخيس، بل كان هدفها تقديم طرق مختلفة لقراءته تأخذ في الحسبان الطبيعة المزدوجة والمتناقضة دوما لإنتاجه الأدبي، بعيدا عن كل تبسيط. فهو في الحقيقة كاتب عالمي وفي الوقت نفسه قومي بعمق، طرفي في المركز، كوزموبوليتاني في الحافة.

Bibliotheca Alexandrina



0564366